قيس كاظم الجنابي

العطر عند العرب

دراسة تاريخية فكرية



مؤسسة الانتشار العربي

لقد ارتبط العطر في ذاكرة العربي، بوقت مبكر منذ نزول آدم من الجنة ومروره بأرض الهند حاملاً معه بذوره التي انتشرت في كل العالم، وقد انتقلت صورة العطر في العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي ليس بوصفه مادة كمالية يتأنق بها الإنسان فحسب، وإنما بوصفه مادة طقسية احتفالية لها صلة بالأديان والعقائد التي كانت شائعة قبل الإسلام. ثم تبنى الإسلام العطر بشكل ديني وثقافي وجمالي، وعرف المسلمون الأوائل بحبِّ الطيب وأجناس العطر ،ثم أصبح خلوقاً وطقسا خاصا في الأعياد والجمع والمناسبات . وقد عنى البحث بشكل خاص بمصادر العطر النباتية والحيوانية والجمادات .. وغيرها .

كشف البحث عن عناية فائقة - لدى العرب - في صناعة العطر ،وتنوع صناعته وابتكار الخلطات والتراكيب واهتمام العطارين والأطباء به واهتمام الخلفاء والأمراء ومن يلهم في الأمر، بتحضير العطور وتهاديها والعناية بها ومتابعة استعمالها في الأماكن الدينية والمناسبات وفي المساكن العامة والخاصة، حتى تطور الأمر إلى وجود خزائن وخزنة خاصين للخلفاء ،واجبهم خزن العطر والعناية به، ووراثته كما يرث الخليفة ملكه وسدة حكمه.


ISBN 978-614-404-759-0

قيس كاظم الجنابي

العطر عند العرب

دراسة تاريخية فكرية



العطر عند العرب

دراسة تاريخية فكرية

قيس كاظم الجنابي



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-759-0
الطبعة الأولى 2015

المحتويات

الباب الأول
العطر مفهوم وتاريخ

الباب الثاني

الجوانب الاقتصادية

الباب الثالث

الجوانب الاحتفالية والفكرية

المقدمة

العطر مادة مهمة في حياة الانسان يحتاج إليها في شتى مفاصل حياته، منذ الطفولة حتى الممات، وهو يغطي مساحة لابأس بها من ميادين مختلفة من حياته، كالزواج والحب والصناعة والتجارة والزراعة والثقافة والطقوس الدينية؛ فهو بالتالي بحاجة إلى دراسة تاريخية حديثة، تحاول أن تستقصيه اقتصاديًا وثقافيًا. ومن هذا المنطلق رأيت أن أخصه بهذه الدراسة التي تجمع بين التاريخ والفكر، لكي تتكشف لدى القارئ صورة مشرقة وواضحة عن هذا الموضوع؛ لذا قسمت هذه الدراسة ـ منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي ـ بشيء من السلاسة والانسيابية حتى لا تصبح مادة ثقيلة على المتلقي، كما حاولت العودة إلى الماضي لعقد الصلة المتينة بين الماضي البعيد والماضي القريب، فرأيت من الضرورة عرض بعض الجوانب الأسطورية والدينية التي تمنح البحث قوته وتأثيره وجماليته التي تتصل بجوانب مهمة متوغلة في الحياة الانسانية، أبرزها الجوانب الاجتماعية والنفسية والجسدية، وهذا يقتضي العودة إلى مصادر أخرى ليست تاريخية خالصة، لكي تعين الباحث على رسم صورة حية عن موضوع البحث.

أما المصادر التي استقى البحث عنها مادته فتتكون من قسمين:

1 ـ المصادر القديمة.

2 ـ المراجع الحديثة.

ووفقًا لهذا التقسيم يمكن أن نجعل المصادر القديمة على عدة فئات مهمة، لعل أبرزها في هذا الشأن كتب التاريخ، وهي كتب كثيرة ومتنوعة، تغطي مساحة مهمة في التاريخ العربي/الإسلامي، وقد احتوت

على إشارات وأحداث لها صلة بموضوع البحث، فشكلت بالتالي مادة غنية رصينة يمكن الوثوق بها بنسبة عالية، ضمت أمهات كتب التاريخ مثل الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230هـ/ 844م)، وتاريخ اليعقوبي (ت292هـ/ 904م)، وتاريخ الطبري (310هـ/ 923م)، ومروج الذهب للمسعودي (ت 346هـ/ 957م)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1070م)... وغيرها. هذا فضلًا عن مصادر تاريخ الأندلس التي ورد ذكرها، ولكن هذه الكتب غير معنية بالحياة الاقتصادية والاجتماعية بصورة رئيسة، وإنما تركزت عنايتها بالأحداث التاريخية، لهذا فإنها تغني من هذه الناحية، ولكنها تبقى بحاجة إلى مقومات فعلية من كتب البلدانيات التي عنيت عناية واضحة بالواردات الاقتصادية، من أمثال كتاب (البلدان) لليعقوبي ومختصره لابن الفقيه الهمداني(نبغ 290 هـ/ 902م)، وكتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة (ت 300 هـ/ 913م)، وكتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي (ت 650هـ/ 1252م)، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م)؛ فضلًا عن كتب الرحلات، مثل رحلتي: ابن جبير (ت 614هـ/ 1217م) وابن بطوطة (ت779هـ/ 1377م) وما يجري مجراهما، وهي تقدم مادة مهمة وذات طبيعة خاصة يمكن الوثوق بها، لأنها لا تخضع للمؤثرات السياسية أو الاجتماعية؛لهذا جاءت مادتها الاقتصادية على درجة عالية من الأهمية والنفاسة والعمق. وعلى مقربة من ذلك قدمت المصنفات الموسوعية مادة عالية الجودة، وافرة المتابعة، شاملة الرؤية، ومن ذلك على سبيل المثال كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الاصفهاني (ت 356هـ/ 966م)، وكتاب (نهاية الأرب) للنويري (ت 733هـ/ 1332م)، و(صبح الأعشى في صناعة الانشا)، للقلقشندي (ت 821هـ/ 1418م).

أما كتب اللغة فكانت خير معين لي على تفسير الالفاظ وملاحقة الكثير من الموضوعات، وأسماء العطور والنباتات والحيوانات، بدءًا بكتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ/ 791م)، ومرورًا بالقاموس المحيط للفيروز آبادي (ت817هـ/ 1414م)، ولسان العرب

لابن منظور (ت711هـ/ 1311م)، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي (ت1025هـ/ 1616م)، فقدمت للباحث مادة غنية وصائبة لغويًا، ومغربلة من حيث أهميتها ونفاستها. وتقف كتب الأدب والاختيارات على الرغم من سعتها على جانب كبير من الأهمية، لأنها وفرت المادة الأدبية والشواهد الشعرية والأمثال والطرف والنصوص النثرية ذات الطبيعة الأدبية والجمالية، والتي تضرب في أعماق النفس البشرية، وتتوفر على جانب مهم من الابعاد الاجتماعية والاقتصادية، وما له علاقة بالجسد الانساني من حيث جماليات العطور وانواعها واساليب استخدامها وادواتها، لتغني عما نوهت به كتب البلدانيات والتاريخ واللغة؛ وبهذا حصل نوع من التكامل والتنوع في مصادر البحث، وهذه الكتب غنية وشاملة ومتعددة المشارب والتوجهات، ومن ذلك مصنفات ابن قتيبة (ت276هـ/ 889م) وابن المعتز (ت296هـ/ 908م) تدعمها كتب الاساطير والآثار والحكايات وبعض الكتب الطبية، وبعض كتب التراجم القريبة من هذا الميدان.

أما كتب الاقتصاد والتجارة فإن غالبها ينضوي تحت باب كتب البلدانيات والموسوعات، ولكنه ينفرد عنها كتابا الفلاحة لابن وحشية (ت322هـ/ 1005م)، والتبصرة في التجارة للجاحظ (ت255هـ/ 868م)؛ فضلًا عن كتب الجسد التي تشير إلى علاقة العطر بحاسة الشم ومؤثراته في علاقات التواصل الجسدي، مثل كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (ت280هـ/ 893م)، ورجوع الشيخ إلى صباه لابن كمال باشا (ت940هـ/ 1533م)، وكتاب رشد اللبيب لليمني (ت231هـ/ 845م)، وكتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للنفزاوي (ت نحو 725هـ/ 1324م). هذا فضلًا عن كتب الفهارس، مثل كتاب الفهرست لابن النديم (ت نحو 380هـ/ 990م)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ت 1068هـ/ 1657م).

أما المراجع الحديثة فقد تنوعت بين الرسائل الجامعية، والكتب والدراسات والبحوث فضلًا عن تنوعها المعرفي والثقافي الذي يجمع بين

الجوانب الاقتصادية والثقافية، وأبرزها كتاب الدكتور جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، وقد آثر الباحث ان يمنح البحث صورة أدبية وحضارية مشرقة فاستعان ببعض النصوص الأدبية شعرًا ونثرًا قديمة وحديثة وعربية وأجنبية، وقد قدمت كتب بعض المستشرقين مادة واضحة وصورة مشرقة عن الحضارة العربية الإسلامية يقف في مقدمتها كتاب آدم متز الحضارة الإسلامية، ومن أجل اكتمال الفائدة ومنح البحث نوعًا من الشمول، وحاول البحث أن يقدم تطورًا بيّنًا عن أهمية العطر بطريقة عارضة، وليست رئيسة في الاديان والاساطير، مستعينًا بالمصادر والمراجع ذات الشأن حتى يكون تسلسل الموضوعات منطقيًا ومؤثرًا، ولابد من التذكير أن المزاوجة بين التاريخ وروافد الحضارة تعبر خير تعبير عن رؤية ثقافية تبتعد عن السرد التاريخي الممل، وتنظر إلى المادة التاريخية على أنها جزء من كيان حضاري لابد أن يأخذ مداه، وخصوصًا بعد دخول بعض المتغيرات الثقافية والمنهجية، مثل التأويل والنقد الثقافي والسيميائية... وغيرها، من هنا حاول البحث ان يلبي بعض هذه المتطلبات بطريقة أو بأخرى.

توزع البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، يتكون فيها الباب الأول من التمهيد، وفصل ذي طبيعة تاريخية، بينما تكون الباب الثاني من ثلاثة فصول، والباب الثالث من فصلين وبالشكل التالي:

الباب الأول: العطر مفهوم وتاريخ

1 ـ التمهيد

2 ـ الفصل الأول: العطر.. رحلة تاريخية

الباب الثاني: الجوانب الاقتصادية

1 ـ الفصل الأول: مصادر إنتاج العطر

2 ـ الفصل الثاني: صناعة العطر

3 ـ الفصل الثالث: تجارة العطر

الباب الثالث: الجوانب الاحتفالية والفكرية

1 ـ الفصل الأول: الجوانب الاحتفالية والجسدية

2 ـ الفصل الثاني: الجوانب الفكرية

وانتهى البحث بالخاتمة التي تضمنت نتائج البحث. مع قائمة بالمصادر والمراجع، أتمنى أن يغني هذا البحث المكتبة العربية... والله ولي التوفيق.

د.قيس كاظم الجنابي

نيسان 2012م

الباب الأول

العطر مفهوم وتاريخ

1 ـ التمهيد

2 ـ الفصل الأول: العطر.. رحلة تاريخية

التمهيد

العطر

تناولت المعجمات العربية لفظة عطر، منذ وقت مبكر، ففي معجم العين الذي يعد أول معجم لغوي صوتي عربي جاء عن لفظة (عطر) بأنه اسم جامع لأشياء الطيب وحرفة العطار عطارة، ورجل عطر وامرأة عطرة إذا تعاهد نفسه بالطيب[1].

إذ يشير إلى ان العطر اسم عام لكل انواع الطيب، وان الطيب اسم شامل لكل انواع الروائح الطيبة وهي ضد كل الروائح الخبيثة. ومن هنا يبدو ان الطيب ربما لا يشمل الريح الطيب وحاسة الشم وإنما يشمل الذوق أيضًا.

والعطر في القاموس المحيط: بالكسر، طيب جمع عطور والعاطر محبة والعطار بائعه والعِطارة (بالكسرة) حرفته وامرأة عطرة ومعاطرة ومتعطرة[2]... الخ.

العطر لغة، اسم جامع للطيب والجمع عطور والعطار بائعه وحرفته العطارة، ورجل عاطر وعطر ومعطير ومعطار، وامرأة عطرة ومعطير ومعطرة: يتعهدان أنفسهما بالطيب ويكثران منه، فإذا كان ذلك من عادتها فهي معطار ومعطارة، قال:

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت175هـ/ 791م): **العين**، تح إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، 1980 ـ 1983م): مادة (عطر).

(2) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م): **القاموس المحيط**، (دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت)، مادة (عطر).

عُـلِّـق خَـوذًا طـفـلـة مـعـطـاره، إيّـاك أعنـي فـاسـمـعـي يـا جـاره[1]

جاء في المثل: ولا عطر بعد عرس[2].

وفي الحديث الشريف: (لولا ان اشق على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)[3].

قال أبو نواس[*]:

فلما توخى حصرها لاح ريحـها فقلت: إذا عطر.. فقال: هو العطرُ
وارسلها في الكاس راحًا كريمةً تعطر بالريحان احكمها الدّهرُ[4]

ويعتقد ان الطيب من شجرة الجنة، وان الله ﷻ لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جعل لا يمر بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصنًا من أغصانها، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه فلما يبس ورقها تحات فكان ذلك اصل الطيب[5]. ولأن موطن الطيب كان في الهند، فإن الرواية حاولت ان توفق بين أصل الطيب وموطن زراعته، حتى قيل ان آدم نزل

---

(1) الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1205هـ/ 1616م): **تاج العروس**، (مط الخيرية، القاهرة، 1306هـ)، مادة (عطر).

(2) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع (ت نحو 216هـ/ 831م): **الأمثال**، تح محمد جبار المعيبد (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000م)، 218؛ الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت518هـ/ 1124م): **مجمع الأمثال**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2 (مط السنة المحمدية، القاهرة، 1374هـ/ 1925م)، 211.

(3) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/ 1350م): **الطب النبوي** (دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/ 2000م)، 272.

(*) شاعر عباسي اسمه الحسن بن هاني (ت200هـ/ 851م). ترجمته: الزركلي: خير الدين: **الأعلام**، ج2 (دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1970م) 240 ـ 241).

(4) أبو نواس، الحسن بن هاني (ت200هـ/ 815م): **ديوانه**، تح محمود كامل فريد (المكتبة التجارية الكبرى، مط حجازي، القاهرة1356، هـ/ 1937م)، 221.

(5) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 923م): **تاريخ الرسل والملوك**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1 (دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م)، 126.

الهند ومعه ذلك الطيب الذي جاء به من الجنة، أو انه هبط وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة، فلما صار إلى الأرض، ويبس الإكليل تحات ورقه فنبت من أنواع الطيب، أو انه هبط بالهند فعلق بأشجارها طيب ريحه الذي جاء به من الجنة[1]. مما يشير إلى ان له مكانة تاريخية خاصة، وأهمية لها صلة بالطقوس الدينية التي يعتقد الانسان انها تقوده إلى الجنة التي جلبه آدم منها. وقد ارتبطت مهنة العطارة بالعطر حتى سمي كل من يبيع العطر أو الطيب عطارًا، وان باع معه حاجات أخرى، فما زال بائع المواد الغذائية التي تشمل الطيب والبهارات وما شابهها مما يختص بالطهو والزينة يسمى عطارًا حتى وصفت العرب الفأرة التي تدخل دكان العطار بالعطارة، أو فارة العطارة؛ قال كعب بن زهير[*]:

وهم إذا انقلبوا كان ثيابهم   منها تضوع فارة العطار

يريد، إذا انقلبوا من الحرب، أي رجعوا ولهم روائح كروائح المسك[2]. وقال آخر مشيرًا إلى العطار:

ألمّت به والليل داجٍ كأنه   جناح غراب عندما نفض القطرُ
فقلت: أعطار ثوى في رحالنا   وما حملت ليلى سوى نشرها عطر![3]

وسموا القافلة التي تحمل الطيب والعطور باللَّطيمة؛ قال ذو الرمة[**]:

---

(1) الطبري: تاريخ، 1/ 125 ـ 126.

(*) كعب بن زهير، شاعر مخضرم، مشهور صاحب البردة (ت26هـ/ 645م) الزركلي: **الأعلام**، 5 / 226.

(2) كعب بن زهير (ت26هـ/ 645م): **ديوانه**، بشرح السكري، إشراف محمد نديم (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1369هـ/ 1950 م)، 59.

(3) الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت453هـ/ 1953م): **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، تح علي محمد البجاوي (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1372هـ/ 1953م)، 59.

(**) ترجمة ذي الرمة، في: الزركلي: **الأعلام**، 5 / 124.

كأن بيت عطار يضمنه لطائم المسك يحويها وتنتهب[1]

الطيب

وهو يرادف العطر، أو يؤدي معناه، وهو خلاف الخبيث، ويقال أرض طيبة، وهي التي تصلح للنبات، وريح طيبة إذا كانت لينة ليست بشديدة؛ وطعمة طيبة إذا كانت حلالًا وامرأة طيبة إذا كانت حصانًا عفيفة. وتشمل كلمة الطيب العطور بشكل عام[2]. وهو الرائحة الطيبة التي يتبخر بها أو يتضمخ ويتطيب. وثمة مدينة بهذا الاسم من عمارة شيت بن أدم[3].

جاء في التنزيل: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[4] ويريد بالخبيث الحرام، والطيب الحلال[5]. **وجاء أيضًا**: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[6].

ويريد بالخبيث المنافق والطيب المؤمن، واختلفوا بأي شيء بينهم وذكروا وجوهًا عدة[7]. وقيل: بين أهل السعادة من أهل الشقاوة[8].

---

(1) ذو الرمة، غيلان بن عقبة (ت 117هـ/ 735م): **ديوانه**، تح عبدالقدوس صالح، ج1 (دمشق 1972، م)، 85.

(2) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن أحمد الأفريقي (ت711هـ/ 1311م): **لسان العرب**، تصنيف يوسف خياط (دار لسان العرب، بيروت، د.ت)، مادة (طيب).

(3) ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت626هـ / 1228م): **معجم البلدان**، ج4 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، 52 ـ 53.

(4) سورة المائدة؛ الآية: 100.

(5) ينظر: فخر الدين الرازي: **التفسير الكبير**، 2/ 327؛ القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 6/ 327.

(6) سورة الانفال؛ الآية: 37.

(7) ينظر: فخر الدين الرازي: **التفسير الكبير**، 9/ 90؛ القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 7/ 401؛ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت744هـ ـ 1372م): **تفسير القرآن العظيم**، ج1 (دار الفكر، بيروت، 1401هـ)، 419.

(8) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/ 1505م): **الدر المنثور**، ج2 (دار الفكر، بيروت، 1993م)، 292.

جاء في الحديث الشريف: (خير طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه)[1].

وفي الحديث الشريف أيضًا: (ان أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك)[2] وكان النبي ﷺ لا يرد الطيب، فكان يقول: (من عرض عليه ريحان، فلا يرده فإنّه طيب الريح خفيف المحمل). وقال أيضًا: (ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة)[3].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (حبب إليَّ: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)[4]. وفي رواية: (حبب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[5].

ويقال: افتضت المرأة إذا كسرت عدتها بمس الطيب أو بغيره[6].

ويعد الطيب من مكملات التزين المهمة عند المرأة[7]، لأنه من الاشياء ذات الرائحة الزكية التي تعبر عن حسن الذوق والترف، وقلة الخشونة ورفعة الخلق وسموه، بما يسهم في كسب ثقة الآخرين وحفظ مودتهم؛ لذا كانت العرب تحرص على التقرب بها إلى الآلهة، فقد كانت

---

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت276هـ/ 889م): **عيون الأخبار**، ج1 (دار الكتب، القاهرة 1964م) 303.

(2) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ/ 1111م): **إحياء علوم الدين**، ج1 (القاهرة، 1302هـ) 32.

(3) ابن القيم: **الطب النبوي**، 238.

(4) الخطيب التبريزي محمد بن عبد الله (ت502هـ/ 1108م): **مشكاة المصابيح**، تح محمد ناصر الدين الالباني، ج3 (المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م) 1448.

(5) ابن القيم: **الطب النبوي**، 284.

(6) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (فضفض).

(7) العلي، زكية عمر: **التزيق والحلي عند المراة في العصر العباسي** (وزارة الأعلام ـ دار الحرية، بغداد 1396هـ/ 1976م)، 173.

الأصنام تلطخ بالخلوق وجدران المعابد، ولطالما تقدم العابدون إلى آلهتهم بمبخرة ليحرق البخور فيها[1] وكان للرجال طيبهم، وللنساء طيبهن، لذا وصفوا طيب الرجال بالذِّكارة (بكسر الذال)، كالمسك والعنبر والعود، وهو جمع ذكر.

وكانوا يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورتِه بأسًا، وهو ما لا لون له ينفض كالعود والكافور والعنبر. والمؤنث طيب النساء كالخلوق والزعفران[2].

وحين زفت إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ زوجته نائلة بنت الفرافصة[*]، قال لها ابوها: (إنك ستقدمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني اثنتين: تكحلي وتطيبي بالماء، حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين)[3]. وفي رواية اخرى: (فلا تغلبي علة خصلتين: الكحل والماء)[4].

وكان العربي في العصر الجاهلي، يحلف ان لا يمس طيبًا حتى يأخذ بثأره، فقد حلف دريد بن الصِّمة القشيري[**] أحد شجعان العرب، ان (لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيبًا، ولا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى

(1) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج6 (آوند دانش/ مكتبة جرير، د.م1427هـ/ 2006م)، 179 ـ 330.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ذكر).

(*) من بني كلب، زوجة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ. ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، 4/ 46.

(3) الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت 325هـ/ 936م): **الموشى أو الظروف والظرفاء**، تح رُدُلَف ابُرونُو (دار صادر، بيروت، د.ت)، 125.

(4) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت429هـ / 1037م): **لطائف المعارف**، تح الابياري وحسن كامل الصيرفي (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1390، هـ/ 1960م)، 127.

(**) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت356هـ/ 966م): **الأغاني**، ج10 (دار الثقافة، بيروت 1395، ـ 1398هـ/ 1975 ـ 1978م، 13.

يدرك ثأره)[1]، كما كان من عادتهم استعمال الخلوق والطيب والدعة في مجالس أُنسهم، وكان المتمكنون والملوك يضمخون أجسادهم ورؤوسهم بالطيب حتى كان يقطر منهم، فكانت تفوح منهم رائحة الطيب؛ فضلًا عن البخور الذي يتبخرون به[2].

أصناف العطر

الصنف في اللغة النوع، أو الضرب من الشيء، والتصنيف: تمييز الاشياء بعضها من بعض، وصنف الشيء ميز بعضه من بعض، والصنف الصفة[3]. قال صاحب كتاب صبح الأعشى: الطيب على أربعة أصناف رئيسة، اعتمادًا على محمد بن أحمد التميمي المقدسي في كتابه (طيب العروس)[4] الذي ألفه تحت عنوان (جيب العروس وريحان النفوس)[5]، بينما كان قبله صاحب (نهاية الأرب في فنون الأدب) قد جعله على تسعة أبواب[6] مستفيدًا، من تصانيف عديدة، أولها (جيب العروس وريحان النفوس)[*].

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 10/ 13.
(2) جواد علي: **المفصل**، 5/ 28.
(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (صنف).
(4) القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/ 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ج2 (دار الكتب العلمية ـ دار الفكر، بيروت، د.ت)، 126 ـ 138.
(5) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جبلي (ت1068هـ/ 1657م): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عني بتصحيحه محمد شرف بالتقايا، ج3 (مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي، طهران، 1378هـ/ 1947م)، 292. والجدير بالذكر أن (جيب العروس) هو لقب (قابوس بن المنذر) النعمان بن المنذر. ينظر: الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (جدس).
(6) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/ 1332م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح مفيد قميحة، ج12 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2004م)، 4 ـ 48.
(*) من تأليف محمد بن أحمد بن خليل التميمي المقدسي (ت نحو 390هـ/ 999م). ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 5/ 313.

وثاني هذه الكتب كتاب عنوانه (العطر) من تصنيف جحظة البرمكي الشاعر الذي صنفه للخليفة المعتصم (ت227هـ/ 841م)، وقيل ان عنوانه (في العطر)[1]، وكتاب (جواهر الطيب المفردة) ليوحنا ابن ماسويه (ت243هـ/ 857م)، وهو مختصر في معرفة أجناس الطيب وذكر معادنه[2].

والجدير بالذكر ان لابن شهيد الاندلسي كتابًا بعنوان (حانوت عطار)[3]، وقد جعله صاحب نهاية الأرب على ثمانية أصناف: المسك، العنبر، العود، الصندل، السنبل، القرنفل، القسط، الغوالي، الندود، الرامك، المسك، الأدهان[4]؛ بينما جعله صاحب كتاب صبح الأعشى على أربعة أصناف: المسك، العنبر، العود، الصندل[5].

1 ـ المسك

أصله من دابة ذات أربع أشبه شيء بالضبي الصغير؛ قيل: لها قرن واحد، وهو فضل دموي يجتمع من جسمها إلى سرتها، بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء فتصاد تلك الظباء وتذبح وتؤخذ سررها بما عليها من الشعر[6]. وسميت هذه الدابة فأرة المسك، تحمل احياءً من السند إلى

(1) التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت651هـ/ 1253م): **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تهذيب ابن منظور**، تح إحسان عباس (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1400هـ/ 1980م)، 228.

(2) له مخطوطات، نشره بولس سباط بالقاهرة. ينظر: بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، ج4 (دار المعارف بمصر، القاهرة 1969م)، 265).

(3) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت681هـ/ 1282م): **وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان**، تح احسان عباس، ج1 (دار صادر، بيروت 1397هـ/ 1977م)، 116.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 82 ـ 83.

(5) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 136 ـ 137.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 4؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 126.

الزابج، وان الزباد وأطيب رائحة من المسك، والانثى تجلب مسكًا، وإذا مشى في بيت نفحت منه رائحة المسك وإذا لمسته بيدك عبقت بيدك[1]. جاء في التنزيل ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[2]وفي الحديث الشريف ان النبي ﷺ قال: (أطيب الطيب المسك)[3] واصل رائحته من النباتات، لأنه أفضل ما يرعى غزلانه حشيشًا يقال له (الكدهمس) ينبت بالتبت، وكشمير[*]، واسم هذه الحشيشة (الكندهسة)، وبعده الصُغدي (بلاد افغانستان حاليًا)، ثم الصيني[4].

أما النوع الثاني منه، فهو الهندي في بلاد (الديبل)[**]. وبعده القنباري وهو مسك جيد، إلا انه دون التبتي (نسبة إلى بلاد التبت) في القيمة والجوهر واللون والرائحة ويؤتى به من بلد يقال له (قنبار)[***] من الصين، وينبت بين الصين والتبت، وربما غالطوا به فنسبوه إلى التبت[5]. ويتلوه في الجودة الطفرغري (الطغزغزي)، وهو مسك رزين يضرب إلى السواد يؤتى به من أرض الترك (الطغرغر أو الطغزغزي)، وتجلبه التجار رفيعًا لطول به، إلا انه ليس له جوهر ولا لون، وهو بطيء السحق لا يسلم من الخشونة. ويتلوه بالجودة[6].

---

(1) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (نبع 290هـ/ 902م): **مختصر كتاب البلدان**، (دار إحياء التراث، بيروت، 1408هـ/ 1988م)، 14.

(2) سورة المطففين؛ الآية، 25.

(3) ابن القيم: **الطب النبوي**، 333.

(*) التبت، بلد بأرض الترك. وكشمير أو قشمير، مدينة متوسطة ببلاد الهند. ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 10، 4/ 352 على التوالي.

(4) اليعقوبي، أحمد بن أبي جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/ 904م): **البلدان**، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م)، 209.

(**) الديبل، مدينة على ساحل بحر الهند. ينظر: ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 495.

(***) قنبار، عرفت لدى العرب من خلال المسك القنباري. ينظر: اليعقوبي: **البلدان**، 209.

(5) اليعقوبي: **البلدان**، 209.

(6) اليعقوبي: **البلدان**، 21.

ويتلون المسك الجرجري، وهو مسك يشاكل التبتي وشبهه وهو أصفر، زعراء الرائحة. وبعده المسك العصماري، وهو اضعف انواع المسك كلها، وادناها قيمة، يخرج من الناتجة التي زنتها اوقية زنة درهم من المسك ثم المسك الجبلي، ويؤتى به من أرض السند وأرض المولتان (المولتان) وهو كثير النوافح من اللون، إلا أنه ضعيف الرائحة[1].

وكان النبي ﷺ يتطيب حتى يصبغ الطيب رداءه، ومن موضع رأسه حتى يرى وميض المسك من مفرقه، وحتى يُعرف مجيئه بطيب رائحته من بعيد قبل أن يرى، وكان يقول: أطيب الطيب المسك، وكان لا يعرض عليه طيب إلا تطيب منه[2].

قال أحد الشعراء:

لو كان يطلب أجرًا ما أتى ظهرًا   مُضخمًا بفتيت المسك مختضبا

وشبهوا السواد في المسك، حتى وصف آخر جارية سوداء، فقال:

رب سوداء وهي بيضاء معنى   نافس المسك عندها الكافور
مثل حب الحب يحسبه النا   سُ سوادًا، وإنما هو نور[3]

2 ـ العنبر

وأصله ينبع من صخور وعيون في الأرض، يجتمع في قرار البحر، فإذا تكاثف اجتذبته الدهانة فاقتطفته، وربما ابتلعته سمكة عظيمة يقال لها (أكيال)، فيشق جوفها ويستخرج منها ويسمى العنبر السمكي والعنبر المبلوع[4]، ويقال إن اسم السمكة (البال) وهي الحوت، وأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لونًا وأصفاه جوهرًا وأغلاه قيمة العنبر الشحري،

---

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 21.
(2) اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، تح محمد صادق بحر العلوم، ج2 (المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الاشرف، 1348هـ/ 1964م)، 77.
(3) ابن خلكان: **الوفيات**، 5/ 387.
(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 230.

وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر في أرض اليمن[1]، وهو على ستة أضرب حسب بلدان انتاجه؛ وفضلًا عن الشحري يوجد الزنجي، والشلاهطي، والقاقلي، والهندي، والمغربي[2]. وأجود الشلاهطي الأزرق الدسم الكثير الدهن، وهو الذي يستعمل في الغوالي[3]، وقيل انه لا يصلح للغوالي ولا للتغلية والتطهر إلا عند الضرورة[4]. ويزعم الاصمعي (ت نحو 216هـ/ 743م) أن العنبر هو الزعفران محتجًا بقول الأعشى:

وتـــبـــرد بـــرد رداء الـــعـــرو سِ في الصيف رقرقت فيه العبيرا

وغير الاصمعي يزعم ان العبير اخلاط تجمع الزعفران[5].

ومن العنبر صنف يدعى (المند) أو (المندي)، وأصله من دابة تخرج من البحر ترمي به من دبرها، وهي على صورة البقر الوحشي فيؤخذ وهو لين يمتد فما كان منه عذب الرائحة حسن الجوهر، فهو أفضله وأجوده، وهو أصناف أجودها الشحري، وهو أسود فيه صفرة تخضب اليد إذا مس، ورائحته كرائحة العنبر اليابس، ويستعمل أحيانًا في الغوالي. ومنه الزنجي وهو أدنى من الأول، والخمري وبه تخضب اليد وأصول الشعر، ولا ينفع في الطيب. ومنه السمكي، وهو المبلوع ولونه شبيه بالقار[6]. والعنبر أحد أنواع الطيب، فهو من أفخر أنواعه بعد المسك، وأخطأ من قدمه على المسك وجعله سيد الطيب[7].

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 10 ـ 11.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 11 ـ 12؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131 ـ 132.
(3) اليعقوبي: **البلدان**، 123.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12.
(5) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت340هـ/ 951م): **الأمالي**، تح د. عبد الحسين المبارك (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، 1401هـ/ 1980م)، 126.
(6) النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 13.
(7) ابن القيم: **الطب النبوي**، 289.

وقيل إن اسمه (الند)، وهو على ثلاثة اضرب[1]:

1 ـ المثلث، وهو أجودها وأعطرها، ويركب من العنبر والطيب والعود الهندي والطيب وجزء من المسك الطَّيب.

2 ـ أما الثاني فهو دونه، ويجعل فيه من العنبر الخام عشرة مثاقيل، ومن الند العتيق الجيد عشرة مثاقيل، ومن العود الجيد عشرون مثقالًا.

3 ـ والثالث أدناها، وهو عشرة مثاقيل من العنبر الخام، وعشرة مثاقيل من الند العتيق، وثلاثون مثقالًا من العود.

3 ـ العود

شجر عظام بمواضع من أرض الهند، يكون من قلب الشجر، ولا تصير له رائحة إلا بعد ان يُعتق ويُنجر ويُقشر؛ فإذا نُفِيَ عنه قِشره، وجُفف حمل إلى كل ناحية[2]، وثبت عن النبي ﷺ في صفة نعيم الجنة (مجامركم الألُوَّة)، والمجامر جمع مجمر وهو ما يتجمر به من عود وغيره[3]، وأجوده ما كان صلبًا، رزينًا، ظاهر الرطوبة، كثير المائية والدهنية، الذي لا صبر له على النار، وغليان، وبقاء في الثياب، وأفضل ألوانه الأسود، فالأزرق الذي لا بياض فيه، وهو ثمانية عشر ضربًا: المندلي، القامروني، السمندوري، القماري، والقاقلي، الصفي، الصندفوري، والصيني، والقطعي، والكلهي، والعولاني، اللوقيتي، والمانطائي، والقندغلي، والسمولي، الانجي، المحرم[4]. قال عبذ الرحمن بن حسان بن ثابت واصفًا أخت معاوية وهو خليفة:

تـجـعـل الـنـد والألـوة والـعـو د صِـلاءً لـهـا عـلـى الـكـانـون

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 132.

(2) النويري: نهاية الأرب، 12/ 14؛ القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 133.

(3) ابن القيم: الطب النبوي، 290.

(4) ياقوت: معجم البلدان، 2/ 29؛ النويري: نهاية الأرب، 2/ 15 ـ 20؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 2/ 133 ـ 137.

وقــبــاب قــد أُشــرِحــت وبــيــوت نُطِّقَت بـالـريـحـان والـزّرجـون[1]

4 ـ الصندل

وهو الخشب يؤتى به من سفالَة الهند،[2] وهو على سبعة أضرب: المقاصيري، والأبيض، والجوزي، الساوس (أو الكاوس)، وصنف يضرب لونه إلى الحمرة، وصندل جعد الشعرة، والأحمر[3].

ومصدره النبات، فالأصفر الطيب الرائحة المقاصيري يدخل في طيب النساء، الرطب واليابس، وفي البرمكيات والمثلثات والذرائر، وتتخذ منه القلائد، ويدخل في الادوية، وفي ضمادات الكبد والمعدة، وهو بازر منشف محلّل للأورام[4]. وينبت الصندل مع الساج والقنا والابنوس في بحر الزنج وهو بحر الهند[5].

5 ـ أصناف أُخرى

وتكتمل الأصناف السابقة ببعض الأنواع الأخرى، منها:

أ ـ **السنبل**، حشيشة تنبت بأرض الهند وببلد التبت أيضًا[6]، وفي (شلاهط) مع الصندل والقرنفل[7]. وهو أصناف وأجوده العصافير الحمر الألوان. ومنه المسلل، وهو الذي قد نُقِيَ من زغبه، ومسح منه، وعصافيره مجردة، إذا أمسكه الإنسان بكفه ساعة، ثم أشاعه

---

(1) الأصفهاني: **الاغاني**، 15/ 85.

(2) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 137.

(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 21 ـ 23؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 137 ـ 139.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12 / 23.

(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 343.

(6) اليعقوبي: **البلدان**، 212؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 24.

(7) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت 300هـ/ 913م): **المسالك والممالك**، تح محمد مخزوم (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/ 1988م)، 65.

كانت رائحته كرائحة التفاح، أو نحوها، ثم الذي يليه، وهو نوع من العصافير أحمر كثير البياض والشحط أطيب رائحة، قريب من الأول. ثم أدناه وهو دقاق من السنبل وجلال ليس مما يدخل في جيد العطر[1]. وفيه قال الشاعر:

وماء القرنفل والزنجبيـ ـل شيب به ثمر السنبل[2]

ب ـ **القرنفل**، كله جنس واحد، وأفضله وأجوده الزهر اليابس الجاف الذكي، الحريف الطعم الحلو الرائحة، ومنه الزهر، ومنه الثمر والزهر، ومنه ثمر شجر عظام يشبه شجر السدر، ويجلب من بلاد سقالة في الهند وأقاصيها، وله بالمواضع التي هو بها روائح ذكية ساطعة الطيب جدًا، حتى أنهم يسمون أماكن القرنفل ريح الجنة لذكاء رائحته. وقيل انه نبات في حد الصين يشبه الياسمين، أسود شبيه النوى الجاف[3].

قال ربيعة بن مقروم[*]:

وكأنَّما ريح القرنفل نشرها أو حَنوَة خلطِتْ خزامي حوملِ[4]

ومنه بشلاهط ينبت مع الصندل والسنبل[5].

ج ـ **القسط**، وهو ضرب من الطيب، وقيل العود، وقيل عقار معروف طيب الريح تتبخر فيه النفساء والاطفال. وفي الحديث: (لا تمس طيبًا إلا نُبذة من قسط أو أظفار)[6]، ويقال له الكست، منه ما يجلب من بلاد الحبشة، ومنه ما يجلب من بلاد الهند، ومنه المر والحلو

---

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 212؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 24.

(2) الحصري: **جمع الجواهر**، 40.

(3) اليعقوبي: **البلدان** 213؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 25 ـ 27.

(*) شاعر مخضرم (ت 16هـ/ 637م)، ينظر: الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 91.

(4) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 91.

(5) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، 65.

(6) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (قط).

والمر الأبيض يدخل في كثير من الأدوية والمعاجين الكبار، ومنه يعمل دهن القسط ويشرب فينتفع به من أوجاع الجنين والخواصر، ويدر البول ويفتح سُدُد الكبد، وهو حار يابس قوي الحرارة واليبس[1].

د ـ **أصناف** تعد من المستحضرات، وليست من الأصول النباتية أو الحيوانية؛ وإنما تستحضر من مزج مواد مختلفة للحصول عليها كالغالية والندود[2]، وهذه ليست عناصر أصيلة في إنتاج العطر، وإنما هي مستحدثة.

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12 ـ 29.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 29 ـ 30.

الفصل الأول

العطر... رحلة تاريخية

توطئة

عاش العطر منذ بدء الخليقة في ذاكرة الناس، بوصفه مادة قريبة من الانسان، ومن حواسه وآفاق حياته، وكأنه مادة ترويحية تحتفظ بقدر كافٍ من الجمال، أو هي وسيلة من وسائل طلب الزينة، ومن المعروف أن الزينة ترتبط ارتباطا وثيقًا بمستوى المعيشة وبالتقدم الحضاري[1].

وقد ارتبطت مسيرة العطر بالتاريخ، بوصفه وسيلة من وسائل الترفيه؛ ذلك لأنه من المعروف أن لكل علم تاريخًا، لأن تاريخ العطر، هو جزء من حركة الحياة الإنسانية، وبالتالي جزء من حياة العربي منذ أقدم العصور؛ فإذا كان التاريخ من أجناس التعبير ونوعًا من أنواع النصوص الحضارية، لأنه يهتم بالأحداث التي تخضع للطبع الانساني، فانه بالتالي يؤسس لفهم مختلف، من حيث كون البشر يتعرضون لنوع من الإخضاع لصياغة أساليب حياتهم وطرائق صناعتهم للأحداث، وهي تخضعهم لشبكة اجتماعية، ومنظومة علاماته تفوق قدراتهم؛ ومن هنا فإن التاريخ ليس مجرد حقائق وأحداث بمقدار ما هو منظومة اجتماعية سيميائية[2]، تتماشى مع حركة العطر وقدراته على مسايرة الحياة الانسانية.

فالعطر ليس مادة يشمها الإنسان ولكنها مادة تطرد عنه

(1) العلي: **التزيق والحلي عند المرأة** 13.

(2) الغذامي: عبد الله محمد: **النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية** (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2001م) 47.

هواجس الخوف، وتقرب منه الإحساس بالطمأنينة، وتمنحه شعورًا بالقوة لأنه ارتبط بحياة الإنسان الدينية، وبالذات حاسة الشم التي هي إحدى الحواس الإنسانية المهمة، كما انه صاحب الانسان في رحلته الدينية والثقافية والاقتصادية، بوصفه مادة أساسية في التعبير عن احتفالياته المتعددة من الولادة حتى الممات، وهذا ما يجعل منه عنصرا مهما من عناصر الحياة، لأنه يرتبط بالرائحة التي تتعلق بالطعام والشراب واللباس والعبادة، وفي زمن الراحة والمحن وفي سنوات الخوف والأمان.

وهذا في ذاته يجعلها جزءًا من تاريخ الانسان، وليس من المستبعد ان تكون جزءًا من حياة العربي، وان يكون للعطر تاريخه الخاص به، بوصفه جزءًا من حضارة تعبق بالفن والتاريخ والأدب، وجغرافيًا الاتصال بين الشعوب والبلدان، وجزءًا من تقاليد وعقائد انسانية مؤثرة حفرت وجودها في التحولات الاقتصادية والدينية والجمالية في تاريخ العربي منذ القدم وحتى اليوم، ولابد لتوجه من هذا القبيل ان يخضع لشيء من التصور الشمولي، والغربلة المحلية حتى يصبح قريبًا من النفس، منسجمًا مع ظروف توجهات القارئ وتصوراته الخاصة.

في حضارات الشرق القديم وأديانه

تتميز الحضارات القديمة في بلدان الشرق القديم، وخصوصًا بلاد الرافدين وبلاد النيل، بانها تمتلك إرثًا تاريخيًا عاليًا، ترتبط به الحياة الانسانية بالحياة الدينية، لتعبر عن موقف واضح في التعبير عن جانب الخصوبة والجمال وقوة التعبير، كما كان البخور عنصرًا مساعدًا في الاتصال بالآلهة، وطلب العفو، أو المغفرة، وأحيانًا في التكهن ومعرفة ما يخبئ لها المستقبل، كما جاء في الأسطورة التالية[1]:

(1) لابات، رينيه: **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين**، ترجمة ألبير أبونا ووليد الجادر (جامعة بغداد، بغداد، ط1، 1988م)، 192.

(ننسون)[*] ، دخلت إلى حجرتها،

(اغتسلت وتدلّكت) بالصابــونة،

(ارتدت ثوبًا) يناسب جسمها،

(وضعت قلادة) تليق بصدرها،

(تنطقت بحزامها) ولبست تاجـــــها،

(نضحت) الأرض والتراب بماء،

ارتقت (الدرج)، صعدت إلى السطح،

صعدت، و (تجاه) الشمس احرقت البخور،

قدمت سبيكة، و (تجاه) الشمس رفعت ذراعيها،

لقد جاء استخدام العطور عاملًا مساعدًا للحصول على النبوءة؛ لذا كان العراف العراقي القديم يجهد نفسه للحصول على رؤيا لمصلحة الملك، فكان عليه عند الفجر وبعد شروق الشمس بقليل ان يغتسل في اناء تطهير، وبماء معطر، ويدهن نفسه، ويلبس ثوبًا طاهرًا، ويضع فمه وهو صائم شيئًا من الارز (...) فيحصل على الرؤيا[1]. كما يحتفل المؤمن ببعض الصلوات قائلًا[2]:

أقدم لك بخورًا زكي الرائحة

(*) هي أم كلكامش وتسمى (نانشة) صاحب الملحمة المشهورة التي كانت تفسر له أحلامه، ينظر: كريمر، صموئيل نوح: **السومريون**، ترجمة فيصل الوائلي (دار غريب للطباعة، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت)، 165 ـ 166.

(1) روثن، مرغريت: **علوم البابليين**، ترجمة يوسف حبي (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1980م)، 59.

(2) شمّار، جورج بوييه: **المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية**، ترجمة سليم الصويص (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، 1981م) 248.

لقد صنعت لك خمرًا من نبيذ العسل والبيرة.

وهذا يعني أن العراقيين القدماء استعملوا الزيوت المعطرة الغالية الثمن، والتي كانت تستورد من الخارج للعناية بنظافة الجسد والشعر، للرجل والمرأة، وكان يفضل عادة زيت السرو والآس والسدر لرائحته الجيدة، وكان التجميل واستعمال العطور من الامور اليومية، وكانت للنساء مختلف ألوان التجميل يحفظن بها داخل أوعية طينية وحجرية، أو داخل أصداف زوقت بنقوش فنية جميلة[1]، حتى كانت الكاهنة تستقبل زوجها الملك وهي في أجمل ثيابها، وأبهى زينتها، فكانت تستعد للحظة اللقاء هذه، فتغسل بالماء والصابون وتطيب جسمها بالدهان والعطور وفمها بالعنبر وتزجج عينيها بالكحل[2].

وكان للمبخرة أهمية خاصة في أداء الطقوس بالمعبد، لان من خلالها يجري حرق الأخشاب العطرية كطقس تطهيري، أو كصلاة للإله، لان الآلهة تبتهج بالروائح العطرة[3]. وهكذا كانت حياة العراقي القديم مفعمة بالعطور، ومشحونة بطاقة دينية وجمالية خاصة، تفرضها الروائح الطيبة التي تثبتها الأدهان والأبخرة في كل مكان.

لقد كانت العطور جزءًا لا يتجزأ من عمليات التطهير عند سكان وادي الرافدين، والتي كانت تجري بعدة طرائق، منها إحراق البخور وسكب السوائل كالماء والزيت والحرق والاغتسال؛ فقد كان طقس إحراق البخور يجري يوميًا في المعبد من قبل كهنة خاصين، كما كان احراق البخور يلازم عملية التعزيم؛ وذلك لاعتقادهم بان مادة البخور (خصوصًا

(1) كلينكل ـ براندت، إيفلين: **رحلة إلى بابل**، ترجمة زهدي الداوودي (دار المدى، دمشق، 2010م)، 40 ـ 41.

(2) فاضل عبد الواحد علي: **عشتار ومأساة تموز** (وزارة الأعلام، بغداد، 1973م)، 149.

(3) لويد، سيتون: **آثار بلاد الرافدين**، ترجمة سامي سعيد الأحمد (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، 1980م).

الحرمل) تقوم بطرد الأرواح الشريرة، فهي تملأ المكان وتحاصر تلك الأرواح وتدفعها للهرب من الأبواب والشبابيك؛ لذا كان يقام في كل معبد من المعابد مذبح لإحراق البخور، وهو عبارة عن دكة عالية يوضع عليها ما يشبه الموقد، وفي هذا الموقد تطرح مادة البخور كطقس يومي أو مرافقة لطقوس أخرى، أو انهم يستعملون الموقد المقدس، كما كان هناك أوعية خاصة بالبخور يمسكها الكهنة بأيديهم عندما يقومون بعملية التعزيم[1].

وهذا يعني أن البخور بوصفه طريقة من طرائق استخدام العطور، عبارة عن طقوس دينية وممارسات يومية الغاية منها طرد الأرواح الشريرة للخلاص من شبح المجهول الذي كان يشعر الإنسان بأنه يطارده أينما كان.

أما في مصر الفرعونية، فإن العطور ترتبط بعادة التحنيط التي دأب فيها أهلها في العصور القديمة، بشكل مباشر أو غير مباشر، لقد جاء في ترتيله للإله رع[*] أهم آلهة مصر آنذاك «ألا إنك تبزغ، ألا إنك تبزغ، وإنك تأتي من الإله نو. ألا إنك تجدد شبابك، وتضع نفسك في المكان الذي كنت فيه البارحة. أنت أيها الطفل المقدس، يامن خلقت نفسك بنفسك، إني لعاجز عن وصفك. لقد أتيت بإشراقك، ولقد جعلت السماء والأرض تتألقان بأشعة أنوارك الزمردية الخالصة. ما خلقت بلاد البونت Punt[**] إلا لتهب العطور التي تشمها بأنفك إنك تشرق في السماء، أيها الكاهن المدهش، والربتان الثعبانتان، الربتان العينان، مثبتتان فوق حاجبك. ألا إنك واهب الشرائع، يا أنت يا سيد العالم وسيد كل من يستوطن فيه، ألا إن جميع الأرباب يعبدونك»[2].

---

(1) الأسود، حكمت بشير: **أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة** (دار المدى، دمشق، 2008م)، 292.

(*) رع: إله الشمس عند المصريين القدماء، وهو إله معروف ينظر: الخوري، لطفي: **معجم الأساطير**، ج2 (دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990م)، 44.

(**) البلاد الواقعة على جانبي البحر الاحمر.

(2) بدج، السير وَلِس: **الديانة الفرعونية**، أفكار المصريين عن الحياة الاخرى، ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف (دار منارات، عمان، 1985م)، 155.

كان العطر أو الطيب جزءًا من طبيعة الآلهة القادرة على الخلق والتكوين، وكان الأريج المقدس الذي وصف بانه عطر بلاد بونت punt الزكي يعلن قدوم التجلي الإلهي إلى الملك، كما ينبئ الشذا الطيب الملكة بأن آمون قادم(*) كي يتم اللقاء الإلهي، وكان العطر يعد من الخصائص الإلهية مشبعًا بقوة الحياة الأبدية، وعلى هذا أدى استعمال الروائح والزيوت العطرية دورًا في العقيدة أكثر وأكثر من استعمالها في التجميل، فقد جاء في نص قديم: (عطري هو عطر حورس(**)، كما أن رائحتي هي رائحة حورس)[1]. مما يعني أن للعطور خصوصية دينية واضحة لدى المصريين، حتى انها كانت تقدم بصفة قرابين طقسية في الشعائر الجنائزية، التي تجري بمصاحبة حرق البخور، لأن حرق البخور يعد غرضًا تطهيريًا، لأنه يطهر ويزين، كما يحرر الشخص من القوى الشريرة، كما كان يفعل العراقيون القدماء، لان المصريين يعدون البخور نفسه مظهرًا خارقًا للطبيعة حتى سمي (عرق الإله) الذي سقط على الأرض. وخلال الشعائر الجنائزية كان دخان البخور المرتفع يشاهد باعتباره إشارة إلى العالم الآخر، وتظهر بعض النقوش وجود العطر المقدس؛ لذا استعملت بوتقة لحرق البخور، واستخدمت بوتقة أخرى لتضم حبات البخور التي توضع على فحم خشب السنط المتوهج في البوتقة التي في نهاية المقبض[2].

وكانت باقات الزهور رمزًا للحياة، لذا يرون أن زهرة اللوتس نبتت من المياه الأزلية[3]، مما يشير إلى أن الزهور المولدة للعطر ترتبط بالبعث

(*) لوركر، مانفرد: **معجم المعبودات والرموز في مصر**، ترجمة صلاح الدين رمضان ومحمود طاهر (مكتبة مدبولي، القاهرة 2000، م)، 140.

(**) آمون، إله خالق أزلي عند المصريين القدماء، يحمل في الغالب لقب (ملك الآلهة) ينظر: الخوري: **معجم الأساطير**، 1/ 61.

(1) حورس إله السماء صورته على هيئة صقر، إله شمسي مصري ينظر: الخوري: **معجم الأساطير**، 1/ 265.

(2) لوركر: **معجم المعبودات والرموز**، 117 ـ 147.

(3) لوركر: **معجم المعبودات والرموز**، 146.

والحياة الجديدة، ففي رسوم الفراعنة ونصبهم ومعابدهم يمكن أن نلتمس من خلال تعاويذ وأبخرة الكهنة وطقوسهم صورة للإلهة المصرية إيزيس[*] يترشح السحر[1]، والاتصال السحري بين الآلهة وبين البشر الذين يبحثون عن خلاصهم عبر عالمهم الخاص.

واستخدم القدماء الزيت وسيلة للدهن، وخصوصًا بعد مزجه بالطيب، وكان المصريون القدماء قد فعلوا ذلك من العناية بالجسم، ثم ادخل التطيب والشعائر كرمز للتطير، ولم يغسل التمثال المقدس فقط، بل كان يتم تطييبه أيضًا، وتقول احدى الترنيمات للإله آمون: يمزج الزيت والشمع مع المر حتى يغلى الطيب المخصص لأطرافك، ويحتاج المتوفى كذلك للطيب من أجل التطهير وبسبب رائحته النفاذة فإن له دلالة أخرى، أي بمعنى أن يستنشقه المتوفى برقة، مثل الإله، ويعني كذلك أن يشارك المتوفى في الصلاة المقدسة[2].

من هنا يمكن أن نعرف بأن للطيب أثره الفاعل في الحياة الدينية والدنيوية، لأنه يمتلك سحره المؤثر في الحياة الدنيوية، ويمتلك مكانة عالية في الطقوس والشعائر الدينية تؤهله لان يكشف عن الكثير من الطقوس التي يقترن حصولها به، وهذا بحد ذاته يعد صورة جلية على اللقاء بين دوره في الحياة الدنيا، وما بعد الموت، وخصوصًا أن المصريين عرفوا بالتحنيط الذي يرتبط بالعطر ومشتقاته.

جاء في التوراة أن النبي يوسف ﷺ أمر عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه يعقوب وقد استغرق ذلك أربعين يومًا[3]. وفي التحنيط تدخل المواد

(*) إيزيس، معناه العرش، كانت تعبد بوصفها عظيمة السحر، يعني اسمها (المقعد) ولدت في دلتا النيل. الخوري: **معجم الأساطير**، 1/ 102.

(1) أحمد كمال زكي: **الأساطير** (المكتبة الثقافية، ع170، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مارس 1967م)، 56 ـ 57.

(2) لوركر: **معجم المعبودات والرموز**، 87 ـ 88.

(3) **الكتاب المقدس، كتاب الحياة**، ترجمة تفسيرية، **سفر التكوين**، الإصحاح الخمسون (القاهرة 1992م)، 2 ـ 3.

الطبية والعطرية في نجاح هذه العملية، كما استجاب النبي موسى ﷺ لأمر الرب له: «أقم لي مذبحًا من تراب يقدّم عليه جمر فاتك وقرابين سلامتك من غنمك وبقرك»[1]. والجمر له علاقة بحرق الأبخرة واستخدام العطور، كما وصف هذا السفر مذبح المحرقات في موضع آخر، وجرى أيضًا وصف مذبح البخور وصنعه وتركيب البخور، إذ جاء فيه وقال الرب لموسى: «خذ لك أطيابًا أجزاء متساوية من الميعة والاظفار والقنة العطرة واللبان الزكي، واخلطها صانعًا منها بخورًا عطرًا مملحًا نقيًا مقدسًا، كما يفعل أمهر العطارين وتسحق بعضًا منه امام التابوت في خيمة الاجتماع حيث اجتمع بك، فيكون قدس أقداس عندكم. ولا يستخدم أحد مقاديره في صناعة بخور مثله، يكون مقدسًا عند الرب وحده. كل من يركب مثله ليشمه يستأصل من بين قومه»[2]

كما جرى وصف صنع مذبح البخور، وانه صنع من خشب السنط المغشى بالذهب، «وصنع دهن المسحة المقدس والبخور العطر النقي كما يصنعها عطار حاذق»[3]. وكذلك جرى وصف التقدمات للمسكن تضمنت «زيت للمنارة، وأطياب الدهن المسحة وللبخور العطر»[4]، كما وردت الاشارة إلى تجارة الطيب أيضًا في مكان آخر[5]. وهذا يشير إلى أهمية العطر الدينية لدى اليهود، بوصفه مادة تساهم في إقامة الطقوس، فقد كان العبرانيون يحرقون قرابينهم في محارق تلحق بالمعبد وتكون جزءًا منه[6].

ويبدو ان العرب استفادوا من الفكر اليهودي التوراتي في تفسير ظاهرة العطر، فاخذوا ذلك عنهم، ويقال إن آدم أُهبط إلى الهند ومعه كل طيب الهند، فمنه كان أصل الطيب، وانه علق بأشجارها طيب ريحه، أو

(1) سفر الخروج، 20/ 24.
(2) سفر الخروج، 30/ 34 ـ 38.
(3) سفر الخروج، 37/ 29.
(4) سفر الخروج، 25/ 1 ـ 9.
(5) سفر أرميا، 6/ 20.
(6) جواد علي: المفصل، 5/ 331.

أنه هبط إلى الأرض، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة، فلما صار إلى الأرض تحات ورقه فنبت من انواع الطيب[1].

ووصفت التوراة جنوب جزيرة العرب بأرض البخور، لان القوافل الكبرى كانت تأتي إلى الشمال (الاسماعيليين)[2]، إذ كانت جمالهم تحمل كثيراء وبلسانًا ولادنًا[3]. مما يعني وجود علاقات تجارية قديمة بين جزيرة العرب (او بين العرب) في عصر ما قبل الإسلام، وبين اليهود منذ أزمنة قديمة وثقتها التوراة. وكانت جزيرة (سقطرة)[*] ذات أهمية خاصة في عهد اليونان، لأنها تنتج محاصيل ذات قيمة كبيرة في اسواق العالم، مثل البخور والصبر والصمغ[4]. وكذلك كان الزيت المصنوع من البخور يعد مادة مهمة في الجزية، حتى ان الرومان حاولوا احتلال جزيرة العرب للاستيلاء على ثرواتها التي اشتهرت بها من الاثمار والبخور والأفاويه.. وغيرها[5].

وكانت العطور تشكل مادة اقتصادية ودينية في بعض أصقاع العرب وما جاورهم، فقد كان الزيت المصنوع من البخور يستخدم في فرض الجزية من قبل الرومان الذين حاولوا احتلال جزيرة العرب لهذا السبب للاستيلاء على ثروتها التي اشتهرت بها والتي من أهمها البخور والأفاويه؛ فضلًا عن المر واللبان[6]. ومن الناحية الدينية كانت تخزن حصصها من هذه المواد، لاستخدامها في الأعياد والشعائر الدينية، وتبيع ما يفيض عن

(1) الطبري: **تاريخ**، 1/ 125 ـ 127.
(2) ينظر: دي غوري، جيرالد: **حكام مكة**، ترجمة رزق الله بطرس، مراجعة وتعليق صباح جمال الدين (دار الوراق، لندن، 2010م)، 14.
(3) **سفر التكوين**: 37/ 25. الكثيراء واللادن والبلسان، نباتات عطرية.
(*) سقطرة: يسميها العرب (سقطري) واليونان (استطاغرا) بين عدن وبلاد الهند. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 127.
(4) جواد علي: **المفصل**، 2/ 20.
(5) جواد علي: **المفصل**، 2/ 14، 34، 53.
(6) جواد علي: **المفصل**، 2/ 14، 53، 34.

حاجتها، وكان كهان المعابد أكثرهم من البيوتات الكبيرة، ومن كبار الأغنياء لهذا السبب، وقد ساهمت مدينة غزة[*] في هذه التجارة بين العرب واليونان، حتى ان تجار اليمن من مملكة سبأ[**] كانوا يتاجرون بأفخر أنواع الطيب مع فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد[1]. وكانت مملكة معين[***] (قبل نحو 350 ـ 50ق.م) تستهلك البخور في معابدها، وتبيع الفائض وتشتري بدله ما تحتاج إليه من البضائع الأخرى، إذ أظهرت بعض الكتابات التي عثر عليها وجود تجارة لاستيراد البخور للمعابد المصرية في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد[2].

وقد حذت النصرانية حذو اليهود، فانتشرت الأديرة في أماكن كثيرة من بلاد العرب وبنيت الكثير من الكنائس العظيمة في اليمن وبلاد الشام والعراق، بسبب حركات التبشير التي يدعمها الروم فتفننوا في تزويقها وتجميلها وبنوا معها المذابح والمحاريب[3]. وكان دهن البلسان العطري له مكانة خاصة لما يعتقدونه من أثر السيد المسيح ﷺ عليه في البئر[4]، وهو يستخرج من شجر البشام وفي قرية المطرية يوجد شجرها الذي يقال ان المسيح اغتسل فيها[5].

وهذا يشير إلى أهمية الدهان والعطور والبخور لدى النصارى، وتقديمهم له واستخدامه في بعض الطقوس الدينية، وخصوصًا في أعيادهم

(*) غزة: مدينة بفلسطين على ساحل البحر المتوسط. ينظر: ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 202.

(**) مملكة سبأ: مملكة في بلاد اليمن عاصرت دولة النبي سليمان ﷺ جواد علي: **المفصل**، 2/ 202.

(1) جواد علي: **المفصل**، 2/ 88، 202، 388.

(***) ينظر: جواد علي: **المفصل**، 1/ 62 ـ 63.

(2) جواد علي: **المفصل**، 2/ 63، 94، 88.

(3) جواد علي: **المفصل**، 6/ 541، 461.

(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 3/ 312.

(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 149.

المعروفة، إلى جانب تقديسهم للصليب والحواريين والأمكنة المقدسة، كالأديرة والصوامع والكنائس.. وما شابه؛ ذلك لان النصرانية كانت منتشرة في أوساط العرب، حتى انها مارست ضغطها الثقافي الواضح في ديانتهم، حتى بنى ابرهة الأشرم كعبة القليس، ليضاهي بها كعبة العرب، على نمط الكنائس النصرانية، وليصرف العرب عن كعبتهم لأسباب دينية وسياسية واقتصادية، فكان يوقد المندل ويلطخ جدره بالمسك، فيسوده حتى يغيب الجوهر[1]. لأن العطر وسيلة جذب وإغراء وتأثير في الآخر، وخصوصًا وأن العرب ربما تأثروا بأفكار العراقيين والمصريين في ان البخور يطرد الشياطين، ويقلل المخاوف، ولكن أثر النصرانية كان بسبب ما خالط النصرانية، من نسك وزهد قريب من التصوف وشيوع الرهبنة والانعزال، حتى ان بعض الرهبان والشمامسة دخلوا مكة بحجة التطيب[2]، وهكذا نجد ان النصرانية اتصلت بالعرب، وكان لها اثرها من حيث الجانب الديني والتجاري، وكانت حلقة متممة لما لليهود من تقاليد ومعتقدات، وخصوصًا بشأن العطر واستخداماته وبيعه.

قبل الإسلام

اعتبر العرب قبل الإسلام (عصر الجاهلية) استعمال العطور دليل فرح، وتركها دليل حزن وغم، وكان الاقبال على العطور شديدًا أيام الأعياد والأفراح، وكان العرب يقدمونه كنذر لتطييب المعابد والاصنام[3]، حتى روى المؤرخون أن آدم ﷺ نزل ومعه السّندان والكلبتان والميقعة (خشبة القصار التي يدق بها) والمطرقة[4]؛ مما يشير إلى علاقة حميمة بين الارث التاريخي واستعمال الطيب عند العرب، وعرفت المرأة العربية في

---

(1) الطبري: **تاريخ**، 2/ 137.

(2) جواد علي: **المفصل**، 6/ 473.

(3) جواد علي: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج8 (المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1950م)، 93 ـ 96.

(4) الطبري: **تاريخ**، 1/ 301

العصر الجاهلي العطور وتداولتها تداولًا كثيرًا، فضلًا عن استخداماتها الدينية، حتى كان في الكعبة قرنا كبش كانا معلقين في الجدار تلقاء من دخلها وكانا يخلقان ويُطيبان إذا طُيِّب البيت[(1)].

وقدم على ملك اليمن تبع، وهو تبان أسعد، رسول ملك الهند بالهدايا والحرير والمسك وسائر الطرف فرأى ما لا يرى مثله[(2)]؛ مما يعني ان علاقة العرب بطيب الهند كانت قديمة، كما ان للطيب أثره السياسي في تطوير العلاقات بين العرب والهند، بينما كانت علاقة العرب بالصين ذات طبيعة ندية، فقد غزا شمر ذو الجناح الصين، فقدم مع حسان تبع على تبع ملك اليمن بما حازا من أموال الصين وصنوف الجوهر والطيب والسبي[(3)]، وكان معد يكرب[(*)] ملك اليمن يجلس في قصره، وهو مضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه[(4)].

كما اهتم الفرس بالطيب وحسبوه من الغنائم الثمينة حينما غزوا حلوان[(**)]، فغنموا الثياب والعطر والألطاف... وغيرها[(5)]، لأنهم اهتموا بالعطور والنباتات العطرية، حتى قيل ان زو بن طهماسب نقل إلى الزاب[(***)] الرياحين واصول الاشجار من الجبال[(6)].

وكان أهل مكة يعتقدون ان مصدر الطيب هو الهند اعتمادًا على

---

(1) جواد علي: **المفصل**: 6/340.

(2) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد الرازي (ت421هـ/ 1030م): **تجارب الامم**، تح أبو القاسم إمامي، ج1 (دار سروش للطباعة والنشر، تهران ط2، 1379ش / 1422هـ/ 2001م)، 91.

(3) م. س، 1/ 178 ـ 179.

(*) معد يكرب، ملك يمني معروف قبل الإسلام. جواد علي: **المفصل**، 3/ 383.

(4) المسعودي، علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح شارل بلا، ج2 (المطابع الكاثوليكية، بيروت 1966م)، 206.

(**) ترجمة: ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 291.

(5) مسكويه: **تجارب الامم**، 1/ 356.

(***) الزاب، رافد ينزل على نهر دجلة متدفقًا من مناطق محاذية للخابور.

(6) مسكويه: **تجارب الامم**، 1/ 70

مؤثرات يهودية معروفة[1]، كما كانوا يتقلدون لحاء شجر الحرم، وربما تقلد بعضهم قلادة من إذخر، وهو نبات زكي الرائحة[2]، ولا أريد هنا أن أستبق الإشارة إلى ما سيرد في موضوع تجارة العطر، حيث سنذكر شيئًا من تجارته بمكة والمدينة، ولكن العطر كان مستخدمًا في الأعراس والأعياد والأفراح، فقد كانت غفيرة بنت غفار قد تضمخت بالطيب حين تزوجت رجلًا من قومها بني جديس، لكن ملكهم من العماليق كان يفتض كل عروس عذراء، قبل ملامسة زوجها كجزء من سلطته الدينية والدنيوية، فلما افترعها عيرت أهلها وعشيرتها، فقالت:

ودونكم طيب النساء وإنما خلقتم جميعًا للتزين والكحل
فلو أننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكنا لا نقيم على ذحل[3]

كما كان تميم الداري(*) يبيع العطر في الجاهلية، وهو من لخم فخطب أسماء بنت أبي بكر(**)، فماكسهم (أي ماحكهم) في المهر، فلم يجزوه، فلما جاء الإسلام، جاء بعطر يبيعه فساومته اسماء، فقالت له: طالما ضرك مكاسك، فلما عرفها استحيا وسامحها في بيعه[4]، وكذلك كانت اسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة، فقالت لربيع بنت معوذ بن

---

(1) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد (ت نحو 250هـ/ 864م): **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تح رشدي صالح ملحسن، ج2 (دار الاندلس، مطابع ماتبوكرومو، مدريد ـ اسبانيا د.ت)، 50.

(2) الآلوسي، محمود شكري (ت 1924م): **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج2 (المطبعة الرحمانية، القاهرة 1342، هـ/ 1924)، 289.

(3) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/ 868م): **المحاسن والأضداد** (دار إحياء العلوم، بيروت، 1406هـ/ 1986م)، 184.

(*) نسبة إلى بيعه العطر، والداري المنسوب إلى دارين، وهي إحدى أسواق العرب.

(**) صحابية معروفة أم عبد الله بن الزبير (ت نحو 74هـ). ترجمتها: ابن حجر، أحمد ابن علي (ت852هـ/ 1448م): **تقريب التهذيب**، صلاح الدين عبد الموجود، ج2 (دار ابن رجب، المنصورة ـ مصر، 1425هـ/ 2004م)، 696.

(4) الآبي، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت421هـ/ 1030م): **نثر الدر**، تح محمد علي قرنة، مراجعة حسين نصار، ج4 (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م)، 92.

عفراء الانصارية: حرام عليَّ أن أبيعك من عطري شيئًا، فردت عليها: وحرام عليَّ أن أشتري منه شيئًا، فما وجدت لعطر نتنًا غير عطرك[1].

وقيل ان امرأة عطارة اسمها منشم كانت تبيع العطر، فتحالف قوم فادخلوا ايديهم في عطرها على ان يتقاتلوا حتى يموتوا، حتى سرى مثلًا بينهم (دقوا بينهم عطر منشم)، قال زهير بن أبي سلمى[*].

تداركتما عبسًا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقال الأعشى:

فدع ذا ولكن لا ترى قول كاشح يرى بيننا من جهلة دق منشم

وكانت منشم عطارة بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا ارادوا القتال يطيبون من طيبها، حتى قالوا: (أشأم من عطر منشم)[2]؛ مما يبرز الجانب الطقسي في العطر، لأنه بنظر العرب، من طيب الجنة الذي انزله آدم معه. ومن هذا المنطلق ظهرت فكرة حلف المطيبين، حتى صنعت لهم عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية[**] طيبًا فغمسوا أيديهم فيه[3]، فجاؤوا بجفنة مملوءة طيبًا، فوضعوها حول الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبة، بأيديهم، توكيدًا على أنفسهم فسموا المطيبين[4]؛ فكان الطيب درءًا، لاحتمالات

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 1/ 74.

(*) زهير بن أبي سلمى شاعر مخضرم معروف، ترجمه: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تح دي. غويه، مراجعة محمد يوسف نجم، ق1 (دار الثقافة، بيروت، ط4، 1400هـ/ 1980م)، 76 ـ 88.

(2) الأصمعي: **الأمثال**، 91؛ ينظر: زهير بن أبي سلمى (ت نحو 13ق.هـ / 609م): **ديوانه بشرح ثعلب** (مط دار الكتب المصرية، القاهرة 1363هـ/ 1944م)، 15 ـ 16؛ النويري: **نهاية الأرب**، 3/ 18.

(**) سيدة قريشية عمة النبي ﷺ. ينظر: اليعقوبي: تاريخ، 2/ 3.

(3) ينظر: اليعقوبي: **تاريخ**، 2/ 3. اليعقوبي: **تاريخ**، 2/ 13.

(4) ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت230هـ/ 844م): **الطبقات الكبرى**، ج1 (دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1377هـ/ 1957م)، 77؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (طيب).

التملص أو الخيانة، وهو يستقي هذه الصفة من اعتقاد ديني قديم، قد يرتبط بنزول الطيب من الجنة، أو من العقائد القديمة التي ترى بانه يطرد الشياطين والأشباح، ويطهر المكان من الأدران، حتى انهم كانوا يوقدون الطيب المندلي في نار القرى، ترحيبًا بالضيف، حتى تغريه بالحضور. والمندلي عطر هندي معروف، وقيل لكي يستدل عليها العميان من الرائحة، وهذه النار من أجلِّ سائر نيرانهم[1]، ربما لأنها امتزجت بالطيب، ودللت على احتفائهم بالضيف، وافتخارهم بقراه، فهي جزء من تقاليدهم ومواطن اعتزازهم.

وقبل الإسلام وفد سادة قريش على سيف بن ذي يزن[*]، بعد أن ظفر بالحبشة، فاستأذنوا عليه، فأذن لهم فإذا الملك متضمخ بالعنبر، ووميض المسك من مفرقه إلى قدميه وسيفه بين يديه[2]؛ مما يشير إلى ان العطر جزء من هيبة الملك واناقة السلطة، فضلًا عن أثره النفسي وطيب رائحته، لهذا كان الملوك يفضلون ان يلقوا الوفود، وهم معطرون بأفضل أنواع العطر وأجوده واكثره قبولًا وتقبلًا من الاخرين، حتى كان جزءًا من مظاهر الفرح وأيام العرس، فقد اعرس عدي بن اخت جذيمة الأبرش على رقاش بنت مالك، واصبح مضرجًا بالخلوق، فانكر عليه جذيمة[3]، كما سنرى لاحقًا. كما كانت قريش تجمر الكعبة وتبخرها حتى احترقت فاضطرت قريش إلى هدمها واعادة بنائها[4]، ومن هذا المنطلق كانت العرب تعد الطيب جزءًا من حالة الفرح، واصبح التخلي عنه جزءًا من اظهار حالة الحزن أو النسك، حتى ان دريد بن

(1) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 1/ 69 ـ 70.

(*) وهو أول ملك متوج من ملوك حمير باليمن: ينظر: وهب بن منبة (ت نحو 116هـ / 734م): **التيجان في ملوك حمير** (مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء 1347هـ)، 319.

(2) الأزرقي: **اخبار مكة**، 1/ 150.

(3) الطبري: **تاريخ** 1/ 615.

(4) الأزرقي: **اخبار مكة**، 1/ 158.

الصمة(*) حلف ان لا يكتحل «ولا يدهن ولا يمس طيبًا، ولا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى يُدرك ثأره»[1]، كما كانت الحِلَّة، وهم المتشددون من خزاعة ومن جاور قريش، يشددون على انفسهم في دينهم، فإذا نسكوا لم يسلئوا سمنًا، ولم يدخروا لبنًا، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى تعافه، ولم يجزوا شعرًا ولا ظفرًا، ولم يدهنوا ولم يسموا النساء ولا الطيب[2]؛ مما يشير إلى أن طقوس الطيب، هي جزء من موقف شامل من الترف وتعبير عن استعداد واضح للتمتع بملاذ الحياة في الاكل والجسد والمتع المتعددة، وعندما أراد حاجب بن زرارة من(**) (القدور) وهي جارية أرادت أمه أن تختبره، فبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور، فقالت: ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته، ثم ردها عليها، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع، فقالت: انه لخليق للخير، ثم توجه إلى المنذر بن ماء السماء، أحد ملوك الحيرة وكسرى ملك فارس، حتى جاء محلة بني شيبان، فلم يجدها، فقال لقيط:

انظر قراد وهاتا نظرة جزعا عرض الشقائق هل بينت اضعانا؟
فيهن أترجة نضح العبير بها تكسي ترائبها شذرًا ومرجانا[3]

في صورة حية لعلاقة الطيب بالفرح والجسد، وفي تعبيره عن حياة العرب وقدرتهم على رسم صورة حية عن واقعهم، وكيفية التعبير عن المواقف عبر ممارسة خاصة في التعامل مع الطيب، حتى بالغوا في ترف النضيرة بنت الضيرن، ووصفوها بالخيانة، وكأن الترف والطيب بغير

(*) دريد بن الصمة القشيري، أحد شجعان العرب. ترجمة: الأصفهاني: **الأغاني**، 10/ 3.
(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 10/ 13.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 226.
(**) أخو لقيط بن زرارة بن عدس، شاعر جاهلي. ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 2/ 599.
(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 196 ـ 197.

الاخلاق والموقف؛ ورووا أن نفسها عافت النوم بعد أن التصقت بها ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكنها، فكانت تتضور من خشونة فرشها هذا[1].

وقرن العرب الحرب بالعطر، حتى ان يوم حليمة[*] كان مشهودًا، وبه كان اقتران الطيب بالحرب، وبه قالت العرب (ما يوم حليمة بسر)، في اشارة إلى انتشار العطر في ساحات الوغى، وفيه سار المنذر بن المنذر بعرب العراق إلى الحارث الأعرج الغساني، وهو الأكبر حتى سد الغبار عيني الشمس، وكان للغساني ابنة اسمها حليمة، فأعطاها تورًا (وعاء) فيه خلوق، وقال لها خلقي به قومك، فلما خلقتم تناوحوا واجلوا عدوهم، وملكوا الشام، وفيه قتل المنذر بن ماء السماء؛ فكانت حليمة تخلق قومها وتحرضهم على القتال (حتى الموت)، فلما قبلها أحد الشباب شكته إلى ابويها فقالا لها: اسكتي، فما في القوم أجلد منه حين اجترأ وفعل هذا، فلما أبلى بلاءً حسنًا، وانجلى غبار الحرب زوجوه بها[2]، وهذا يشير إلى صلة الطيب بالحرب والحب والموت وقوة الالتصاق بالحياة.

واكمالًا للتوجه السابق في علاقة الموت بالطيب، مع ان دلالة الطيب عند العرب تقترن بالفرح، وما شاع لديهم من عادة سيئة، وهي وأد البنات والوأد دفن البنت وهي حية، قال:

مالقي الموؤود من ظلم أُمهِ كما لقيت ذهلٌ جميعًا وعامر[3]

فكان العربي إذا أراد ان يئد ابنته طيبها وزينها[4]، فكيف تقترن الزينة والعطر بالحزن؟ وكيف يفعل العربي ذلك؟.

---

(1) الطبري: **تاريخ**، 2/ 50؛ الأصفهاني: **الاغاني**، 2/ 118.

(*) حليمة بنت الحارث الغساني، نائب قيصر على الشام. ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 296.

(2) ينظر: وهب بن منيه: **التيجان**، 297؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 296؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حلم)؛ جواد علي: **المفصل**، 3/ 313.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (وأد).

(4) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 3/ 43.

أظن أن التقاليد تفرض عليه أن تقترن بهجة الحياة بالطيب، وان يختتمها به، أو انه يفعل ذلك وهو غير راغب؛ لهذا يودعها وهي مشحونة بطاقة حية من العنفوان والبهجة، وما تفوح به من طيب ليؤكد بذلك على قوة الحياة، ووصف مجلس جبلة بن الايهم(*) آخر ملوك الغساسنة النصارى، بانه مجلس شراب وطيب، إذ كان الطيب شائعًا في مجلسه؛ فقال أحد الرواة: «وأقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة مؤدب، وفي يدها اليمنى جامع فيه مسك وعنبر قد خلطا، وأُنعم سحقهما، وفي اليسرى جامع فيه ماء ورد فألقت الطائر في ماء الورد فتمعك فيها، فلم يدع فيها شيئًا ثم نفَّرته، فطار فسقط على تاج جبلة، ثم رفرف ونفض ريشه، فما بقي عليه شيء إلا سقط على راس جبلة، ثم قال للجواري: أطربني فخفقن بعيدانهن»[1]، ووصفه النابغة الذبياني بأسجاع له، فقال: «قد حالفت الإضريج عاتقيك، ولاءم المسك مسكك، وجاور العنبر ترائبك»[2]، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين واصناف الرياحين، وضرب له العنبر والمسك في صحائف الفضة والذهب، وأتى المسك الصحيح في صحاف الفضة، وأوقد له العود المندلي أن كان شاتيًا[3].

كما قرن العرب الطيب بالتجارة، فسموا الطيب لطيمة بحيث أصبح للطيب تاريخه ورموزه المتعددة التي تجعل منه مادة ثمينة، ليس من السهل الاحتفاظ بها، أو المتاجرة؛ فريح العطر النفاذة تتوغل في الجسد الانساني شرقًا وغربًا، وتتوغل في حياته وصور كثيرة لها أثرها الواضح، كما في يوم الصفقة، لما للعطر من أهمية اقتصادية مهمة، وقد كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يبعث باللطائم إلى سوق عكاظ، في وقت حرب الفجار يجيزها سيد مضر فيبيع ويشتري له بثمنها بضائع أخرى،

(*) ترجمته: الأصفهاني: **الأغاني**، 15/ 122.
(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 15/ 128.
(2) م. س، 15/ 124
(3) شوقي ضيف: **العصر الجاهلي** (دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت)، 43.

فجهز لطيمة له فتنافس عليها بعض المتنافسين[1]؛ فحصل بسبب ذلك يوم من أيام العرب يوم الصفقة، وسميت بذلك من الاصطفاق، وهو أحد طقوس البيع عند العرب، وهو من طقوس التجارة التي اقترنت بتاريخ العطر، ومحاولة الفرس الهيمنة على مقدرات العرب الاقتصادية والسياسية، لانهم كانوا يسيطرون على طرق المواصلات التي تنقل العطر وتشتريه وتصدره.

بعد الإسلام

تشبع العرب بروح العطر وتوثقت صلتهم به قبل الإسلام بمكة، فقد كانت سوقًا تجارية غالب اهلها تجار، ومنهم المسلمون الاوائل الذين هاجروا فيما بعد إلى يثرب (المدينة المنورة)، وهذا ما يبدو فعلًا على اهتمام النبي ﷺ بالطيب وكثرة استعماله، حتى قيل انه كان يتطيب حتى انه طيب رداءه من موضع رأسه، وحتى يرى وميض المسك من مفرقه، وحتى يعرف مجيئه يطيب رائحته من بعيد قبل ان يرى، وكان يقول: أطيب الطيب المسك، وكان لا يعرض عليه طيب إلا تطيب به، حتى كان يلبس الملحفة المصبوغة بالزعفران والورس[2]. كما وصف في حديثه الجليس الصالح بالداري، وهو (تاجر المسك)، وقال: ان لم يُحذِك من عطره عَلقك من ريحه، أي ان لم يعطك[3]. وسميت المدينة طيبة، لان طيبها ينفي خبثها ويتضوع طيبها في ريح ثراها، وعرف ترابها ونسيم هوائها، وبها العطر والبخور والنضوح من الرائحة الطيبة أضعاف ما يوجد روائحه في سائر البلدان، وان كان العطر أفخر والبخور أثمن، وربة بلدة يستحيل فيها العطر وتذهب رائحته كقصبة الأحواز وانطاكية[4].

وكان النبي ﷺ يتطيب وقت إحرامه في حجة الوداع لحله

---

(1) الأصفهاني: **الاغاني**، 22/ 64 ـ 65؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 413 ـ 414.

(2) اليعقوبي: **تاريخ**، 2/ 77.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حذا).

(4) الثعالبي: **لطائف المعارف**، 155.

وإحرامه[1]، وهي عطر معروف بمكة يستورد من الهند وهو ما أنتجه قصب الطيب[2]. وكان الصحابي عمار بن ياسر ﷺ[*] (ت37هـ/ 657م) يقول: «مثل الجليس الصالح مثل العطار، إلا تجد من عطره، يصل اليك ريحه، ومثل الجليس السوء مثل الكير، ان لم يحرقك بناره، أصابك من شرره ونتن ريحه»[3] وكانت معركة بدر سنة 2هـ/ 623م بسبب قافلة للعطر، فوصل قائد القافلة ضمضم بن عمر الغفاري ينادي قريشًا قائلًا: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان بن حرب[**] قد عرض لها محمد وأصحابه[4]. من هنا يمكن ان نلحظ ان الطيب متوغل في حركة الحياة الاقتصادية والسياسية، وإنه يشكل عصب الاقتصاد ومحور السياسة فيه، فالإسلام منح الطيب صورته السابقة، ودعم حضوره الديني حتى اصبح مركز أول حرب بين المسلمين ومشركي قريش، وليس من المستبعد ان الجانب الديني هو الذي منح الطيب قوته الاقتصادية؛ فضلًا عن التأثير الجسدي، لذا قالت احدى النساء:

ألا ليت زوجي من اناسٍ ذوي غنى حديث الشباب طيب الريح والعطرِ
طبيب بأدواء النساء كأنه خليفة جانٍ لا ينام على هجر[5]

وفي سنة 10هـ/ 631م ظهر مسيلمة الحنفي، الذي سماه المسلمون

(1) ابن القيم: **الطب النبوي**، 261.
(2) جواد علي: **المفصل**، 7/ 237.
(*) صحابي مشهور. ترجمته: ابن حجر: **تقريب التهذيب**، 1/ 363.
(3) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر (ت279هـ/ 892م): **انساب الأشراف**، تح محمد حميد الله، ج1 (معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ـ دار المعارف بمصر، القاهرة، 1959م)، 162.
(**) صحابي، والد معاوية بن أبي سفيان، وواحد من سادة قريش في الجاهلية. ينظر: ابن سعد: **الطبقات**، 7/ 206.
(4) الأصفهاني: **الاغاني**، 4/ 178.
(5) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت 280هـ/ 893م): **بلاغات النساء**، ضمن كتاب **الجنس عند العرب**، ج3 (دار الجمل، كولينا ـ المانيا 1999م) 51.

بالكذاب، وظهرت امرأة من نساء العرب تسمى سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقفان، كانت نصرانية وتنتسب في بني تميم[1] واتفقت معه على مواجهة المد الإسلامي، وتشير بعض الروايات إلى أن هذا الاتفاق السياسي جاء لاسباب جنسية/ جسدية، وان العطر كان بطل هذه الرحلة بينها وبين مسيلمة بن قيس الحنفي؛ فأشار المقربون إليه ان يضرب خارج بلده قبة من الديباج الملون، وان ينضحها نضحا عجيبًا بأنواع المياه الممسكة، مثل الورد والزهر والنسرين والفشوش والقرنفل والبنفسج.. وغير ذلك، وان يدخل المباخر المذهبة بأنواع الطيب، مثل العود والقماري والعنبر الخام والعود الرطب والعنبر المقصر والمسك.. وغيره، فإذا اجتمعت بها وشمت الرائحة انحلت وارتخى منها كل عنصر، وبقيت مدهوشة فإذا رأيتها في تلك الحالة راودها عن نفسها، فإنها تعطيك، فإذا نكحتها نجوت من شرها ومن شر قومها[2]؛ مما يشير إلى وجود طقوس في الجنس لها أثرها السياسي، لهذا يرى أحد الباحثين بقضية الجسد «إن الحقيقة لا تسلك هذا الطريق، ولكنه في حاجة إلى مسيلمة لارتياد استيهامه»[3]، في اشارة إلى التوافق السياسي الذي شكل فيه العطر محورًا مهمًا في تمرير صفقة سياسية لها أبعادها، وهذا ما دفع الرواة إلى رواية الاشعار التي تشير إلى شهوانيتها، فقد كان الجسد يشكل محورًا مهمًا في الحياة الانسانية، وفي الحياة السياسية بعد ظهور الإسلام، ويشير إلى ان الإسلام لم يغير من حركة الحياة في علاقتها بالعطر ـ ان لم يزد منها ويقوي منها ويمنح تأثيرها الأكثر قداسة ـ حتى ان اصحاب الجمل كانوا يقولون: بعر جمل أُمنا ريحه ريح المسك[4]. في محاولة لمنح بعر الجمل

---

(1) الطبري: **تاريخ**، 3/ 137، 269 ـ 270.

(2) النفزاوي، محمد أبي بكر بن علي (ت نحو 725هـ/ 1324م): **الروض العاطر في نزهة الخاطر**، تح جمال جمعة (دار رياض الريس، لندن، 1990م)، 32.

(3) الخطيبي، عبد الكبير: **الاسم العربي الجريح**، ترجمة محمد بنيس (دار الجمل، بغداد ـ بيروت، 2009م)، 137.

(4) الطبري: **تاريخ**، 4/ 523.

قدسية خاصة تتعلق بقدرة الطيب/ المسك على طرد الشر، وزرع روح الأمل، وقوة التأثير؛ ومن هذا المنطلق كان تأثير الإسلام في قدسية العطر أن أحال نجاسة الروث إلى مسك.

في العصر الأموي

في سنة 40هـ / 660م استطاع معاوية بن أبي سفيان(*) ان يوحد الدولة الإسلامية تحت سلطانه، بدهائه وحنكته واسكات الخصوم وبذل العطايا، وكان محبًا للترف ومشبعًا بالحياة الارستقراطية التي عاشها في مكة، فكان تاجرًا وابن تاجر، لذا أحب الطيب حتى انه سماه (الغالية)، لأنه شمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(**)، فاستطابها فسأله عنها، فوصفها له فقال: هذه غالية[1].ومن هذا المنطلق حاول معاوية أن يعيد لمكة بهجتها واحتفالها بالطيب، فكان أول من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر، واجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال[2]، وكذلك كانت أُخته تهتم بالطيب، وهو خليفة حين وصفها عبد الرحمن بن حسان بن ثابت(***)، وصفًا له أسباب سياسية:

تجعل الند والألوة والعو ... دِ صلاةً لها على الكانونِ
وقَباب قد أُشرجت وبيوت ... نُطّقَت بالريحان والزَّرجونِ[3]

واستمرت عادة تلطيخ الكعبة بالطيب إلى عهد عبد الله بن الزبير(****)

(*) بويع بالخلافة وتم له الصلح مع الحسن بن علي ﷺ سنة 41هـ/ 661م، وتوفي سنه 60هـ/ 679م. ترجمته: ابن سعد: **الطبقات**، 7/ 406.

(**) وهو من بني عبد المطلب بن هاشم.ينظر: الطبري: **تاريخ**، 5/ 337.

(1) محمد كرد علي: **خطط الشام**، ج4 (مط الترقي، دمشق، 1246هـ/ 1927م) 173.

(2) الازرقي: **اخبار مكة**، 1/ 254.

(***) شاعر أموي، وهو ابن الشاعر حسان بن ثابت، وأخباره في: الأصفهاني: **الاغاني**، 15/ 85.

(3) الأصفهاني: **الاغاني**، 15/ 85.

(****) صحابي وابن صحابي وامه صحابية اسماء بنت أبي بكر. ترجمه: ابن حجر: **تقريب التهذيب**، 254.

(ت 73هـ/ 662م)، فكان يخلّق جوفها بالعنبر والمسك، ولطخ جدرها من الخارج بالمسك، وسترها بالديباج حتى انه كان يجمرها كل يوم برطل من مجمر ويجمِّر الكعبة يوم الجمعة برطلين من مجمر[1]، حيث يقترن التاريخ بالطيب لتوكيد الجانب المقدس ومنحه قوة فاعلة؛ مما يعني أن الإسلام حاول التعبير عن تقديسه للمكان، عبر إيجاد صله نفسية وجسدية، ونزعة حسية ذات أبعاد شمية لتوكيد الايمان الظاهر بقوة مكة ومركزيتها الدينية والسياسية.

وبعثت سكينة بنت الحسين بن علي ﷺ[*] إلى حَبش بن دلجة[**] بغالية، لأنه كان من أخوالها، فلما وصلت إليه قال: فأين كانت عن الصياح؟ يقدر ان الصياح أرفع من الغالية[2]، في اشارة إلى شيوع تهادي العطور الثمينة، وخصوصًا الغالية التي ظهرت كتركيبة نادرة ونفيسة ومرتفعة الثمن لا يقتنيها، إلا أصحاب الأموال وسادة المجتمع. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: «وأما الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري أيه أطيب»[3]، وفي العصر الأموي ظهر للعيان مربد البصرة، كسوق ثقافي وبرزت فيه نقائض الشعراء، فكان من أشهر محالها، فتحول من سوق للإبل إلى محلة عظيمة، سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء[4]، وظهوره تأكيد لعلاقة الاقتصاد بالحياة الثقافية، والحضارة فلطالما اتصلت التطورات الحضارية التي يعد العطر أحد معالمها بالثقافة التي كان الشعر أهم معالمها، وقد أكثر شعراء العصر الأموي من وصف العطور، واصناف الطيب في شعرهم، كالمسك والعنبر وانواع الزهور؛

---

(1) الأزرقي: **أخبار مكة**، 1/ 219، 257.

(*) سيدة معروفة من سيدات قريش، يقال أن اسمها (أمينة أو أميمة)، توفيت سنه 117هـ/ 735م، ينظر: ابن سعد: **الطبقات**، 8/ 475.

(**) سترد أخبارها لاحقًا.

(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 16/ 94.

(3) المسعودي: **مروج الذهب**، 3/ 212.

(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 98.

فهذا عمر بن أبي ربيعة المخزومي، يقول(*):

فسقتك بشرةُ عنبرًا، وقرنفلاً، والزنجبيل، وخلط ذا عُقارا
والذوب من عسلِ الشَّراة، كانما غِصب الاميرُ تبيعه المشتارا[1]

وهو يحاول ان يؤكد الصلة الحميمة، بين العطر والخمر في نكهتها فكأنهما خلطا معًا، وهو ما يبدو على شعر جميل بن معمر العذري(**) أيضًا، إذ يقول:

يستاف ريح مُدامةٍ معجونَةٍ بذكي مسك أو سحيق العنبر[2]

وهذا يعني شيوع استعمال الطيب، نتيجة كثرة تداوله، ووفرة ثمينة، وشيوع شرب الخمر وصناعتها، وانتشار الحانات التي تبيعها، بحيث صار تشبيه العقار بالطيب، ظاهرة ثقافية تقوم على الوصف.

وفي سنة 91هـ/ 710م قدم بطيب مسجد رسول الله ﷺ ومجمرة وبكسوة الكعبة، فنشرت وعلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط[3] فاصبح هذا المنهج تقليدًا سنويًا حتى قيام الدولة العثمانية، وجزءًا من مراسيم الخليفة، واهتمامه بالأمور الدينية؛ وهو يوازي الاهتمام بالمسجد الحرام وتجديده، وجزءًا من الاهتمام بكسوة الكعبة التي اصبحت تسمى المحمل، فكان اقتران (المجمرة) بالكسوة تعبيرًا عن دخول العطر في الحياة الدينية والاحتفالات الطقسية، التي تعبر عن الجانب الاحتفالي

(*) شاعر من شعراء العصر الاموي، صاحب غزل، ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 2/ 457 ـ 462.

(1) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة (ت 93هـ/ 712م): **ديوانه**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية الكبرى، مط السعادة، القاهرة، ط2، 1380هـ/ 1960م)، 128.

(**) شاعر غزل من العصر الاموي من بني عذرة. ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء1**، / 346 ـ 355.

(2) جميل بن معمر (ت82هـ/ 701) **ديوانه**، شرح إبراهيم جزيني (دار الكاتب العربي بيروت 1488هـ/ 1968م)، 46.

(3) الطبري: **تاريخ**، 6/ 467.

والطقسي للعطر في المسجد النبوي الشريف، بعد ان كان المسجد الحرام هو الأكثر جذبًا واهتمامًا قبل هذه المرحلة؛ مما يشير إلى ان الوليد بن عبد الملك بن مروان[*] (ت96هـ/ 714م) كان يفعل ذلك، لاهتمامه المعروف بالعمارة وبناء المساجد وترميمها، وان الحركة العمرانية في زمانه اقترنت بالجوانب التجميلية والكمالية. كما اشتهر الخلفاء الأمويون بالاهتمام بالعطر، بوقت مبكر منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، ثم عرف باستخدام الطيب بكثافة عالية عمر بن عبد العزيز[**] (ت 101هـ/ 719م) حتى روى بعض الرواة حكاية تقول: «كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في اثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب فيها يعني المسك. قال: ثم رأيت ثيابه بعد ذلك وقد ولي الخلافة فرأيت غير ما كنت أعرف»[1]، وبالغ بعضهم فروى انه حين أعرس بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة الغالية[2]، والى ذلك اشار الشاعر جرير[***]، وهو يمدحه:

ذكـرتـنـا مـسـك داري لـه أرجٌ وبالـحـنـيِّ خزامى لـها الرَّهَـم[3]

وهذا يشير إلى تصاعد حالة الترف ونزعة التأنق والاهتمام بالمظاهر، لكسب ثقة الآخر، والتعبير عن توغل الجانب المظهري في حياة الاسرة الأموية، وهذا ما ألقى بظلاله على حياة الخلفاء الأمويين، فيما بعد حتى

(*) خليفة أموي، ترجمته: الطبري: **تاريخ**، 6/ 242.

(**) خليفة أموي زاهد، ترجمه: ابن سعد: **الطبقات**، 5/ 330؛ الطبري: **تاريخ**، 6/ 565.

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 9/ 253.

(2) الدنيوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي (ت298هـ/ 910م): **المجالسة وجواهر العلم** (دار ابن حزم، بيروت1423، هـ/ 2002م)، 506.

(***) جرير بن عطية الخطفى، شاعر أموي معروف (ت110هـ/ 728م). ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 1/ 374.

(3) جرير بن عطية (ت17هـ/ 728م) **ديوانه**، تح حمدو طماس (دار المعرفة بيروت ط3 1429هـ/ 2008م) 375.

أن هشام بن عبد الملك(*) (ت 125هـ/ 742م) لما ولي الخلافة كان بين يديه صفحة من ذهب مملوءة مسكًا مُذُبًا بماء ورد وهو يقلبه بيده، فتفوح رائحته[1]، وله غالية سميت بغالية هشام بن عبد الملك، اهتم بها مؤرخو العطر واهتموا بتركيبتها، وسنعرض لها في صناعة العطر[2]؛ بينما كان جده مروان بن الحكم(**)، يقول عن مالك بن جبرة(***) بعد ان توطد ملكه: إن قومًا يدعون شروطًا منهم عطارة مُكحلة، يعني مالكًا فانه كان يتطيَّب ويتكحل[3]. في إشارة واضحة إلى ان مرحلة مروان بن الحكم، كانت مرحلة جد وليست مرحلة ترف، إذ كانت الصراعات الداخلية والخارجية على أشدها، كما أخرج الوليد بن يزيد حين ولى، الطيب والكسوة[4]. ثم انتقل هذا الاهتمام بالطيب إلى خصومهم العباسيين الذين، كانوا يتربصون بهم وينتظرون القضاء عليهم؛ ففي سنة 127هـ/ 744م وحين قامت الدعوة العباسية، كان بيد ابراهيم بن محمد الامام(****) عشرون ألف دينار ومائتا ألف درهم، ومسك ومتاع كثير، فأمرهم بدفعه إلى ابن عروة مولى محمد بن علي[5].

(*) خليفة أموي معروف، ترجمته: السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد (مط السعادة، القاهرة 1964، م) 247.

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت874هـ/ 1469م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة**، ج1 (دار الكتب العلمية، بيروت1992، م)، 378.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 32.

(**) خليفة اموي وصحابي (ت65هـ/ 486م)، ترجمته: ابن سعد: **الطبقات**، 5/ 35.

(***) مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم السكوني الكندي، أبو سعيد نزل مصر وولي حمص مات في ايام مروان، له صحبة: ابن حجر: **تقريب التهذيب** 413.

(3) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 1/ 217.

(4) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (ت 630هـ/ 1233م): **الكامل في التاريخ**، تح عمر عبد السلام تدمري، ج4 (دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1424هـ/ 2004م)، 288.

(****) إبراهيم الامام، قائد الثورة العباسية.

(5) الطبري: **تاريخ**، 7/ 329.

في العصر العباسي

وفي هذا العصر كثرت الجواري وبنيت بغداد، فصارت قبلة الدنيا وبهجتها، وظهرت مهنة العطار، حتى اصبحت مهنة شائعة وعرف في بغداد سوق متخصص بالعطوريات، سمي سوق العطارين، وكان به (43) دكانًا، وهو بالجانب الشرقي من بغداد[1]، كما سمي أحد محال بغداد باسم سوق الرياحين[2]، ولعلها هي منظرة الرياحين التي في السوق الذي يباع فيه الريحان والفواكه، وتشرف على سوق الصرف ببغداد[3] ونسبة إلى الزعفران سميت قرية على مرحلة من همذان، ومنها الشاعر الزعفراني، وهي قرية قرب بغداد منها الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وببغداد محلة تسمى درب الزعفراني[4]. أما قلعة الزعفران، فهي من اعمال الموصل حصن مشهور يعرف قديمًا بدير الزعفران[5]. وظهر لقب العطار جليًا واضحًا، من أمثال محمد بن علي العطار، وامثال أبي الفضل نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب العطار الرسي، نزل نيسابور سنة 330هـ/ 941م، فأقام بها ثم خرج إلى ما وراء النهر[6] سنة 350هـ/ 961م، وابي سعيد اليهودي العطار، وبنان العطارة[7] كما نشطت حركة التصنيف والاهتمام بالعطر، حتى ذكر ان إبراهيم بن المهدي[*]

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 212؛ مصطفى جواد وأحمد سوسة: **دليل خارطة بغداد المفصل**، (مط المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1378هـ/ 1958م)، 300.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 420.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 212.

(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 141؛ ابن خلكان: **وفيات الاعيان**، 2/ 73 ـ 74.

(5) ابن الأثير: **الكامل**، 10/ 407.

(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 380.

(7) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 36، 47.

(*) عم الأمين والمأمون واخو الرشيد له باع في الشعر. ترجمته: الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/ 1070م): **تاريخ بغداد**، ج6 (المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت)، 142.

(ت224هـ/ 839م) صنف كتابًا عنوانه (الطيب)[1].

وكلف المتوكل جحظة البرمكي الشاعر بتصنيف كتاب (في العطر)، وقيل (العطر)[2]، واصبح الخلفاء يكلفون صناع العطر باستحضارات خاصة، سميت بأسمائها، وهي التي عرض لها كتاب (جيب العروس وريحان النفوس) الذي يسمى اختصارًا (طيب العروس)، وتطور استخدام العطر وشاع استعماله، وتوسع بشكل ملحوظ نتيجة اهتمام الخلفاء والسلاطين والامراء به، حتى شاع ضرب من الحلي يصاغ مجوفًا، ليحشى بالطيب تجعله المرأة في القلائد يسمى (الكبيسي)، وكذلك نوع من الخواتيم[3].

ولما تولى أبو العباس السفاح بعد سنة 132هـ/ 749م عمد نصارى نجران إلى طريقة يوم ظهوره من الكوفة، بعد ترحيلهم إليها فألقوا فيها الريحان ونثروه عليه فاعجب ذلك من فعلهم[4].

وفي سنة 182هـ/ 798م مات القاضي أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم وكانت ام جعفر استفتته في مسألة فأفتاها بما وافق مرادها، فبعثت إليه بحق فضة[*] فيه حقاق فضة، في كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وأشياء أُخرى[5].

وفي سنة 187هـ/ 802م حيث نكب البرامكة، قال بعض الكتاب: كنت أنظر في ديوان النفقات وما يخرج من الخزائن، فانتهيت يومًا إلى ورقة فيها، وفي هذا اليوم أخرج إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيى

---

(1) الشريف الادريسي، أبو عبدالله محمد بن ادريس الحمودي الحسني الصقلي (ت650هـ/ 1252م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (عالم الكتب، بيروت، 1409هـ / 1980م) 66.

(2) التيفاشي: **سرور النفس**، 228.

(3) العلي: **التزيق والحلي** 76.

(4) ابن الاثير: **الكامل**، 2/ 159.

(*) الحق: هو الظرف أو الوعاء الذي يخزن فيه الطيب أو السمن، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حقق).

(5) المسعودي: **مروج الذهب**، 4/ 199 ـ 200. ينظر: ترجمته في هذا الموضع.

ادام الله كرامته... كذا... من الكسوة والطيب كذا، حتى بلغ مقداره 30 الف درهم[1].

وفي سنة 198هـ/ 813م وجه إلى هارون الرشيد من الهدايا من علي ابن عيسى[*] لم ير مثلها قط من الخيل والرقيق والثياب والمسك[2].

وفي سنة 255هـ/ 868م وجه يعقوب بن الليث بن الصفار إلى المعتز[**] بدواب وبزاة ومسك وثياب هدية[3]؛ مما يشير إلى أهمية العطور في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الخاصة بين القواد والخلفاء.

ومن الاحداث التاريخية المتعلقة بالعطر، حين ظهر أخو الحسين بن زكرويه صاحب الشامة اوقرت ثلاثة آلاف راحلة معها زهاء مائتي كر[***] حنطة، ومن البز والعطر والسقط، وذلك سنة 292هـ/ 904م[4]. وفي سنة 312هـ/ 924م اذن صاحب اليمن لعلي بن عيسى[****] وحمل إليه في مكة طيبًا وكسوة وآلات نحو خمسين ألفًا[5]. وفي سنة 320هـ/ 932م في خلافة القاهر بالله العباسي[*****] دخلوا دار أم المقتدر فوجدوا أموالًا كثيرة فيها فضة، وطيب كثير من عود هندي وعنبر ومسك وكافور وتماثيل

---

(1) مسكويه: **تجارب الامم**، 3/ 540.

(*) العباسي أحد ولاة الرشيد.

(2) مسكويه: **تجارب الامم**، 3/ 553 ـ 554.

(**) الصفار قائد عباسي معروف. اما المعتز فسترد ترجمته لاحقًا.

(3) مسكويه: **تجارب الامم**، 4/ 383.

(***) الكر. من المكاييل العبرانية وهو ثلاثة، وقيل 12 وسقًا، وكل وسق 60 صاعًا. الزبيدي: **تاج العروس**: مادة (كر).

(4) مسكويه: **تجارب الامم**، 5/ 42.

(****) احد قادة الدولة العباسية.

(5) مسكويه: **تجارب الامم**، 5/ 208.

(*****) خليفة عباس محمد بن المعتمد (ت399هـ/ 1008م) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 339.

من كافور، قيمة ذلك مائة وثلاثون ألف دينار وقيمة التماثيل نحو ثلاثمائة ألف درهم[1]. وفي سنة 330هـ/ 941م جاءت هدايا صاحب خراسان إلى بغداد فيها الطيب[2]؛ وكان يحمل منه للخلفاء وخصوصًا ماء الورد الجوري، حتى جمع منه (130) ألف قارورة[3]، والى ماء الورد نسب الماوردي، ونسب إليه أبي الحسن الماوردي[*] البصري (450هـ/ 1058م)، كما شاع عطر عباسي، يستخرج من نبات زكي الرائحة سمي منثور بغداد[4] لذا وصف بغداد طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن[**] فقال:

ثراها كمسك، والمياه كفضةٍ وحصباؤها مثل اليواقيت والدُّرِ[5]

ووصف أبو نؤاس إحدى جواري الخلفاء:

ما مسَّك الطِّيب إلاَّ أصبحت للطيب طيبا[6]

حتى كانت تشمُّ رائحة المسك من أكواز سقائي بغداد[7]، في إشارة إلى شيوع استخدام الطيب والاكثار منه، ونقاء أجواء بغداد وطيب ريحها وعبق مائها.

وأصبح الطيب والبخور جزءًا من مكملات مجالس الشرب تقوم به

---

(1) مسكويه: **تجارب الامم**، 5/ 330.
(2) م.س، 6/ 54.
(3) الثعالبي: **لطائف المعارف**، 179.
(*) علي بن محمد بن حبيب له كتاب (الحاوي) و (الأحكام السلطانية) ينظر: ابن الأثير، **الكامل**، 8/ 163.
(4) الثعالبي: **لطائف المعارف**، 239.
(**) ينظر ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 463
(5) ياقوت، **معجم البلدان** 1/463.
(6) أبو نؤاس: **ديوانه**، 114، وهي عنان.
(7) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 657هـ/ 1199م): **أخبار الظراف والمتماجنين**، تح محمد بحر العلوم (مط النجف الحديثة، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط1386، 2هـ/ 1967م) 39.

الجواري، حتى بلغ الامر إلى التغليف بالغالية، وفي ذلك يقول محمد بن يسير(*):

يا باسطًا كفه نَحوي يطيّبني	**كفاكَ أطيب يا حبّي من الطيبِ**
كفًاك يجري مكان الطيب طيبهما	**فلا تزدني عليها عند تطييبي**
يا لائمي في هواها أنت لم ترَها	**فانت مُغرى بتأنيبي وتعذيبي**
انظر إلى وجهها، هل مثل صورتها	**في الناس وجه مجلّى غير محجوب**[1]

مما يعني ان الطيب والغالية والبخور كان استخدامها حاجة جمالية، تعبر عن تطور نوعي وحضاري في حياة أهل بغداد، في مجالسهم الخاصة والعامة، وفي اسواقهم وفي بيوتهم، حتى صار تعبيرًا حقيقيًا عن وجه بغداد الثقافي والاجتماعي.

إحداث العطر

يتصل تاريخ العطر في العصر العباسي بخلفاء بني العباس(**)، بعد تأسيس بغداد، ونشأة اسواقها، وتوزع حملاتها، وشيوع أخبارها، وترف أهلها وتبغددهم؛ أي توسيع إنفاقهم على حياتهم الخاصة التي تهتم بالطيب والمستلزمات الترفيهية المهمة، فحين تولى المنصور سنة 136هـ/ 753م شرع باصلاحات مهمة فبنى بغداد سنة 145هـ/ 762م، وقضى على خصومه فاستقر له الملك بعد أخيه أبي العباس السفاح، وولى أبو جعفر المنصور على البصرة محمد بن أبي العباس، فكثر ندماؤه من الأدباء والمغنين، فكان مفرط الاهتمام بالطيب حتى كان يملأ لحيته بالغالية، حتى تسيل على ثيابه فتسود؛ فلقبوه أبا الدبس، حتى قال فيه بعض شعراء البصرة:

(*) محمد بن يسير الرقاشي العدواني (ت بعد 218هـ/ 833م). الزركلي: **الأعلام**، 8/ 15 ـ 16.

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 14/ 41.

(**) حول بني العباس، ينظر: مغلطاي، علاء الدين قليج (ت762هـ/ 1361م): **مختصر تاريخ الخلفاء**، تح يحيى بن حمزة الوزنة (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/ 2003م)، 51 ـ 54.

صرنا من الربح إلى الوَكسِ إذ ولي المصرَ أبو الدبسِ
ما شئت من لؤم على نفسهِ وجنسه من أكرم الجنس[1]

وأفرط الرواة في وصف استخدامه للغالية، حتى رووا انه كان يغلف لحيته إذا ركب بأوراق الغالية، فتسيل على ثيابه فلقبه أهل البصرة ابا الدبس[2]. كما كان لمحمد بن أبي العباس السفاح[*] شعر، غنى به بعض المغنين، يشير فيه إلى اهتمامه بالطيب، قاله في فتاة اسمها زينب:

قولا لزينبَ لو رأيت تشوقي لكِ واشرافي
وتلفُتي كيما اراكِ وكان شخصك غير خافِ
وشممت ريحك ساطعًا كالبيت جُمِّر للطوافِ
فتركتني وكأنما قلبي يغرَّرُ بالأشافي[3]

ولم يأت هذا الافراط في استخدام الطيب من فراغ، فقد ورثوه عن أهل العراق، وعن الخلفاء الأمويين، ولعل الغالية هي التي سماها النويري بأنها من كتاب محمد بن العباس[4]، هي غاليته.

ولما ولي الخليفة المهدي[**] الخلافة سنة 158هـ/ 774م بعد وفاة أبيه، كان شغوفًا كسابقيه بالطيب، فحج سنة 160هـ/ 776م وجرد الكعبة وطلى جدرانها من الخارج بالغالية والمسك والعنبر، فكان المكلفون بذلك يصعدون على ظهر الكعبة بقوارير من الغالية يفرغونها على جدران الكعبة من خارج جوانبها كلها من اسفلها واعلاها، ومن خارجها ومن اسفلها[5]،

(1) الأصفهاني: **الاغاني**، 14/ 354.
(2) الأصفهاني: **الاغاني**، 14/ 352.
(*) من الاسرة العباسية ابن أول خليفة عباسي، ينظر: الأصفهاني: **الاغاني**، 14/ 352 ـ 354.
(3) الأصفهاني: **الاغاني**، 14/ 354.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 33.
(**) ترجمته: مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 55.
(5) الأزرقي: **أخبار مكة**، 1/ 262 ـ 263.

وهو يكرر ما فعله معاوية بعد توليه؛ مما يشير إلى ان هذا الإجراء هو نوع من التقديس الذي يخفي وراءه أهدافًا سياسية، على الرغم من صبغته الدينية، وان هذا الامر لم يكن يعمل به كل موسم، وإنما يقترن بالمواسم التي يحج فيها الخلفاء، لان تكاليف هذه الغالية كانت كبيرة، وان دفعها ليس بالأمر الهين، إذ يكتفي بعضهم بالتجريد والتنظيف، وبعض الاجراءات الروتينية أحيانًا، احتفاء بمقدم موسم الحج واستقبالًا لرمضان، أو عيد الفطر وما شابه ذلك.

وفي عهد هارون[*] الرشيد (ت993هـ/ 808م) كثر الاهتمام بالطيب، حتى انه كان يبعث أناسًا من قبله إلى اليمن يبحثون عن العنبر[1]، كما كان يوجه بالطيب إلى من اصطفاه، كما فعل حين وجه إلى من خلف محمد بن سليمان بالبصرة باصطفائه، وشمل ذلك الطيب والجوهر، وذلك سنة 173هـ/ 789م[2]؛ فكان الطيب جزءًا من محاولات استعماله الآخرين وكسب ودهم، كما أمر ان يصنع له مروحة، أو ما شابه من ثياب مصبوغة بالزعفران والصندل، لتحمل إليه ريحًا بليلة عطرة، يجد فيها راحة من الحر، فكثر استعمالها من الناس[3]. فقد كان القيظ أحد الأسباب التي تدفع أهل بغداد إلى الاهتمام بالطيب، حتى ان الرشيد كان في كل يوم من أيام القيظ يأمر بتغار [أوعية] من فضة، يعمل فيه العطار الطيب والزعفران وماء الورد، ثم يدخل إلى بيت مقيله، ويدخل معه سبع غلائل قصب رشيدية (نسبة إلى الرشيد)، وبتقطيع النساء، تغمس الغلال في ذلك الطيب، ويؤتى في كل يوم بسبع جوار، فتخلع عليها غلالة، وتجلس على كرسي مثقب، وترسل الغلالة على الكرسي فتجلله، ثم تبخر من تحت الكرسي بالعود المدرج في العنبر أمدًا، حتى يجفّ القميص عليها، يفعل

(*) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ**، بغداد، 14/ 5.

(1) الشريف الادريسي: **نزهة المشتاق** 66.

(2) الطبري: **تاريخ**، 8/ 237؛ مسكويه: **تجارب الأمم**، 3/ 505.

(3) التيفاشي: **سرور النفس**، 228.

ذلك بهن، ويكون ذلك بيت مقيله، فيعبق ذلك البيت بالبخور والطيب[1]. ولعل هذا الخبر هو إعادة صياغة لما ذكره جحظة البرمكي في كتابه (العطر)، والذي ذكر فيه انه رأى ثيابًا نشرتها اخته علية بنت المهدي[*] (ت210هـ/ 825م) فجلس بقربها، وكانت الثياب مصبوغة بالزعفران والصندل[2]؛ مما يشير إلى تفشي استخدام الطيب في القصور العباسية، وبالذات قصور الخلفاء، وكأنه مادة مصاحبة للماء في تبريد الامكنة والاجساد، كما كانت الاغطية والثياب تصبغ بالأصباغ الممزوجة بالطيب، وتحفظ معفرة بالطيب لتبقى محتفظة بنكهة خاصة ورائحة جذابة، ولعل دهن الطيب البرمكي الذي ربما ينسب إلى جعفر بن يحيى البرمكي[3] (ت187هـ/ 802م). وروت بنان أنها رأت شرارة طاحت على ثوب الرشيد من المجمر، لما جاء الخادم بالبخور، فأحرقته، فقالت: فوالله ما قطبت لها وجهًا، ولا راجعت من جناها حرفًا![4]

وفي عهد الرشيد برزت شخصية العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[**] (186هـ/ 802م)، بوصفه شخصية مولعة بالطيب، حتى انه أهدى للرشيد غالية فاستهزأ به الرشيد[5]، وعملوا له نوعًا من دهن القرنفل ودهن العنبر وماء العنب المطيب[6]، وذكر النويري صفة غالية

---

(1) الطبري: **تاريخ**، 8/ 357.

(*) علية بنت المهدي، اخت إبراهيم شاعرة، ترجمتها: الزركلي: **الاعلام**، 5/ 35.

(2) التيفاشي: **سرور النفس** 228.

(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 62. وينظر ترجمة البرمكي في: الزركلي: **الأعلام**، 2/ 130.

(4) الأصفهاني: **الإماء الشواعر**، تح جليل العطية (دار النضال، بيروت 1404هـ/ 1984م)، 36.

(**) ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 3/ 264.

(5) الطبري: **تاريخ**، 8/ 350.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 83، 63.

أُخرى (من كتاب محمد بن العباس)[1]، وكرر ذلك أيضًا في موضع آخر في حديثه عن صنعة دهن العنبر، انه اخذه من كتاب ابن عباس، يريد به محمد بن العباس، ثم ذكر كيفية تركيبه[2]، وكذلك أشار إلى صنعته ماء العنب المطيب إلى انها من كتاب محمد بن العباس[3]؛ ولعل هذه من إشارات التميمي مصنف كتاب (جيب العروس)، مما يعني ازدهار التأليف في ميدان العطور، والاهتمام بتحضيرها بأهم وأرقى أنواع الخبطات التي تصنع منها، وخصوصًا الغالية التي كانت تركيبة نادرة منذ العصر الأموي، ثم تطور الاهتمام بها.

أما الامين محمد بن هارون الرشيد (ت198هـ/ 813م) فعندما هاجم بغداد جيش خراسان في الفتنة بينه وبين أخيه المأمون[*] (ت218هـ/ 833م) هرب إليه بعض الجند، وهم في طريقهم إلى بغداد فأعطاهم أموالًا وأكرمهم وغلف لحاهم بالغالية، فسموا جيش الغالية[4]؛ في اشارة إلى علاقة الحرب بالطيب والتفاؤل بالنصر أو الموت المعفر بطقوس خاصة، تحيل إلى شجر الطيب الذي حمله آدم من الجنة وألقاه في الهند، حتى أن الامين نفسه عقد مجلسه خلال محاصرة جيش المأمون لبغداد، وأمر أن يفرش ويطيب متخذًا الروائح والطيب، حتى كان يكثب (يجمع) التفاح والرمان والأترج[5]، كنوع من التعبير عن تفاؤله وبهجته ليرفع معنويات خاصته، وليبيّن لهم بأنه مازال في عنفوان قوته.

وكان عصر المأمون عصر توهج عقلي، وانفتاح حضاري على ثقافات العالم، وفلسفاتها، ومرحلة اهتمام بالتلاقح الفكري بين المسلمين وأصقاع العالم؛ حتى انه كان يطبخ مع ندمائه، فتفوح من

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 33.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 63.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 83، 33.
(*) ترجمته: مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 58 ـ 61.
(4) الطبري: **تاريخ**، 8/ 442؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج1 (دار أبي حيان، القاهرة، 1416هـ/ 1996م)، 305.
(5) الطبري: **تاريخ**، 8/ 480.

طبخه رائحة محملة بالطيب والعطر[1]. فلما تزوج بوران(*) اشتعلت بين يديه شموع العنبر، وذلك سنة 210هـ/ 922م، ونثر على رأسه الدر[2]؛ حينما أعدوا شمعتين من عنبر، فدخل بها ليلًا، فأوقدهما بين يديه، فكثر دخانهما؛ فقال: ارفعوهما قد آذانا الدخان، وهاتوا الشمع[3]؛ مما يشير إلى بلوغه غاية الترف ومبلغًا عاليًا من التأنق والاختيار، حتى انه أمر أن يصنع له دهن عطري خاص، وأخذه عنه النويري مصنف كتاب (نهاية الأرب) عن يوحنا بن ماسويه(**)، وسنتحدث عن ذلك في الفصل الخاص بصناعة العطر[4].

تعير كتب العطر اهتمامًا خاصًا بالخليفة العباسي المعتصم(***)، وهو أبو اسحاق محمد بن هارون (ت227هـ/ 841م)، على الرغم من نيل بعض الروايات من جهله بالعفونة والطيب بالمقارنة بالمأمون[5]، ولكن اختياره لبناء مدينة سامراء يدلل على اهتمامه بنقاء الأجواء وجمال الطبيعة، التي وصفت بانها لم يكن في الأرض كلها أحسن منها، ولا أجمل ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع ملكًا، حصاها جوهر، ونسيمها معطر، وترابها مسك أذفر[6]؛ ففي سنة 224هـ/ 844م تزوج أحد قادته في قصره العمري (قصر المعتصم) وحضر العرس عامة أهل سامراء، فروي انهم كانوا يغلفون العامة بالغالية في تغار (أوعية) من فضة[7]،

(1) الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 388هـ/ 998م): **الديارات**، تح كوركيس عواد (مطبعة المعارف، بغداد، ط2، 1386هـ/ 1966م)، 186.

(*) بوران بنت الحسن بن سهل، ابن كثير: **البداية**، 10/ 340.

(2) ابن كثير: **البداية**، 10/ 340.

(3) الطبري: **تاريخ**، 8/ 608.

(**) طبيب معروف، سرياني الأصل، ترجمة: الزركلي: **الأعلام**، 8/ 211.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 60.

(***) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 3/ 242.

(5) الشابشتي: **الديارات**، 186.

(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 176 ـ 178.

(7) الطبري: **تاريخ**، 9/ 101؛ ابن الاثير: **الكامل**، 6/ 60.

وهو الذي كلف جحظة(*) البرمكي بتصنيف كتاب (العطر)[1]، أو (في العطر)، كما ذكرنا ذلك سابقًا وسنتحدث عنه لاحقًا أيضًا، وذكر النويري بعض أصناف العطر التي صنعت بتراكيب خاصة له، مشيرا نَش البان، بالقول: «وأما نشة [أي نش البان] على ما ورد في كتاب العطر المؤلف للمعتصم بالله»[2]، وسنسرد كيفية تركيبه في موضوع صناعة العطر لاحقًا ـ ان شاء الله تعالى ـ كما اشار إلى دهن الزنبق المولد، كما ذكره التميمي صاحب كتاب (جيب العروس) إلى أنه نقله عن الكتاب المؤلف للمعتصم، وكذلك دهن الخيري، ودهن نوى المشمش وصنعة الميسوس النادر الذي أُخذ عن بختيشوع الطبيب(**) من كتاب (العطر) المؤلف للخليفة المعتصم بالله، وصنعه نوع آخر من الميسوس عن بختيشوع أيضًا عن الكتاب المذكور[3]؛ مما يشير إلى اهتمامه بالعطر ومعرفته بأنواعه، ولعل جحظة لم يكن عارفًا به بالقدر المهم، وإنما جمعه من صنائعية زمنه، ودوره لا يتعدى تدوين المادة وتبويبها للمعتصم حتى يطلع عليها. وفي عهده صودر سنة ـ268هـ/ 881م خمسون منًا مسكًا وخمسون منًا عنبرًا ومائتا من عودا[4].

أما الواثق(***) أبو جعفر هارون (ت232هـ/ 846م) فقد صنعت له بنان العطارة ندًا من العود الهندي بمقدار مائة مثقال، ومن المسك والكافور[5]، كما سنأتي على صناعته؛ مما يشير إلى عنايته بالطيب، حتى

(*) جحظة البرمكي، هو أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي (ت324هـ/ 936).
ترجمته: ياقوت: **معجم الأدباء**، 1/ 383.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 52.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 52.

(**) بختيشوع بن جبرائيل بن جرجس: طبيب سرياني له كتاب في الحجامة (ت256هـ/ 869م). ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 2/ 44.

(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 77، 53، 55، 56.

(4) الطبري: **تاريخ**، 9/ 606.

(***) مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 66.

(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 36.

مدحه اسحاق بن ابراهيم الموصلي(*) فقال عنه:

كـــــــان تـربـتـه يـفـوح بـه، أو عنبر دافه العطار في صَدفِ[1]

وعمل الواثق حبًا عظيمًا يحمله عدة خدم من الغالية، وبقي مخزومًا فيما بعد في خزانة الطيب[2]. وفي عهد المتوكل(**) أبو الفضل جعفر (ت247هـ/ 861) استمر الاهتمام بالطيب حتى ان احدى جواريه كتبت على خدها بالمسك اسمه (جعفر)، وذكروا في ذلك شعرًا طريفًا[3]، وذكروا أيضًا صفة (ند) كانت تصنعه (بنان العطارة) لجعفر المتوكل يركب من العود الهندي القامروني، والمسك وغيره، كما سنأتي على ذكره في موضوع صناعة العطر[4]. وكان المتوكل سمى جاريته قبيحة لحسنها وجمالها مثلما يسمى الاسود كافورًا[5].

أما المستعين(***) أبو العباس أحمد بن المعتصم (ت252هـ/ 866م) فقد عملوا له عدة أنواع من الندود، حتى سمي احدها بالند المستعيني، لأنه كان يُصنع خصوصًا للمستعين بالله العباسي، ويركب من العود الهندي، والمسك التبتي، والعنبر الشحري، ومن الكافور الرياحي.. وغيرها من العطور[6]، كما سيرد ذكر ذلك في صناعة العطر.

وفي سنة 262هـ/ 875 جيء من رامهرمز(****) جروب المسك أمر

(*) ترجمته: أديب وموسيقي مشهور (ت235هـ/ 785). ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 691.

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 271.

(2) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 7/ 217.

(**) ترجمته: مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 67.

(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 268.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 36.

(5) ابن الاثير: الكامل، 6/ 259.

(***) ترجمته: مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 70.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 34.

(****) رامهرمز، مدينة بنواحي (الاحواز). ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 17.

عظيم[1]، كما جيء في سنة 320هـ/ 932م بصياغات فضة، وطيب كثير من عود هندي وعنبر ومسك وكافور وتماثيل كافور بقيمة نحو مائة وثلاثين ألف دينار، وقيمة التماثيل نحو ثلاثمائة ألف درهم، فسلم ليباع، وترك بعضه ليخدم به الخليفة القاهر[2]. وفي سنة 270هـ/ 883م وردت على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن، وفيها قطعة واحدة من عنبر وزنها ستة وخمسون رطلا[3].

وفي سنة 276هـ/ 889م انفرج تل من نهر الصلة[*] يعرف بتل بني شقيق، عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة، والقبور شبه الحوض من حجر ويفوح منها ريح المسك[4]، وكان المعتضد[**] أبو العباس أحمد ابن الموفق ابن المتوكل (ت288هـ/ 900م) له اهتمام خاص بالطيب حتى انه أنشأ خزانة خاصة للطيب، يقال انها احتوت نيفًا وستين حبًا من الغالية، عمله عدة من الخلفاء؛ فقيل: فأيها أطيب؟ قال: ما عمله الواثق، فأحضروا حبًا عظيمًا؛ فإذا الغالية قد ابيضت من التعتيق، فكانت نهاية الذكاء[5]. وقيل ان المكتفي[***] (ت295هـ/ 907م) جلس فيما بعد فسأل، فأُجيب به، وكان خازن خزانة الطيب يسمى الصيني، نسبة إلى العطر الصيني فكان عنده ثلاثون حبًا صينيا ونيفًا[6]. ولاعب المكتفي

---

(1) مسكويه: **تجارب الامم**، 4/ 443.
(2) م.س، 6/ 330.
(3) ابن الاثير: **الكامل**، 7/ 379. والرطل هو اثنتا عشرة اوقية بأواقي العرب ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (رطل).
(*) نهر الصلة: نهر بواسط أمر المهدي بحفره. ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 321.
(4) ابن الاثير: **الكامل**، 6/ 454.
(**) مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 75.
(5) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت657هـ/ 1199م): **المنتظم في تاريخ الملوك والامم**، ج6 (الدار الوطنية، بغداد، 19990م) 72.
(***) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 11/ 316.
(6) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 7/ 217.

الماوردي الشطرنج، فسبقه فقال له: «صار ماء وردك بولا»[1].

ولأمّ الخليفة المقتدر[*] (توفي المقتدر 320هـ/ 932م) صفة الند، كانت تصنعه وتبخره الكعبة، وصخرة بيت المقدس في كل جمعة، وتتكون من المسك التبتي المنقّى، والعنبر الشحري في خبطة خاصة، ويقول التميمي مصنف كتاب (جيب العروس): كان رئيس خدم بيت المقدس يهدي إلى والدي من هذا الند، فيحله والدي بالبان، فتجيء منه غالية لاشيء أطيب منها[2]. وهذه العملية تكشف عن رعاية نساء الخلفاء بالجوانب الدينية، كما كانت تفعل زوجة هارون الرشيد وأم الامين السيدة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر، حين عملت بعض العيون وأجرت المياه لمكة من الطائف.

وفي سنة 293هـ/ 905م هاجم القرامطة[**] هيت[***] وانتهبوا ما فيها من البر والعطر والسقط وجميع ما احتاجوا إليه[3]، وذلك لأهمية الطيب في الحياة الدينية والاقتصادية، ولأن هيت مدينة محاذية للصحراء يسهل الهرب منها إلى اماكن أخرى؛ مما يشير إلى عقلية عسكرية خاصة في إثارة الرعب في أوصال الدولة، وخصوصًا في قضية توفير الأمان، وكذلك للحصول على ايرادات اقتصادية مهمة.

وكان القاهر العباسي محبًا للطيب، وله بستان غرس فيه النارنج

---

(1) المسعودي: **مروج الذهب**، 5/ 218 ـ 219.

(*) المقتدر: هو أبو الفضل جعفر المعتمد: ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 7/ 213؛ الزركلي: **الأعلام**، 2/ 212.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 33.

(**) القرامطة، فرقة إسماعيلية شيعية، حاولت تقويض الدولة العباسية واستولت على مكة، لكنها انهزمت أخيرًا، سموا بذلك نسبة إلى أحد قادتهم (حمدان قرمط) ينظر: النوبختي، الحسن بن موسى (ت202هـ/ 718م): **فرق الشيعة**، تع محمد صادق بحر العلوم (مط الحيدرية، النجف، د.ت)، 93.

(***) هيت: مدينة على الفرات بين الانبار وحديثة الفرات اشتهرت بإنتاج القار ينظر: ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 421.

(3) الطبري: **تاريخ**، 10/ 123.

وانواع الغروس والرياحين والزهر، كما كان الراضي[*] (ت329هـ/ 940م) كثير الاستعمال للطيب، فلم ينصرف عنه من ندمائه في كل يوم إلا بصلة أو خلعه أو طيب، حتى انه كان يعقد في مجلس التاج على دجلة يوم المهرجان واجاز بالدنانير والدراهم والخلع وانواع الطيب[1]، وتعرض البستان للإهمال، ثم اعيد اعمار الحديقة واعمار حديقة الزاهر[2]. وفي سنة 367هـ/ 986م حمل عضد الدولة البويهي إلى الخليفة العباسي الطائع[**] عقيب الخلع عليه ثلاثين صينية مذهبة فيها العنبر والمسك العتيق والنوافج والكافور والند وتحايا العجن والعود الهندي والمغلي والقطيع وعشرين صينية مدهون في عشر منها العود الصنفي، وفي عشر المسك الاقراص والمذهب من التماثيل والبنك والمخير والصندل النفاح.. وغيرها[3].

واخرج سنة 461هـ/ 1068م من خزائن الطيب بمصر الفاطمية[***] خمسة صواري عود هندي، طول كل عود منها ما بين تسعة أذرع إلى عشرة أذرع وكافور قنصوري زنة كل حصاة منه خمسة مثاقيل إلى ما دونها، وقطع عنبر تزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال[4]؛ وهذا يشير إلى ما حصل في زمن

(*) ترجمته: مغلطاي: **المختصر**، 84.

(1) المسعودي: **مروج الذهب**، 5/ 227 ـ 229.

(2) مفاز الله كبير: **الأسرة البويهية في بغداد**، ترجمة فلاح حسن الأسدي، مراجعة حسن داخل البهادلي (بيت الحكمة، بغداد، 2012م)، 141.

(**) أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع (ت393هـ/ 1002م). ترجمته: مغلطاي: **المختصر**، 89.

(3) الصابئ، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت448هـ/ 1056م): **رسوم دار الخلافة**، تح ميخائيل عواد (دار الرائد العربي، بيروت، 1986م)، 100 ـ 101.

(***) وتسمى الدولة العبيدية، نسبة إلى مؤسسها: ينظر: النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 16.

(4) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/ 1441م): **اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح محمد حلمي محمد أحمد، ج2 (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ/ 1996م) 291.

الخلافة العباسية، وما خزن فيها حتى أُسست خزانة خاصة للطيب، بما يؤكد اهتمام الخلفاء جميعًا على صناعة الطيب، وخزنه والاحتفاظ بأجوده، كجزء من حياة الترف والرفاه المادي والاجتماعي، ليصبح الخليفة قدوة في أناقته وملبسه وطيبه أمام الرعية.

العطر والهدايا

الهدية، ما أتحفت به، والهادي: أن يهدي بعضهم إلى بعض. وفي الحديث: تهادوا تحابوا، والجمع هدايا[1]، وقيل: الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب[2]، فارتبط الطيب بالهدايا، لان لها أثرها في زيادة الألفة عبر إحالات معنوية ونفسية واجتماعية تدعو إلى التواصل، كما يتواصل الطيب بالرائحة مع المكان ومن فيه؛ فينشر روح التفاؤل والجمال والرقة والألفة. وقد دأب بعض خلفاء بني العباس في اصطفاء بعض الناس بالهدايا لتأمين جانبهم في الولاء، حتى ان الرشيد اصطفى من خلف محمد بن سليمان على البصرة بهدايا من الطيب والجوهر[3]. وأهدى العباس بن محمد غالية إلى الرشيد سنة 193هـ / 808م، فدخل عليه وقد حملها معه فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك قد جئتك بغالية ليس لأحد مثلها، أما مسكها فمن سُرَر الكِلَاب التبتية العتيقة، وأما عنبرها فمن عنبر بحر عدن[*]، وأما بانها فمن فلان المدني المعروف بجودة عمله، وأما مركبها فإنسان بالبصرة عالم بتأليفها حاذق بتركيبها، فإذا هي برنيَّة (وعاء) عظيمة من فضة، وفيها ملعقة، فكشف عنها وابن أبي مريم حاضر فاستهزأ به الرشيد، وقال لابن أبي مريم: ادهن بها استك[4]؛ مما يشير إلى أن الرشيد كان مستغنيًا عن أفضل أنواع الطيب، ولديه من يجلب له

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (هدي).

(2) الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، 235.

(3) الطبري: **تاريخ**، 8/ 237.

(*) إحدى حواضر اليمن، وسواحلها على البحر. ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 89.

(4) الطبري: **تاريخ**، 8/ 350.

أفضلها من أبعد أصقاع العالم، وليس بحاجة إلى غالية صنعها أحد مترفي الأُسرة العباسية، ولعل وراء ذلك هدف سياسي، لان محمد بن العباس من عقب أبي العباس السفاح، والمنصور مؤسس بغداد واقوى قادة الدولة العباسية وكان محمد بن العباس من المقربين للمنصور.

واهدى ابن طاهر[*] جارية إلى المتوكل، لما أفضت إليه الخلافة إليه تسمى (قبيحة)[**]، تقول الشعر وتلحن[1]، وهذه الهدية نوع من الاستمالة للخليفة، ونوع من التهنئة في الوقت نفسه، بعد توليه وبداية عهد جديد، إذ أن المتوكل تآمر مع الخدم والحاشية من أجل الحصول على الخلافة، حتى مات أبوه الواثق مقتولًا؛ بسبب ذلك، فمات هو الآخر مقتولًا بإذن ولده، وهكذا هي دهاليز السلطة وألاعيبها.

وفي هذا الاطار بعث سعيد بن حُمَيد إلى أحمد بن أبي طاهر قارورة ماء ورد، وكتب بعض الابيات[2]، وهذا من طرائف الهدايا وجماليات الاخوانيات، فقد أهدى بعض الولاة الذين كانوا في خراسان وبلاد ما وراء النهر، بعض الهدايا تتضمن بعض العطور، فقد وجه يعقوب ابن الليث[***] إلى المعتز[****] بدواب وبُزاة ومِسك على سبيل الهدية في سنة[3] 255هـ/ 868م. وفي سنة 286هـ/ 899م أهدى عمرو بن الليث بن الصفار من نيسابور[*****] إلى بغداد هدايا فيها كسوة وطيب وبُزاة[4]؛ مما

(*) ابن طاهر بن الحسين، والده كان أحد قادة المأمون، فلعله عبد الله بن طاهر (ت230هـ/ 845م) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 9/ 483.

(**) وهي أم المتوكل عُذبت من أجل مالها بعد انقلاب الأمر عليها. ينظر: مغلطاي: **المختصر**، 72.

(1) الجاحظ: **المحاسن والاضداد**، 248.

(2) الجاحظ: **المحاسن والاضداد**، 241.

(***) ابن الصفار، ومنهم عمرو بن الليث. ينظر: الطبري: **تاريخ**، 10/ 71.

(****) أبو عبد الله محمد بن المتوكل وامه اسمها قبيحة (ت255هـ/ 868م). الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 3/ 347.

(3) الطبري: **تاريخ**، 9/ 386.

(*****) نيسابور، ترجمتها: ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 331.

(4) الطبري: **تاريخ**، 10/ 71.

يشير إلى أن العطر يشكل مادة مهمة في الهدايا إلى الخلفاء من ولاتهم من مختلف الأمصار.

العطر والأعياد

يقترن العطر عند العرب بالأفراح، والعيد مشتق من العودة، لأنه يعود كل سنة فهو يعني الاجتماع العام للناس فيه[1]. والاعياد هي من جملة مظاهر الأديان وشعائرها[2]، وهي لدى المسلمين تقترن بعيدي الفطر والاضحى، ولكن في العصر العباسي برز تأثير أعياد الفرس والروم بشكل مزدوج، فظهر هذا التأثير ظهورًا «بارزًا في الأعياد الدينية للنصارى والقومية للفرس، وفي مشاركة أغلب الناس فيها»[3] فظهر لدى أهل بغداد الاحتفال بهذه الأعياد، وأصبح الشعراء يزجون التهاني للآخرين من خُلفاء وأُمراء بهذه المناسبات، حتى أن الخليفة المعتضد أمر سنة 282هـ/ 895م بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران، فسُمّي ذلك النيروز المعتضدي، ومنع الناس مما كانوا يعملون من نيروز العجم من إيقاد النيران، وصب الماء وغير ذلك من الافعال المشابهة لأفعال المجوس، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المنقطعين في هذا اليوم[4]، ونودي سنة 284هـ/ 897م في البلاد لا يجتمع العامة على قاصٍ ولا جدلي ولا غير ذلك، وأمرهم أن لا يهتموا بأمر النوروز، ثم أطلق لهم النوروز؛ فكانوا يصبون المياه من المارة وتوسعوا في ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون الماء على الجند والشرط وغيرهم[5]،

---

(1) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (عاد)؛ الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 1/ 344.

(2) جواد علي: **المفصل**، 6/ 310.

(3) الراوي، عبد اللطيف عبد الرحمن: **المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة** (مكتبة النهضة، بغداد، د.ت)، 316.

(4) الطبري: **تاريخ**، 10/ 39؛ ابن كثير: **البداية**، 11/ 96.

(5) ابن كثير: **البداية**، 11/ 102.

ودعا الواثق عبد الله بن العباس(*)، فلما دخل عليه غناه في شعر له صنع له لحنًا:

هي للنوروز جاما ومُدامًا وخزامى
يحمد الله والوا ثق هارون الإ ماما
ما رأى كسرى انوشر وان مثل العام عاما
نرجسًا غضًا ووردًا وبَهارًا وخزامى[1]

وفضلًا عن النيروز الذي يصادف وقت الربيع، وهو في الحادي والعشرين من آذار. وظهر عيد المهرجان، وهو عيد الخريف، ويصادف يوم الثالث والعشرين من أيلول، وفي العيدين يعتدل الجو ويتساوى الليل والنهار، وقال عبد الله بن العباس في يوم المهرجان:

المهرجان يوم الاثنين يوم سرور طيب زينِ
ينقل من حرٍّ مصيف إلى برد وشتاءٍ بين فصلين
فمحمد بن الجهم يامن بنا ةُ المجد من اكرم بيتين
عش ألف نيروزٍ ومهرج بنا مغتبطًا في قرة العين[2]

وفي هذه الأعياد ذات الصفة الوجودية المرتبطة بحركة الكون والربيع، يقترن العيدان لدى أهل بغداد بالطيب والعطور، ولا يمتلكان خصوصية دينية من الناحية العملية، ولكنهما يعدان متنفسين للتغيير وإزالة الرتابة والملل، وسنتحدث عنهما في ميدان الطقوس الدينية.

العطر والظرف

والظرف هو صفات يختص بها الشباب تشمل حسن العبارة والهيئة، وهو مصدر الظريف بما يشمل الذكاء، وبراعة اللسان، والبداهة، وتعدد

(*) شاعر من بني العباس. ترجمته: الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 188.
(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 192.
(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 188.

الجواب، والبلاغة، والتورية[1]، وهو ما يعرف حاليًا بأدب المفارقة الذي يختلط فيه الجد بالهزل، ويحمل أنواعًا مختلفة من التورية. وفي بغداد كثر الظرف والظرفاء؛ نتيجة شيوع حياة الترف والدعة، ونشوء طائفة من الشباب المحب للترفيه والمتعة، وترك حياة الجد والصرامة، كنوع من التنفيس عن الضغط السياسي لتغيير حياة الرتابة وتقليل المزاج الحاد، والابتعاد عن التشدد؛ لقد اقترن الظرف لدى البغداديين بمظاهر معينة من اللباس والشراب والأناقة التي تكشف عن حالة حضارية متطورة، قائمة على ما عرف في حينه بـ (التبغدد)، أي سعة العيش، والميل إلى الاهتمام بجماليات الحياة، وبالذات الاهتمام بالعطر وأنواع الطيب، فليس من المستحسن لدى الظرفاء لبس الثياب الشنيعة الألوان، المصبوغة بالطيب والزعفران، لان ذلك هو لبس النساء، ولكنهم قد يلبسون الفصد، والعلاجات، ووقت الشراب، والخلوات، يلبسون الغلاغل المُمسكة (نسبة إلى المسك)، والقميص المعنبر (نسبة إلى العنبر) والأردية الملونة والأُزر المعصفرة[2].

واهتموا بالعطر والطيب، فكان من زي الظرفاء في التعطر والطيب بالمسك المسحول [المسحوق] بماء الورد، واستعمال العود المعنبر بماء القرنفل المُخمَّر، والنَّدّ السلطاني [أي الذي لا يحوزه إلا من له سلطان]، العنبر البحراني [نسبة إلى البحرين] والعبير والذرائر [من الذريرة] المتفوقة بالعبائر [من العبير]، وسوى ذلك من الطيب لا يقربونه، والكافور لِعلَّة برده لا يستعملونه، إلا من حرارة ظاهرة، أو من علة غالبة، أو موضوعًا على الجمر، مخلوطًا بعبير المسك وزعفران الشَّعر [نبات له خيوط]، وهو بهذه الصفة أطيب البخور، وليس البرمكية وما أشبهها عليهم بمحظور، وان

(1) الراضي، فاطمة حمزة: **الظرف البغدادي**، مجلة المورد، وزارة الثقافة والأعلام، مج 8ع4 (بغداد، شتاء 1400هـ/ 1979م)، 324 ـ 325.

(2) الوشاء: **الموشى**، 179.

الجيد من البرمكية ومن البخور الذكية، وإنما يكره استعمالها المتظرفون إذ هي مما يستعمله المقلّلون[1].

ولهذا اجتنبوا الكثير من أصناف العطور التي لا تنسجم مع أجوائهم كماء الخلوق والغالية لأنهم رأوا أن ذلك، هو من طيب الصبيان والإماء، استجابة لما جاء في الحديث الشريف: (طيب الرجال ما ظهر رائحته). ومتى استعملوا شيئًا من الغالية أو طيب النساء، كانت في أصول الشعر، بحيث يُشم ولا يُرى له أثر[2]، مما يشير إلى اختلاف طيب النساء عن الرجال، وطيب الظرفاء عن طيب الظريفات؛ ففي طيب الظريفات ما ليس للرجال نصيب، كاستعمال اللخالخ، والصندل والصياح، والقرنفل، والادقال (الخضاب)، والمعجونات، والزعفران، والخلوق، والكافور، وماء الكافور، والمثلثة الخزائنية، والبرمكية السلطانية، وسائر صنوف الأدهان من البنفسج، والزنبق والبان، إلا أنهن اجتنبن استعمال (ضرب من الأدهان)، والرجال لا يستعملون شيئًا من ذلك، والنساء يستعملن جميع طيب الظرفاء والظرفاء لا يستعملون شيئًا من طيب النساء[3]. وكانت الظريفات يخضبن حواجبهن واطرافهن، ويصبغن بصبغ أحمر شفاهن، فإن كانت الجارية بيضاء فبالخضاب الاحمر، وان كانت صفراء فبالأسود، ويجرون الصناعة مجرى الطبيعة في كشف الضد بضده[4]. ويشير أحد الباحثين الغربيين إلى حياة المرأة في هذه المرحلة، إلى أنها استعملت العديد من العطور المعروفة، كالبرمكية وعطور الأزهار كالزنبق، والبنفسج، والزعفران، والقرنفل، والكافور، وعطور الورد[5].

---

(1) الوشاء: **الموشى**، 182.

(2) الوشاء: **الموشى**، 183.

(3) الوشاء: **الموشى**، 186 ـ 187.

(4) الراضي: الظرف البغدادي، 338.

(5) متز، آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ترجمة محمد هادي أبو ريدة، ج2 (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1377هـ/ 1957م) 305.

الكتابة بالعطر

نتيجة انتشار استعمال الطيب والحناء، كنوع من الترف والتعبير عن الظرف، وهو ما يعبر عن لقاء حضاري حميم بين الكتابة والعطر، وان كان لبدايات نشأة الكتابة، بوصفها نوعًا من السحر أثرها في هذا التوجه، كما سنرى في الحديث عن طقوس الطيب، في علاقة الدين بالطيب واستخداماته الطقسية، ولكن العصر العباسي حمل لنا مبتكرات كثيرة في ميدان استخدام العطور؛ حتى أن دنانير بنت كعبوبة الزنجي(*) خضبت بالحناء يديها، واكتحلت بالإثمد، وكانت عند أعشى سُلَيم(**) فلما رآها قال:

تُخَضِبُ كفًا بنكتٍ من زندها   فتُخضبُ الحناءَ من مسودها
كانها والكحل في مرودِها   تكحل عَينيها ببعضِ جِلدها[1]

ويروي أبو نؤاس الشاعر المقرب من الخليفة العباسي الأمين، أنه دخل عليه، وهو قاعد في قبةٍ له، ومعه جارية لم يُرَ قط أحسن منها، قال: وإذا على جبين الجارية مكتوب بالغالية: (مما عمل في طراز الله)[2].

وكتبت فضل(***) الشاعرة، وقيل غيرها على خدها: (جعفر، مكتوبًا بالمسك):

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخَدِ جعفرا   بنفسي سواد المسك من حيث أثرا
لئن أثَّرت بالمسك أسطرًا بخدها   لقد أودعت قلبي من الحزن أسطرا

(*) دنانير، جارية معروفة تعرف بالبرمكية. ينظر: الأصفهاني: **الأغاني**، 23/ 576.

(**) من الأعشين، ينتسب إلى بني سُليم، وليس من المشهودين بين الأعشين.

(1) الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، تح عبد السلام هارون، ج1 (مط الخانجي، القاهرة، 1965م) 214.

(2) السراج القارئ، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين (ت500هـ/ 1106م): **مصارع العشاق**، ج1 (دار صادر، بيروت، د.ت)، 63 ـ 64.

(***) شاعرة وجارية عباسية (ت 257هـ / 871م). ترجمتها: ابن الجوزي: **المنتظم**، 5/ 6.

فيا من مُناها في السريرة جعفرا   سقى الله من سُقيا ثناياك جعفرا[1]

وقيل ان هذا الأمر كان مع قبيحة جارية المتوكل وام المقتدر، وان الشعر لعلي بن الجهم(*) فغني بهذا الشعر[2].

في بلاد الاندلس والمغرب

والاندلس جزيرة كبيرة تواجه المغرب، لها ثلاثة أركان أحاط بها بحران[3]، غزاها العرب ودخلوها سنة 92هـ / 711م، فبقيت إمارة تابعة للدولة الأموية، ثم انفصلت عنها في العصر العباسي[4]. فكانت بلادًا غناء مزروعة أرضها بالزهور، وتنشر في اصقاعها الرياحين، وكل لون بديع فافتتن الشعراء بوصفها، ورغب الأدباء في التعبير عن حبها، فانتشرت فيها العطور، ففي قرطبة(**) باب يقال له باب العطارين[5]، ولعله سمي بذلك لمجاورته دكاكين العطارين؛ مما يشير إلى مكانة العطور، وأهميتها في بلاد الاندلس. وبلاد المغرب قريبة منها ومتأثرة بها، لما بين البلدين من وشائح وعلاقات تجارية وسياسية وثقافية.

وجليانة، حصن بالأندلس، يقال لها جليانة التفاح، لجلالة تفاحها، وطيبة ريحه وقيل: اذا أكل وجد فيه طعم السكر والمسك، ومنها عبد

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 268. وفي رواية لمحبوبة. ينظر: **الإماء الشواعر** 161.

(*) شاعر عباسي مشهور (ت249هـ/ 863م). ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 11/ 367.

(2) الجاحظ: **المحاسن والاضداد**، 248.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 262 ـ 264.

(4) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضائي (ت658هـ/ 1260م): **الحلة السيراء**، تح حسين مؤنس، ج1 (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963م)، 67.

(**) قرطبة، إحدى حواضر الاندلس: ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 324.

(5) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، 84؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت350هـ/ 961م): **صورة الأرض** (دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م)، 108.

المنعم بن عمر بن حسان(*) الاديب الطبيب، سكن دمشق وكانت معيشته الطب، يجلس باللبادين على دكان بعض العطارين[1]؛ مما يشير إلى صلة حميمة بين الطب والطيب، حيث كان العطار والطبيب يتداولان عملهما بشكل منسجم. وبلغ الامر بملوك الأندلس أمرًا في غاية العجب، وفي أصعب الظروف، حتى ان الثائرين لما تسوروا قصر الحكم بن هشام الربضي(**)، طلب قارورة الغالية فأبطأوا عليه، وقالوا له: هذا وقت غالية! فقال: بم يعرف رأسي إذا قطع من رؤوسهم[2]. فتأمل غرابة التفكير فيها والرغبة في التطيب بها في أحلك الظروف.

ومدح احد شعراء الاندلس المعتصم(***) بن صمادح في قصيدة طائية مطلعها:

برامةَ ريح زارني بعدما شطا ... تقنَّصتُه في الحلم بالشَّط فاستطا

ومنها قوله:

تَوهمُ عطف الصّدغ نونًا بخدها ... فباتت بمسكِ الخالِ تنقطه نقطا
غلاميةٌ جاءت، وقد جعل الدُّجى ... لخاتم فيها قصُّ غاليــة خَطّا
غدت تنقع المسواك في برد ثغرها ... وقد تضمَّخت مِسكا غدائرها المشطا
فقلت أحاجبها بما في جفونها ... وما في الشّفاهِ اللُّعس من حسنها المُعطى
محيرة الألحاظ من غير سَكرَةٍ ... متى شربتُ ألحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك في حمرة اللُّمى ... وشاربَك المختصر بالمسك قد خطا

(*) توفي بدمشق سنة 603هـ/ 1205م.

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 157.

(**) ولي وله (22) عامًا، وسكن الربض فسمي به (ت 206هـ/ 821م). ترجمته: المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/ 1249م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مراجعة خليل عمران المنصور (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426هـ/ 2005م)، 17.

(2) المراكشي: **المعجب**، 17.

(***) والشاعر الذي مدحه هو (ابو القاسم الاسعد بن بليطة). ترجمته: ابن خلكان: **الوفيات**، 5/ 42 ـ 43.

عسى قزح قبلته فأخاله   على الشّفة اللّمياءِ قد جاء مختطا[1]

إذ تشير هذه الأبيات إلى علاقة جمال المرأة بالطيب، وخصوصًا المسك والغالية؛ مما يكشف عن ولع الأندلسيين بالطيب وتوثيق الشعراء لمواطن هذه الجمال، والى تشبيه الخال بالمسك، لان الخال أسود، وطالما شبه الشعراء السواد بالمسك، ثم وصفها بالغلامية، أي أنها تتشبه بالغلمان، وجعل صورتها وهي تسير بالدجى مثل فص الغالية على وجنتها خطًا، وهو أجمل ما يكون من التشبيه، في اشارة خفية إلى رقي الشعر الاندلسي وقدرته على عرض واقع الحياة في الاندلس بابرع الألفاظ، وأرقى الصور، وعلى انتقاء المفردات الملائمة لها، ثم يصفها في صورة ثانية تبرز علاقة المسواك بأسنانها التي شبهها بالبَرد.

وفي مجال التصنيف، صنف ابن شهيد الاندلسي[*] أحمد بن عبدالملك (ت نحو403هـ/ 1013م) كتاب (حانوت العطار)[2] جزءًا من اهتمام الأندلسيين بالعطور.

أما في بلاد المغرب فقد بُنيت في فاس[**] مدرسة العطارين التي تعد زهرة مدارس فاس، وقد تم بناؤها عام 723هـ/ 1323م بإزاء سوق العطارين قرب جامع القرويين[3]، فقد كانت مدينة فاس في عهد نشاطها التجاري من أكثر المدن استيرادًا للعطور من بلاد الهند، حتى قال

---

(1) ابن خلكان: **الوفيات**، 5/ 42 ـ 43.

(*) ترجمته: ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 66.

(2) الحميدي، أبو عبد الله بن فتوح بن عبد الله (ت488هـ/ 1095م): **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس**، تح محمد بن تاويت الطنجي (الدار المصرية، القاهرة، 1966م)، 133؛ ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 66.

(**) فاس مدينة مشهورة في بر المغرب من بلاد البربر. ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 230.

(3) الناصري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1315هـ/ 1887م): **الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى**، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2 (دار كتاب الجديد، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م)، 112.

المراكشي عنها: «ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يجلب إليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي سوى مدينة فاس»[1]. كما كانت فاس في عهد المرينيين[*] تستورد من العراق المسك العراقي المعروف بجودته، حتى ان قبوله بين الناس حفز بعض التجار على خلطه مع بعض الأنواع الرديئة بغية تصريفها[2]، وهذا يعني أن مدينة فاس كانت مركزًا سياسيًا واقتصاديًا مهمًا، وان العطر الذي يستورده تجارها يجري بيعه إلى تجارٍ آخرين، وربما يُصدر إلى الأندلس وبلاد الإفرنج (أوروبا)، ومن هنا ازداد اهتمام شعراء وأُدباء المغرب بالطيب، حتى كثر ذكره والتغني به، قال مجاهد بن هانئ المغربي:

على ملك الزَّاب السلام مردًدا وريحان مسك بالسلام فتيق[3]

هذا فضلًا عن انتشار النباتات العطرية، فهذه جلولاء في أفريقيا يكثر الياسمين، ويطيب عسلها، ويضرب بها المثل لكثرة ياسمينها، وبها يربب أهل القيروان السمسم بالياسمين لدهن الزنبق[4].

ومن الاحداث التي تتعلق بالدولة المرينية في فاس، هو احتراق سوق العطارين سنة 723هـ/ 1323م، وإيقاع الضرر الكبير به؛ مما دعا السلطان إلى إعادة بنائه، ووضع باب له أفرده للعطارين دون غيرهم، وبنيت مدرسة العطارين في تلك السنة أيضًا[5]. كما أُفردت تربيعية خاصة للعطارين في

(1) ينظر: اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ المراكشي: **المعجب**، 444؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 22؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 132.

(*) بنو مرين، غلبوا الموحدين على أمرهم في مراكش. المراكشي: **المعجب**، 241.

(2) ابن الحاج: محمد بن محمد (ت737هـ/ 1336م): **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النبات**، ج3 (مط الشريفة بمصر، 1320هـ)، 68.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 124.

(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 156.

(5) ينظر: الناصري: **الاستقصاء**، 3/ 179؛ الخالدي، وسن سمين محمد أمين: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس على عهد بني مرين 668 ـ 869هـ** (رسالة ماجستير)، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد، (بغداد 1422هـ/ 2002م)، 38 ـ 165.

فاس[1]؛ وذلك لنشاط مدينة فاس في الحركة التجارية، حتى أصبحت من أكثر المدن استيرادًا للعطور من الهند[2]. وهذا يعني أن النشاط التجاري كان على وتيرةٍ متصاعدة، وأن الحياة الاقتصادية مزدهرة، لان العطر حاجة تكميلية يزدهر استعمالها أيام الرخاء، وربما أيام المد الديني، وخصوصًا البخور الذي يستخدم مطهرًا، ومصاحبًا، لإقامة بعض الشعائر والاحتفالات الدينية.

(1) الخالدي: المصدر السابق، 68. والتربيعية مجموعة حوانيت تكون على شكل مستدير أو مربع.

(2) السامرائي: خليل إبراهيم: **علاقات المرابطين بالأندلس وبالدول الإسلامية** (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، 1985م) 420؛ الخالدي: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس**، 94.

الباب الثاني

الجوانب الاقتصادية

الفصل الأول: مصادر إنتاج العطر

الفصل الثاني: صناعة العطر

الفصل الثالث: تجارة العطر

الفصل الأول

مصادر انتاج العطر

توطئة

المصدر، لغة من صدر، وصدر كل شيء أوله، جمعه صدور[1]، وأعني به مصدر الطيب أو العطر، أي المادة التي يصدر عنها، أي نبات أو حيوان أو جماد؛ لان هذا في غاية الأهمية، وله علاقة بإنتاجه ثم صناعته ثم المتاجرة به. وتشير غالب المصادر التي بين أيدينا أن العطور نتاج من المصادر الثلاثة السابقة، وأن الغالب منها ذو أصول نباتية، ثم حيوانية، ثم الجمادات، وما تبقى صناعة أو مزج من أجناس مختلفة، كالتجفيف والخلط والإذابة بالماء أو بغيره؛ مما يعني أن البحث في الأصول ضرورة قبل الانطلاق إلى الجوانب التاريخية أو الحضارية، بشان مادة العطر، وكيفية استخدامها وأهميتها في حياة الانسان، وأثرها في توازن شخصيته، ومعالجة ظروفه وعلاقة العطر بالجسد والمغريات الأخرى.

أ ـ المصدر النباتي

الزراعة حرفة معروفة، من ممارسة الزرع وطرح البذر، وقيل الزرع نبات كل شيء يحرث[2]، والزراعة عملية استثمار الأرض في الإكثار من النباتات للاستفادة منها، في الاكتفاء والبيع أو المتاجرة، وأول من عني بالنبات أبو حنيفة الدنيوري[*] (ت282هـ/ 895م) صاحب كتاب (الأخبار

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صدر).

(2) المصدر السابق: مادة (نبت).

(*) أبو حنيفة الدينوري أحمد داود (ت282هـ/ 895م) مصنف كتاب =

الطوال) فصنف كتاب (النبات)، وصنف ابن وحشية (ت318هـ/ 930مـ) كتابه (الفلاحة النبطية) فخصص منه القسم الأول للرياحين، وابن حجاج الأشبيلي(*) (ت466هـ/ 1074م) كتاب (المقنع في الفلاحة) وخصص فيه جانبًا للرياحين والأحباق وغرسها، كالسوسن والورد والقثاء.. وغيرها، ثم صنف ابن العوام(**) الاشبيلي (ت545هـ/ 1150م) كتاب (الفلاحة) أفرد فيه الباب الأول في معرفة الطيب من أنواع الأرض والوسط والدرن. وصنف ابن بصال(***) كتاب (الفلاحة) وخصص فيه الباب (14) لزراعة الرياحين ذوات الزهور، والبنفسج الجبلي، والبستاني والسوس والنرجس[1].

لقد كانت الزهور والورود من أهم فروع زراعة الطيوب والعطور فقد كان للعرب غرام واضح بمستقطرات الزهور، والملاب المائع والكباد اليابس، كما يستعملون المسك والعنبر والزعفران كثيرًا وهم مولعون بالعَرف والأريحة[2]. وكان ينبت في جزائر السعادة الزرع بأماكن العشب، وأصناف الرياحين العطرة، بدل الشوك وهي بغربي بلد البربر[3]، وكانت في الصين منابت الساج والبقم وشجر الصاح مفرط العظم

= **(الأخبار الطوال)** ينظر ترجمته: ابن النديم الوراق، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت نحو 380هـ/ 990م): **الفهرست** (دار المعرفة، بيروت، د.ت)، 116.

(*) ابن حجاج الاشبيلي: ترجمته: الحميدي: **جذوة المقتبس**، 106.

(**) ابن العوام، أبو زكريا علي بن محمد بن أحمد (ت نحو 545هـ/ 1150م) ترجمته: البغدادي اسماعيل باشا محمد امين الباباني (ت1339هـ/ 1921م): **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** (وكالة المعارف، استانبول 1951م)، 71.

(***) البصَّال له تجربة في امور النباتات ترجمته: المقري، أحمد بن محمد (ت1401هـ/ 1631م): **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**، ج3 (دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م)، 151.

(1) ابن منظور: **لسان العرب**: مادة (نبت).

(2) محمد كرد علي: **خطط الشام**، 4/ 73.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 133.

والطول[1]. وفيها ينبت العود الصنفي (نسبة إلى بلاد الصنف بناحية الصين، وبلاد الهند) وفي كشمير وسرنديب[2]، ويزرع شجر الكافور في بلاد الزنج الساحلية، ولونه أسود[3]؛ لهذا شبهوا الزنوج والسودان بالمسك وكنوا من اسمه كافور ابا المسك. وفي جبال الزابج شجر الكافور، تُظل الشجرة مائة إنسان وأكثر وأقل، يثقب أعلى الشجرة، فيسيل منها من ماء الكافور عدة جرار، ثم يثقب أسفل من ذلك وسط الشجر في سرنديب[4]. واشتهرت الهند بالعود وأُمهات الطيب والتبت بالمسك، والشحر بالعنبر[5]. أما بَروجرْد، فبلدة بين همذان والكرج، خصبة كثيرة الميزات، وهي مما ينبت فيه الزعفران[6]، كما ينبت في مدينة الأُربس فهو أكثر غلتها بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب[7]، بينما ينبت الشث، وهو شجر طيب الريح مر الطعم في جبال الغور ونجد، قال الشاعر:

وفيهن مثل الشث يعجب ريحه وفي عينه سوء المذاقة والطعم[8]

كما اشتهرت نجد بالعرار، وهو نبت طيب ريحه؛ قال الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد، فما بعد العيشة من عرار[9]

وسموا أبناءهم بأسماء النباتات واهتموا بها، ولعرار حكاية معروفة. وفي بلاد عُمان ينبت (التامول)، وهو نبت كالقرع طيب الريح ينبت نبات اللوبياء، طعمه طعم القرنفل، يمضغ فيطيب النكهة[10]،

(1) المصدر السابق، 3/ 446.
(2) اليعقوبي: **البلدان**، 123؛ القلقشندي: **نهاية الأرب**، 2/ 133.
(3) الشريف الادريسي: **نزهة المشتاق**، 1/ 61.
(4) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، 95.
(5) المسعودي: مروج الذهب، 1/ 42؛ الثعالبي: **لطائف المعارف**، 412.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 404.
(7) المصدر السابق، 1/ 136.
(8) الفراهيدي: **العين**: مادة (شث).
(9) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 93.
(10) اليعقوبي: **البلدان**، 215.

وينبت البان المديني، فيطبخه أهل المدينة بالأفاويه الطيبة[1].

وينبت السنبل في التبت وأرض الهند، وهو حشيشة[2]، ويجلب الصنف، وهو نوع من العود من الصين، بينه وبين الصين جبل لا يسلك، وهو أجل الأعواد وأبقاها في الثياب[3]. وخير الطيب العود الهندي المندلي الذي لا غش فيه، وكلما كان أصلب فهو أجود، وزعموا أن خيره الثقيل الوزن الذي يرسب في الماء، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه، وهو ضعيف الرائحة ثقيل الوزن، منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة، وخير المسك التبتي اليابس الفاتح وأرداه البدي، وغش المسك من الآنك وحبذ بادستر، ودمج الأخوين وسياه داروا، وكلما خف وزنه فاح فهو أجود[4]. وفي (مايط) قرب الصين ينبت العود الهندي والكافور، وبقمار[*] العود القماري، وبالصنف العود الصنفي، وهو أفضل من القماري لأنه يغرق في الماء[5]، وفي جاوة الافاويه العطرة والعود الطيب القاقلي والقماري، وقاقلة وقمارة من بعض بلادها[6]. وفي بلاد الشام الجادية قريبة من عمل البلقاء، يوجد الزعفراني الذي يسمى (الجادي)، قال:

* ويـــشـــرق جـــادي بـــهـــن مـــديـــف *[7]

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**: مادة (تمل).

(2) اليعقوبي: **البلدان**، 212.

(3) المصدر السابق، 212.

(4) الجاحظ: **التبصرة في التجارة**، تح حسن حسني عبد الوهاب التونسي (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ/ 1994م)، 16 ـ 17.

(*) القمارة وقاقلة من بلاد جاوة. ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779هـ / 1377هـ): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار**، المعروف برحلة ابن بطوطة، تح علي المنتصر الكتاني (مؤسسة الرسالة/ الشركة المتحدة، بيروت، د. ت)، 711.

(5) ابن خرداذبه: **المسالك والممالك**، 67؛ المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 42.

(6) ابن بطوطة: **الرحلة**، 711.

(7) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 92.

وفي الرصافة أدنى بلاد الشام، ينبت الشيح والقيصوم[1]. ونسبت الكثير من العطور إلى بلدان إنتاجها، كما في العود الهندي، والصيني؛ ولعل اسم عود المندلي من نسبته إلى مندل، والقامروني نسبة إلى القاميرون (لعلها الكامرون في أفريقيا)، والسمندوري نسبة إلى بلاد سمندور، والقماري نسبة إلى قمار، والقاقلي نسبة إلى قاقلة، والصنفي نسبة إلى بلاد الصنف في الصين، والصندفوري نسبة إلى بلاد الصندفور من بلاد الصين، والعولاتي نسبة إلى جزيرة العولات بنواحي قمار من أرض الهند، واللوقيني نسبة إلى لوقين من بلاد الهند، والمانطائي جزيرة مانطا (لعلها مالطا)، والقندغلي من بلاد الزنج[2]، والى قافلة وقمارة ينسب العود القاقلي والقماري من أعمال جاوة، وكذلك خان بالق أو خانقو من بلاد الخطار من أعمال الصين[3]؛ مما يشير إلى علاقة الإنتاج الزراعي بالهوية العطرية للعطر، وأهميته الجغرافية في كيفية زراعته وإنتاجه ونقله، لأنه بحاجة إلى بيئة رطبة تساعد على كثرة الزهور والورود، بما يهيىء الأجواء المناخية المناسبة للزراعة، وجني تلك العطور وصناعتها.

تعد بلاد الهند والصين، وما جاورهما موطنًا مهمًا من مواطن إنتاج أو زراعة العطور، وخصوصًا العود الهندي؛ ففي الهند يزرع العود المندلي نسبة إلى بلاد المندل من بلاد الهند، ويجلب العود القامروني من مكان مرتفع من الهند، والسمندوري من بلاد سمندور، وهي بلد سفانة الهند، والقماري من قمار أرض في الهند والقاقلي والكلهي.. وغير ذلك.

ويجلب من الصين العطكي (العطلكي)، والصنفي، والصندفوري، والصيني والأفليق، وهو عود يؤتى به من أرض الصين، مثل الخشب الرانجي الغلاظ الطيب الريح. ومن جزائر بحر قاقلة، والعولاتي،

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 156.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 14 ـ 20؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 133 ـ 137.
(3) ابن بطوطة: **الرحلة**، 711، 733.

واللوقيني، والقندغلي من ساحل من ساحل الزنج (أي افريقيا)، والسمولي، والمحرم في البصرة والقطعي[1].

أما زراعة الصندل، فإنها في غالب الأحيان في بلاد الهند، فقد نسب المقاصيري إلى (مقاصير)، والكاوس، والاصناف الاخرى؛ فضلًا عن السنبل الهندي والقرنفل، الذي قيل انه ثمر شجر ورقة الساذج الهندي، إذ انه يجلب من سُفالة الهند وأقاصيها، والقسط المر الهندي، ومنه صنف يضرب إلى السواد لا خير فيه[2]. وفي إيران خصوصًا كانت تزرع النباتات المستخدمة في صناعة الأصباغ والألوان والعطور، مثل الورد، والياسمين، والليلك[*]، والنرجس، والزعفران، والنيلة، والحنة، ومسك اليمن. . . .الخ، في حقول كثيرة، أوفي البساتين والحدائق[3].

أنواع النباتات العطرية

يعد الأصل النباتي من أهم المصادر، لأن الأصل الحيواني هو امتداد له، ذلك ان الحيوانات تولد العطر من خلال اعتياشها على نباتات تفرز عطورًا مهمة. ونباتات العطر هي نباتات لها منظر جميل، وريح طيب، وأكمام زاهية، وهي في غالب الأحيان تعيش وتنبت في البلدان الرطبة الكثيرة الأمطار المعتدلة المناخ، كما في الهند والصين، وأصبحت في الوقت الحاضر تزرع في حقول خاصة، وفي متنزهات ذات طبيعة إنتاجية، لغرض تسويقها والإفادة منها، في إحالتها إلى حالات متميزة بالاستعمال، كالمساحيق والذرور والبخور والمحلول السائل؛ ويمكن ان

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 14 ـ 20، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 133 ـ 137.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 21 ـ 28؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 137 ـ 137.

(*) الليلك نوع من الزهور العطرية المعروفة.

(3) كاهن، كلود: **الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية**، ترجمة: حسين جواد قبيسي، مراجعة علي نجيب إبراهيم، بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان، المنظمة العربية للترجمة، (بيروت 2010م)، 215.

نلاحظ العديد من أنواع العطور ذات الأصل النباتي، وبالذات ما يخص أصناف العود والصندل والقسط والسنبل.. وغيرها. مما يعني أن العنصر النباتي يشكل الرافد الأهم في إنتاج العطور، ومن ثم صناعتها والإفادة منها في التعطر، وفي العلاج.

الآس، وهو شجر العطر واحدته (الآسة)[1]، فهو نبات معروف؛ لذا قال بعض علماء اللغة إنه ضرب من الرياحين، والآس شجرة ورقها عطر[2]. قال أبو نؤاس:

إنـمـا الـعـبـاس فـي قـومـه كـالـثـوم بـيـن الـورد والآسِ[3]

وقد تشاءمت العرب منه، لعلاقة لفظه باليأس، وزعموا انه إياس، وتفاءل به آخرون وزعموا انه مؤاساة واساس، قال الشاعر:

ما أحسن الآس في عيني وأطيبه لولا اتصال حروف الآس بالياسِ[4]

وقيل: انهم تشاءموا من (الآس) لأنها كانت تسمي مرض السل داءَ الياس؛ لهذا سمي إلياس بن مضر بذلك، لأنه قد أصابه السل[5]. والآس هو سيد الرياحين[6] والفطس: هو حب الآس، واحدته فطسه[7].

الإذخِر، وهو حشيشة طيبة الريح أطول من الثيل، وهو كهيئة

---

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (آس).

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أوس).

(3) ابو نؤاس: **ديوانه**، 249.

(4) الوشاء، **الموشى**، 200.

(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 110.

(6) ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي النبطي (ت 322هـ 933م): **الفلاحة النبطية**، تح توفيق الفهد (دمشق، 1993م)، 141.

(7) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي (ت458هـ/ 1065): **المحكم والمحيط الاعظم**، تح عبد الحميد هنداوي، ج8 (دار الكتب العلمية، بيروت 2000م)، 438.

الكَوْلان، له أصل مندفن، وهي شجرة صغيرة ذفرة الريح[1]. ويبدو أن بعض أنواع العطور، سميت بأسماء النباتات التي أُخذت منها، وجرى تصنيفها من خلالها. ومن ذلك الآس والإذخر وما شابه ذلك. ولعله حدث نوع من الخلط بينه وبين الأظفر، أو أنه جرت عليه بعض عمليات الصناعة، فاصبح يسمى الظفر. والأظفر صفة للمسك، قال أبو محمد اليزيدي يمدح مدينة صنعاء:

ويرى مقامات عليها بهجةٌ يارجن هنديًا ومسكًا أذفرا[2]

الأريج، الأرج: نفحة الريح الطيبة، الأريج والأريجة: الريح الطيبة، وجمعها الأرائج، وانشدوا في ذالك:

كأنَّ ريحًا من خزامى عالج، أو ريح مسكٍ طيبِ الأرائجِ

ويسمى الأريج، قال أبو ذؤيب:

كأنَّ عليها بالةً لطميةً، لها من خلال الدَّأيتين أريج[3]

ويعرف بشدة نفاذه، حتى سمي بالثاقب إذا سطعت رائحته وفاحت، قال أبو حنيفة:

بريح خُزامى طلَّةٍ من ثيابها ومن أرج من جيد المسكِ ثاقبِ[4]

الأُشْنة، وهي من العطر، شيء أبيض كأنه من عرق[5]. ولعل لونه هو الذي دفعهم بإطلاق هذا الاسم عليه. وهو شيء من الطيب، كأنه مقشور[6].

الأُظافر، واحدة الظفر، والظفر: ضرب من العطر أسود يوضع

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (ذخر).
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 427.
(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أرج).
(4) المصدر السابق، مادة (ثقب).
(5) الفراهيدي: **العين**، مادة (شن).
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أشن).

في المدخنة، ولونه أسود كأنه ظفر مقتلف. وقيل: هو شيء من العطر[1]. وسمي الظفر لأنه يشبه الظفر[2]. ولعله هو المسك الإذخر أو الأظفر، كما أشرت سابقًا.

الأقحوان، وهو نبات الربيع، صغير دقيق العيدان طيب الريح والنسيم[3]. وفي الأقحوان يقول عمر بن أبي ربيعة:

يمجُّ ذكي المِسك منها مُقبّلٌ نقي الثنايا ذو غُروب مُؤشرِ
تراه إذا ما افتر عنه كأنه حصى بردٍ أو أقحوان مُنَوَّرِ[4]

الألُوَّة، وهو العود الذي يتبخر به، فارسي معرب، والجمع ألاوية، دخلت الهاء للإشعار بالعجمة، وانشدوا:

بساقينِ ساقي ذي قضين تحشُمها باعواد رندٍ أو الاوية شُقرا[5]

وفي الحديث عن أهل الجنة: (مجامرهم الألُوة)[6]. قال عبد الرحمن بن حسان في أخت معاوية بن أبي سفيان، وهو خليفة:

تجعل النِّد والألُوة والعو د صِلاءً لها على الكانونِ
وقِباب قد أُشرِجَت وبيوت نُطِّقت بالريحانِ والزَّرجون[7]

الأناب، وهو ضرب من العطر يضاهي المسك، وأنشدوا:

تعُلُّ بالعنبر والأناب كَرمًا تدلَّى من ذرى الأعنابِ[8]

الأنقيض، وهو كإزميل، الطيب الذي له رائحة طيبة خزاعية[9].

(1) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ظفر).
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (ظفر).
(3) الفراهيدي: **العين**، مادة (قحو).
(4) **ديوانه**، 98.
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ألا).
(6) ابن القيم: **الطب النبوي**، 290.
(7) الأصفهاني: **الأغاني**، 15/ 85.
(8) الفراهيدي: **العين**، مادة (أنب)؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أنب).
(9) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (نقض)؛ الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (نقض).

البان، والبانة: شجرة لها ثمرة تُرَبّب بأفاويه الطيب، ثم يعتصر دهنها طيبًا، وجمعها البان[1]. ومن ذلك دهن البان المديني (نسبة إلى المدينة) الذي يطبخونه بالأفاويه الطيبة، إلا أنه لا يصلح للغوالي، لأنه يغلب على روائح العنبر والمسك بروائح الأفاويه وحدها، فلا تستعمله الملوك إلا ان تدهن به أيديها في الشتاء، وتستعمله النساء في أطيابهن، وهو نوعان: الكوفي والمديني (نسبة إلى المدينة)[2]. والبان من العطور التي عرفتها المرأة، منذ العصر الجاهلي، ثم استمر استعماله طوال العصور الإسلامية المتلاحقة، وكان يخلط مع العطور الأخرى[3].

الباذروج، نبات طيب الريح[4].

البسباس، نبات طيب الريح، يشبه طعمه الجزر واحدته بسباسة[5].

البَشام، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك به، قال جرير:

أتذكر يوم تصقل عارِضيها   بفرع بَشامةٍ، سُقي البَشام[6]

وهو شجر البلسان الذي يستخرج منه دهن البلسان[7].

البَنّة، نبات ريحه طيبة كرائحة التفاح، وعَرفه أقرب إلى عَرف السَّفرجل والتفاح الخمطة[8].

البُنك، ضرب من الطيب[9].

البهار، وهو نبت طيب الريح، وقيل هو العرار، الذي يقال له عين

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بين).
(2) اليعقوبي: **البلدان**، 215.
(3) العلي: **التزيق والحلي**، 8.
(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بذرج).
(5) المصدر السابق، مادة (بسبس).
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بشم).
(7) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 149.
(8) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بنن).
(9) المصدر السابق، مادة (بنك).

البقر، وهو بهار البر، وهو نبت جعد له فقّاحة صفراء، ينبت أيام الربيع يقال له (العرارة)[1]. قال جحظة البرمكي:

في رِقّةِ البُردان بين مَزارع محفوفة ببنفسج، وبهارِ
بَلدٌ يشبِّه صبغة بخريفهِ، رَطب الأصائِل باردِ الأسحارِ[2]

البيش، وهو نبات مشهور هندي وصيني، يكون بكابل، وهلاهل، وأطراف السند، يطول إلى ذراع عريض الأوراق، سبط له بزر كالشبث، وزهر اسمانجوني، يدرك بآب، منه ملتو كالإكليل، يسمى قرون السنبل لوجوده معه، ومنه صنوبري في الشكل صغير إلى الصُّفرة، يُحكّ بنفسجيًا، ومنه يشبه القسط شديد السواد[3].

التَّامُول، وهو نبات كالقرع، وقيل: نبات طيب الريح ينبت نبات اللوبياء، طعمه طعم القرنفل يُمضغ، فيطيب النكهة، وهو ببلاد العرب من أرض عُمان[4].

التبر، وهو نبات ينبت في السودان، يتطيبون به، ورائحته ليست كريهة، وهو إلى العطرية أميل منه إلى الزفر، يستصحبونه مع الادلاء ويستكثرون من حمل المياه[5].

الثُّوم، وهو شجر طيب الريح عظام، واسع الورق أخضر أطيب ريحًا من الآس، يبسط في المجالس كما يبسط الريحان، واحدته ثومة[6]. وهذا يعني انه غير الثوم المعروف ذي الرائحة الكريهة، والذي يشبه البصل.

(1) م. س، مادة (بهر).
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 376.
(3) الأنطاكي، داود بن عمر الطبيب (ت1008هـ / 1599م): **تذكرة أولي الألباب**، ج1 (بيروت، د. ت)، 126.
(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (تمل).
(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 12.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ثوم).

الثَّيتَل، وهو ضرب من الطيب، وأنشدوا:

فـإنـي امـرؤٌ مـن بـنـي عـامـرٍ وإنَّـكِ داريـةٍ ثـيـتَـلُ[1]

يريد به العطر الداري.

الجادي، وهو الزعفران، قال كثير عزة:

يُباشرن فار المسك في كلِّ مهجع، وَيُـشـرِقُ جـاديٌ بـهـنَّ مُـفـيـدُ[2]

والمفيد، هو العطر المدوف، وينسب الجادي إلى جادية، وهي قرية من عمل البلقاء من أرض الشام[3].

الجثجاث، وهو شجر أصفر مُرٌّ، طيب الريح تستطيبه العرب، وتكثر من ذكره في اشعارها[4].

الجعدة، وهي حشيشة تنبت على شاطئ الأنهار، وتجعد؛ وقيل: في شعاب الجبال بنجد، لها رعشة مثل رعشة الديك، طيبة الريح تنبت بالربيع، وتيبس في الشتاء، تحشى بها الوسائد لطيب ريحها إلى المرارة[5].

الجلسان، وهي ورد ينتف ورقه وينثر، ويقال: اسم الورد بالفارسية جل، وقيل: قبة ينثر عليها الورد والريحان والمزرجوش (المردقوش)، وهو بالفارسية أذن الفأرة[6].

الحِبَّة، بذور البقول والرياحين، أو بذور العشب، أو جميع بذور النباتات، وبزر كل نبت[7].

(1) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ثتل).
(2) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جود).
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 92.
(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جثث).
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جعد).
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جلس).
(7) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (حبب).

الحَلَمة، وهي شجر السَّعدان، من أفضل المراعي[1]. والسَّعدان نبات طيب الرائحة، وفي المثل: (مرعى ولا كالسعدان)[2]. وقيل: نبات ينبت في السهل[3].

الحَنوط، وهو ما يخلط من الطيب بأكفان الموتى[4]، ويقال: إن ابن عمر حنَّط ابنًا لسعيد بن زيد، وحمله فدخل به إلى المسجد، فصلى ولم يتوضأ[5]. ويقال: إن الحنوط هو الكافور، وهو ذريرة يُحنَّط، بها أو مسك أو عنبر[6]. وقد استعمله عرب الجاهلية في تجهيز موتاهم، ولعل فيه مادة تقلل من التعفن؛ فضلًا عن كونه مزيجًا من مواد معطرة ذات رائحة طيبة، وكان معروفًا عند الساميين[7].

الخَبراء، وهي شجر من بطن روضة يبقى الماء فيها إلى القيظ، وهو شجر السدر والأراك، وحواليها عشب كثير[8].

الخُزامى، نبت طيب الريح واحدته خزاماه[9]. وفيه يقول الشاعر النميري، مشيرًا إلى بعض نباتات الطيب:

كأنَّ القرنفُل والزَّنجبيلَ وريح الخُزامى وذوب العَسل[10]

وقال الحطيئة(*):

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (حلم).
(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 12/ 8؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سعد).
(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حلم).
(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حنط).
(5) مالك، أبو عبدالله مالك بن أنس الاصبحي (ت 179هـ/ 795م): **الموطأ** (دار البحار، بيروت، 1986م)، 135 ـ 136.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حنط).
(7) جواد علي: **المفصل**: 5/ 128 ـ 129.
(8) الفراهيدي: **العين**، مادة (خبر).
(9) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (خزم).
(10) الأصفهاني: **الأغاني**، 6/ 195.
(*) الحطيئة، جرول بن اوس (ت45هـ/ 1665). ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 238؛ البلاذري: **انساب الأشراف**، 3/ 173.

تـضـوّع ريـاهـا إذا جـئـت طـارقًـا كريح الخُزامى في نباتِ الخَلى النَّدي[1]

الخِطر، وهو نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود. والخَطّار دهن يتخذ من زيت بأفاويه الطيب والعطر[2].

الخَمطة، والخمطة، ريح نور الكرم وما أشبهه، مما له ريح طيبة، وليست بالشديدة الذكاء طيبا[3].

الدهمَشت، ثمر لنبات فيه عطر، واحدته غارة، ومنه دهن الغار[4].

الداري، نوع من الطيب جاء في الحديث: (مثل الجليس الصالح مثل الداري، وان لم يُحذِك من عطره عَلقك من ريحه)، أي إن لم يعطك[5].

الذريرة، وهي فتات من قصب الطيب الذي يجاء به من بلد الهند يشبه القصب. وفي حديث عائشة ﵂: طيبت رسول الله ﷺ لإحرامه بذريرة؛ [6] قال: هو نوع من الطيب، مجموع من أخلاط. وفي الحديث: ينثر على قميص الميت[7]. قال أبو الشيص[*]:

وَشـادِن كـالـبـدرِ يـجـلـو الـدُّجـى فـي الـفَـرقِ مـنـه الـمـسـك مَـذرورُ
يُـحـاذِرُ الـعـيـن عـلـى صَـدره فـالـجـيـبُ مـنـهُ الـدهـرَ مـزرورُ[8]

والذرور عطر معروف بمكة يجاء به من الهند كالذريرة، وهو ما

---

(1) الحطيئة، أبو ملكية جرول بن أوس (ت نحو 45هـ / 665م): **ديوانه**، شرح السكري (دار صادر، بيروت، 1387هـ/ 1967م)، 46.
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (خطر).
(3) الفراهيدي: **العين**، مادة (خمط).
(4) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (عطر).
(5) ابن منظور: **لسان العرب**: مادة (حذا).
(6) ابن القيم: **الطب النبوي**، 261.
(7) ابن منظور: **لسان العرب**. مادة (ذرر)؛ ابن القيم: **الطب النبوي**، 190، 238.
(*) محمد بن علي الخزاعي (ت199هـ/ 811م). ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 5/ 401.
(8) الأصفهاني: **الأغاني**، 6/ 323.

انتخبت من قصب الطيب، ومثل نوع من الطيب، مجموع أخلاط، وبه فسر حديث عائشة: طيبت رسول لإحرامه به[1].

الذفرة، وهي الريح الطيب[2]، والذّفران: من الذفر، وهو كل ريح طيبة ذكية أو نتن[3]. والذّفر هو حدة الرائحة الطيبة كانت، أو خبيثة؛ قال الهذلي:

لـهـا مـهـم بـمـذفـارٍ صـيـاح يـدعـي بـالـشـراب بـنـي تـمـيـم[4]

الذِّكارة، والذِّكارة (بكسر الذال)، هي ما يصلح للرجال كالمسك والعنبر والعود، وهو جمع ذُكر. وكانوا يكرهون المؤنث من الطيب، ولا يرون بذكورته بأسًا. وهو ما لا لون له، ينفض كالعود والكافور والعنبر، والمؤنث طيب النساء كالخلوق والزعفران[5].

الرادع، الردع، أثر الخلوق والطيب في الجسد، أو أثر الطبيب والزعفران[6]، قال:

ولـكـانِ عـادتُـه عـلـى جـيـرانـهِ ذهـبًـا وريـطًـا رادعًـا وجـفـانـا[7]

الرُّضاب، ورضاب المسك، هو قطعه، قال:

واذْ تـضـحـك تـبـدي حَـبـبـا كَرُضاب المسكِ بالماء الخَضِرِ[8]

الرَّمرام، وهو ضرب من الشجر، طيب الريح واحدته رمرامة[9].

الرند، وهو الآس، وهو العود الذي يتبخر به، له حب يسمى الغار؛

(1) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ذرر)؛ جواد علي: **المفصل**، 7/ 237.
(2) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ذفر).
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 6.
(4) المصدر السابق، 5/ 90.
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ذكر).
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (درع).
(7) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 189.
(8) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حبب).
(9) م.س، مادة (رمم).

وقيل: سموا العود الذي يتبخر به رندًا، وأنكروا أن يكون الرند الآس[1]، وقيل: هو شجر من أشجار البادية، وهو طيب الرائحة يستاك به، ليس بالكبير وله حب يسمى الغار واحدته رندة[2]. وأنشد:

بسقين ساقي ذي قضين تحشها باعواد رندٍ أو ألاوية شُقرا[3]

الرَّيحان، وهو كل نبت طيب الريح[4].

الزَّرنب، وهو ضرب من الطيب، وقيل: وهو شجر طيب الريح. وقيل: هو الزعفران، ويجوز ان يعني طيب الرائحة[5].

الزَّعفران، وهو من الطيب. ويقال له: الشعر، وهو الفيد، والملاب، والعبير، والمردقوش والجساد. والملابة هي الطاقة من شعر الزعفران[6]. ووصف الحجاج بن يوسف بلاد أصفهان، فقال: «بلدة حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران»[7]

ومنه الكركم[8]، والفيد. ويقال عن الفيد: هو رائحة الزعفران، ويقال: فاد يفيد فيدا إذا مات[9]. قال الحطيئة:

ترعى الزعفران الورد فيهن شاملا وإن شئت مسكًا خالصًا ريحه زِفره[10]

وفي بغداد درب الزعفران، قال فيه أبو الحسن علي بن الحسن الميانجي:

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (رند).
(2) ابن سيدة: **المحكم**، 9/ 31.
(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ألا).
(4) ابن القيم: **الطب النبوي**، 265.
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (زرنب).
(6) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (لأب).
(7) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 208.
(8) الفراهيدي: **العين**، مادة (كركم).
(9) ابن النديم: **الفهرست**، 71.
(10) **ديوانه**، 100.

فيالك منزلاً، لو اشتياقي أُصَيحابي بدرب الزعفران[1]

ويرتفع الزعفران في رُوذرَوار، شيء كثير يجهز إلى البلاد[2].

الزَّنجبيل، وهو ما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان، شبيه بالراسن، وزعم بعضهم ان الخمر يسمى زنجبيلًا، قال:

* وزنجبيل عاتق مطيب *[3]

وأُهدي إلى النبي ﷺ جرة زنجبيل، فأطعم كل انسان قطعة[4]. وفي التنزيل: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾[5]، في وصف خمر الجنة، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب، وهو مستطاب عندهم جدًا؛ قال الأعشى يذكر طعم ريق جارية:

كأنَّ القرنفُلَ والزَّنجبيـ ـلَ باتا بفيها، وأرْيًا مَشورا[6]

وقال البحتري:

كأن القرنفل والزنجبيل وريح الخزامى وذوب العسل[7]

وغنى ابن عائشة:

كأن القرنفل والزنجبيـ ـل يُعلّ في ريقها الأطيب[8]

قال سحيم(*) في بعض العطور:

كأن القرنفل والزنجبيـ ـل والمسك خالط جفنًا قطافا

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 448.
(2) م.س، 3/ 478.
(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (زنجبيل).
(4) ابن القيم: **الطب النبوي**، 270.
(5) سورة الانسان؛ الآية: 17.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (زنجبيل).
(7) الأصفهاني: **الأغاني**، 6/ 195.
(8) المصدر السابق، 2/ 186.
(*) سحيم عبد بني الحسحاس، شاعر معروف. ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 1/ 320.

يـخـالـط ريـقـهـا قـــــهـوةً سباها الذي يسبيها سُـــلافا
وبـعـود الـهـنـد عـدد الـتـجـا رِ غـالٍ يُخـالـط مِسكًا مـدافا[1]

وهو ما يعجب أهل (مالي)[2].

الزَّينب، شجر حسن المنظر، طيب الرائحة[3].

السُّعد، وهو من العَروف الطيبة الريح، وهي أرومة مُدحرجة سوداء صلبة، كأنّها عقدة تقع في العطر، وفي الأدوية والجمع سُعْد[4]. جاء في المثل: (مرعى ولا كالسعدان)، مثل قاله أمية بن الأسكر[5].

السّكب، شجر طيب الريح، كأن ريحه الخلوق، ينبت مستقلًا على عرق واحد، له زغب وورق، مثل ورق الصعتر[6].

السّنبل، وهو نوع من الطيب، ويكون على عدة أصناف، وأجوده العصافير الحمر الألوان المسلل، والمسلل هو الذي قد نقي من زغبه، ومسح منه، وعصافيره مجردة، إذا أمسكه الإنسان بكفه ساعةً، ثم اشاعه كانت رائحته كرائحة التفاح أو نحوها.

وهو نوع من العصافير، أحمر كثير البياض، والشحط أطيب رائحة، قريب من الأول، ثم أدناه، وهو دقاق من السنبل وجلال ليس مما يدخل في جيد العطر. أما أصله فهو حشيشة تنبت بأرض الهند، وببلد التبت أيضًا[7].

(1) سحيم عبد بني الحسحاس (ت نحو 40هـ / 660م): **ديوانه**، تح عبد العزيز اليمني (مط دار الكتب، القاهرة، 1950م)، 44.
(2) مالي، بلد ذكره ابن بطوطة، في رحلته، 779.
(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (زنب).
(4) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (سعد).
(5) الأصفهاني: **الاغاني**، 12/ 108؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سعد).
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سكب).
(7) اليعقوبي: **البلدان**، 212.

السّنبير، وهو نوع من الطيب يشبه الياسمين، قال فيه أبو نواس:

بـراقـهـا مـن سـحـيـق الـعِـبـر ومـن يـاسـمـيـن وسـنـيـبـر[1]

السِّواك، وهو من عود الأراك، واستعماله من الظرافة والنظامة، لأنه يعطي الفم رائحة حسنة، جاء في الحديث: (إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسِّواك)[2]. وجاء أيضًا: (لقد أُمرت بالسِّواك، حتى حسبت أن يكون يكتب عليَّ)[3]. وقد استعملوا من المساويك الأراك، وقصب السكر، وأصول السوسِ، وعود المحلب، وعروق الإذخِر، وعقد العاقِر قَرحا، وأغرم الظرفاء في ذلك إكمالًا لظرفهم[4]. ومنه الضرو، ويسمى (الكمكام)، شجر طيب الريح يستاك به، ويجعل ورقة في العطر، وهو المحلب، قال النابغة الجعدي فيه:

*** تـسـتـنُّ بـالـضـرو مـن بـراقـس*[5]**

الشّث، وهو شجر طيب الريح، مر الطعم يدبغ به، ينبت في جبال الغور ونجد، قال فيه أبو الدُّقيش:

وفيهن مثل الشث يعجب ريحه وفي عينه المذاقة والطعم[6]

وهو من أشجار الجبال، ينبت في جبال الغور ونجد[7].

الشِّيح، نبات سهلي من الأمرار، له رائحة طيبة وطعم مر[8]، قال جرير:

هل بالنقيعة ذات السِّدر من أحدٍ أو منبت الشيح من روضات أعيارِ[9]

---

(1) **ديوانه**، 231.
(2) الغزالي: **الإحياء**، 1/ 32.
(3) الوشاء: **الموشى**، 210.
(4) الوشاء: **الموشى**، 210.
(5) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ضرو).
(6) الفراهيدي: **العين**، مادة (شث)؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (شث).
(7) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (شث).
(8) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (شيح).
(9) **ديوانه**، 219.

الصُنْدِل، وهو شجر طيب الريح[1]، أو العود الطيب الريح، يكون لونه أحمر وأبيض[2]، قال تميم بن المعز بن اسماعيل الفاطمي يصف النيل:

وانظر لماءِ النيل في مدِّه كأنه صُنْدِلَ أو مُسّكا[3]

وزراعته في (بشلاهط)، مع السنبل والقرنفل[4]. وقيل: هو خشب يؤتى به من سفالة الهند، وهو على سبعة أضرب[5]: المقاصيري، أصفر دسم، كأنه مسح بالزعفران الذكي الرائحة، يقطع رطبًا، ومنه الأبيض، والجوزي، والساوس أو (الكاوس)، ومنه يميل إلى الحمرة وجعد الشعرة، أحمر اللون.

العنبر، نبات كالقيصوم في الغبرة، لأنه طيب للأكل، له قضبان رقاق طيب الريح[6].

الصِّياح، هو عطر أو غسل[7]، بعثت به سكينة بنت الحسين ﷺ إلى حبش بن دلجة بغالية لأنه من أخوالها، فلما وصلت إليه قال: فأين كانت عن الصِّياح؟ يقدِّر أن الصياح أرفع من الغالية[8].

الضَّرو، هو شجر الكمكام، وهو شجر طيب الريح يُستاك به، ويجعل ورقه في العطر، وأكثر منابت الضَّرو باليمن، ومن شجر الجبال

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صندل).
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 425.
(3) المصدر السابق، 5/ 336.
(4) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، 65.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 21 ـ 23؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 25/ 137 ـ 139.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عنبر).
(7) الوشاء: **الموشى**، 186.
(8) الأصفهاني: **الأغاني**، 16/ 94.

كالبلوط العظيم، له عناقيد كعناقيد البطم، غير أنه أكبر حجمًا، ويطيح ورقه فإذا نضج صفي ورد مائة إلى النار فيعقد، ليتداوى به[1].

الظّبيان، هو ياسمين البر، وهو نبت يشبه النِّسرين، وهو ضرب من اللبلاب، وقد دبغ بورقه ويلف بعضه على بعض[2].

العَرار، وهو نبت طيب الريح، قال بعضهم:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عَرار[3]

وغالبًا ما يذكر العرار مقرونًا بالشيح، قال أبو هلال الاسدي:

أتتك بنفحة من شيح نجدٍ تفوح والعرار بها مشوب[4]

وقال مالك بن الريب، في وصف الشيح والخريف:

هبت شمالاً خريفًا اسقطت ورقًا واصفَّر بالقاعِ بعد الخضرة الشيح[5]

العود، هو ضرب من الطيب يتبخر به، جمعه عيدان وأعواد وأعود[6]، وخشبه يؤتى به من الهند طيب الريح، قابض فيه مرارة[7]. وبقمّار العود القمّاري، وأفضل منه العود الصنفي، من بلاد الصنف بناحية الصين، ويأتي قبله القاقلي (نسبة إلى قاقل)، لأنه يغرق في الماء لجودته وثقله[8]، ومنه العود الكلاهي، ذكره أبو العباس الصفري شاعر سيف الدولة، فقال:

---

(1) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ضرو).

(2) المصدر السابق، مادة (ظبن).

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 93.

(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 33.

(5) القيسي، نوري حمودي: **شعراء امويون**، ق1، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (جامعة الموصل، الموصل، 1396هـ/ 1976م)، 53.

(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عود).

(7) اليعقوبي: **البلدان**، 211 ـ 213.

(8) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، 67.

لـهـا أرَجٌ يـقـصـر عـن مَـداهُ فـتـيـت الـمسك والـعـود الـكـلاهـي

منسوب إلى كلاه، بلد أقصى الهند يجلب منه العود[1].

ومن أنواعه القمّاري والصنفي، نسبة إلى بلد الصنف بناحية الصين، وبعضهم يقدمه على القمّاري، ومنه نوع يسمى القشور، رطب أزرق، وهو أعذب رائحةً من القطيعي، هو دونه في القيمة، وأفضل الصيني ما يسمى القطعي، والصيني أصناف، منها المنطاوي، ليست رائحته محمودة، وصنف اسمه اللواقي (اللوقيني)، وهو أعواد متقاربة في القيمة[2].

أما أنواع العود ومعادنه أصنافه، فهي أنواع كثيرة، وأصناف متباينة، فأفضله وأجله وأنفسه المندلي وهو الهندي، وإنما سمي المندلي نسبة إلى معدنه (والمندلي هو الهندي)، ومنه القامروني نسبة إلى القامرون في الهند، والسمندوري نسبة إلى بلاد سمندور، بلد سفالة الهند. ويليه العود القماري، نسبة إلى قمار في سفالة الهند، وأجوده الأسود والأزرق، وبالذات الكثير الماء، الرزين الصلب الذي لا بياض فيه، ومنه أيضًا الصنفي والصندفوري، ويليهما الصيني وهو عود حسن اللون، أول رائحته يشاكل رائحته الهندي، إلا أن قتاره غير محمود، وأفضل نوع منه يسمى القطعي، وهو رطب حلوه طيب الرائحة، ويؤتى به من الصين، ومنه صنف يسمى القشور رطب أزرق، وهو أعذب رائحة من القطعي، ودونه في القيمة. ومن الصيني أيضًا المانطائي، يصلح للأدوية والسفوفات والجوار شنات، منه صنف يعرف بالجُلابي، ومنه صنف يعرف باللّواقي (اللُّوقيني)، وهو أعود متقاربة القيمة. ومنه العود القاقلي، والصنفي، والصندفوري، والكهلي، والعولاتي، والقندغلي، والسمولي، والرانجي، والمحرم، والأفليق؛ والاخير هو عود يؤتى به من أرض الصين، يكون في العِظَم مثل الخشب الرانجي الغِلاط، والعود الطيب في قشوره، وداخله خشب خفيف، مثل الخلاف، وإذا وضع على الجمر وجد له في أوله رائحة حلوة

(1) ياقوت: معجم البلدان، 4/ 47.

(2) اليعقوبي: البلدان، 211 ـ 213.

طيبة، فإذا أخذت النار منه، ظهرت منه رائحة رديئة كرائحة الشَّعر[1]، قال الشاعر في المندلي:

اذا ما مشت نادي بما في ثيابها ذكيّ الشَّذا والمَندلي المطير[2]

والعود الهندي المندلي، كلما كان أصلب، فهو أجود، وامتحان جودته إذا كان فيه رطوبة بأن يوضع عليه نقش الخاتم فينطبع، وإذا كان يابسًا فالنار تفصح عنه، ومن خصائصه ثبات رائحته[3]، وشجره يشبه البلوط، وفيها رائحة عطرة[4].

الغار، وهو نبات طيب الريح على الوقود، ومنه السوس، والغار الغبار[5]. ويقال: أن طيبه يستخرج من شجر الغمر، وهو شجر عِظام ورقه طيب الريح يقطع فيه العطر، يقال لثمره الدهمشت، واحدته غارة، ومنه دهن الغار[6].

الفَاخور، هو نبات طيب الريح، ضرب من الرياحين، وهو الذي خرجت له جماجيح في وسطه، كأنه أذناب الثعالب، عليها نَوْر أحمر في وسطه، طيب الريح يسميه أهل البصرة ريحان الشيوخ، زعم أطباؤهم أنه يقطع الشباب[7]، ويسمى أيضًا (الفاغر)[8].

الفقاح، وهو من العطر يجعل في الدواء، فيقال: فقاح الإذخر،

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 14 ـ 21؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 133 ـ 137.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 209.

(3) الثعالبي: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم (دار نهضة مصر، القاهرة، 1384هـ/ 1965م)، 533.

(4) ابن بطوطة: **الرحلة**، 711.

(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (غور).

(6) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (غمر).

(7) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (فخر).

(8) المصدر السابق، مادة (فغر).

الواحدة بالهاء، وهو من الحشيش، والفقحة الراحة بلغة أهل اليمن، وهي معروفة وهي الدُّبر[1].

القِرفة، ضرب من الدار صيني، وهو على أنواع، ظاهره خشن، برائحة عطرة وطعم حاد حريف، ومنه المعروف بقرفة القرنفل، ورائحتها كالقرنفل، وهو ضرب من الطيب، والكل مسخن ملطف مدرر[2].

القيصوم، من الأمرار طيب الرائحة، من رياحين البر وورقه هدب، وله نورة صفراء، وهي تنهض على ساق[3]. وغالبًا ما يقترن بالشيح، وهو نبات صحراوي، له رائحة خاصة قال عمر بن أبي ربيعة:

إحدى بنيّات عمي دون منزلها ... أرض بقيعانها القيصومُ والشيح[4]

الكاذي، شجر طيب الريح، يُطيَّب بالدهن، ونباته ببلاد عمان[5].

الكافور، هو نبات نَوره كنور الأقحوان، وهو الطلع وهو من أخلاط الطيب[6] أي يخلط بغيره، جاء في التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[7]، ومن أنواع الكافور القنصوري يوجد في سرنديب[8]، وهو لب شجر يشق، فيستخرج منه كامنًا فيه، فربما وجد مائعًا، وربما كان جامدًا، لأنه صمغ يكون في لب بعض الأشجار، والكافور لحق بين الصين ومندورقين مطل على البحر[9]. فهو بالتالي من أصول نباتية، قال الحسين بن الضحاك:

---

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (فقع).
(2) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (قرف).
(3) ابن منظور: **لسان العرب**: مادة (قصم).
(4) **ديوانه**، 489.
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (كوذ).
(6) الفراهيدي: **العين**، مادة (كفر).
(7) سورة الانسان؛ الآية: 5.
(8) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 180.
(9) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 447.

وإذا أصغيت ذكرني نشر كافورٍ على بَردِ[1]

يصف فيه الشفاه والأسنان، ومن أدلة كونه نباتًا، قول الأعشى:

كان على أنسائها عَذقٌ خَصله تدلًى من الكافورِ غير مُكَّمَم[2]

ومنه الكابلي، أجود من المندروقيني، لأن كابل بعيدة عن البحر[3]. وفي جزيرة (كله) شجر الكافور، والعود الفاخر[4]، وفي بحر الصيف يوجد الطيب والكافور والعود والصندل والجوزي والبسباسة والكبابة[5].

اللّفاح، وهو من البطيخ، ويسمى البستاني، وهو ثلاثة أصناف: هندي وصيني وخراساني، فالهندي يسمى في مصر الأخضر، وبالمغرب الدلاع، وبالحجاز الحبحب، وبالشام الزَّبش، والصيني هو الذي في مصر والشام.الأصفر والجيد منه الثقيل الخشن الاصفر الخراساني، وهو الذي له رقبة مستطيلة، ويسمى في مصر العبدلي، وهو لطيف الشكل عطر الرائحة، ويسمى بالعراق الدستنبوي، وفي الصعيد الأعلى يسمونه اللّفاح، وهو خطأ لأن اللفاح صنف آخر[6]، وهو نبات مهيج للجماع، حتى أن الفيل الذي ليس لديه شهوة السِّفاد إذا أراد الولد أتى رياضًا وجنانًا فيها اللفاح هو وإناثه، فهيج له اللفاح برائحته وقوة حرارته شهوته، فتسافدت فإذا ولدت ولدت قائمة[7]. قال أبو أحمد السامي الهروي يصف هراة:

---

(1) الأصفهاني: **الاغاني**، 7/ 188.

(2) الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس: **ديوانه**، شرح إبراهيم جزيني (دار الكتاب العربي، بيروت، 1388هـ/ 1968م)، 181.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 447.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 226.

(5) م.س، 1/ 224.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 3/ 170 ـ 171.

(7) التوحيدي: أبو حيان علي بن العباس (ت نحو 414هـ/ 1023م) **الإمتاع والمؤانسة**، تح أحمد أمين وأحمد الزين، ج1 (المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، د.ت)، 181.

هـراة أرض خـصـبـهـا واسـع ونـبـتـهـا الـلّـفـاح والـنـرجـس[1]

وجاء في وصف اللفاح:

ولـفـاحـة طـيـب ريـحـهـا حـبـوتُ بـهـا مـسـتـهـامًا حـزيـنـا[2]

ويبدو أن لكلمة (لفح) دلالة جسدية تتعلق بالنشاط الجنسي، وأن لهذا النبات حضورًا قديمًا في حضارة العراق القديم، ولعل اللفظة ليست بعربية الأصل، ولجناسها مع التفاح صلة بالخطيئة. وقال آخر:

أنظر إلى اللفاح تنظر معجبا يحلو عليك مفضضًا في مذهب
تـعـلـو مـفـارقَـه قـلانـسُ أجـفـيـت ومن تحتهن دراهم لم تضربِ[3]

المحلب، شجر له حب يجعل في الطيب والعطر، واسمه المحلبية على النسب، وحب المحلب ضرب من الطيب[4]، ولعله منسوب إلى المحلب، ببلدة قرب الموصل[5]. وتطلق عليه النساء في الوقت الحاضر (حب محلب) يخلط مع القرنفل، ويعمل منه طيب خاص له نكهة راقية، ويخلط أحيانًا مع الحناء.

المحروت، شجرة بيضاء، تجعل في الملح، لا تخالط شيئًا الّا غلب ريحها عليه، وتنبت في البادية، وهي ذكية الريح جدًا، والواحدة محروتة[6].

المرو، هو شجر طيب، ضرب من الرياحين[7].

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 397.
(2) أبو أحمد العسكري، الحسن بن عبد الله (ت 382هـ/ 922م): **المصون في الأدب**، تح عبد السلام هارون (الكويت، 1960م)، 8.
(3) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت بعد 395هـ/ 1005م): **ديوان المعاني**، ج2 (عالم الكتب، بيروت، د.ت)، 43.
(4) الفراهيدي: **العين**، مادة (حلب)؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حلب)؛ الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (حلب).
(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 63.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حرت).
(7) المصدر نفسه، مادة (مرا).

المَلاب، هو ضرب من الطيب (فارسي) كالخلوق، يقال: للزعفران الشّعر، والفيد والملاب والعبير والمردقوش والجساد، قال: والمَلَبة الطاقة من شعر الزعفران[1]. والملاب كل عطر سائل[2]، قال جرير:

أعدوا مع الحلي المَلاب فإنما جريرٌ لكم بعل وأنتم حلائلُه[3]

نبق الضال، هو نبات صغار، وأجودهُ يعلم بأرض العرب نبق هجر، وهو أشد نبق يعلم حلاوة، وأطيبه رائحه يفوح فم آكله وثياب ملابسه كما يفوح العطر[4].

اليلنجوج، وهو شجر يتبخر به، ويلفظ أيضًا يلنجوج، وهو عود طيب الريح[5]، قال أبو دهبل فيه:

تجعل المسك واليَلنجُو ج والند صِلاءً لها على الكانونِ[6]

وقال حميد بن ثور الهلالي، يصف امرأة ملازمة للطيب:

لا تصطلي النار الاَّ مجمدًا أرِجًا قد كسَّرت من يلنجوج له وقصا[7]

ب ـ المصدر الحيواني

يعد الحيوان المصدر الثاني المهم من مصادر إنتاج العطر، والحصول عليه، ولعله ينتج من غذاء الحيوان على نبات عطري، فيجري إنتاجه بطريقة جديدة، ولكن مصادرنا التاريخية تشير إلى دويبة، أو ظبي، أو غزال، أو فأرة حين يتعلق الأمر بذكر المسك، أو الرياح، أو غيرها؛ بينما يجري ذكر الجماد والمنابع الحجرية، حين نتعرض لذكر العنبر. وهذا يعني أن ثمة أكثر من مصدر لإنتاج العطر، في حين نرى أصنافًا أخرى من العطر

---

(1) المصدر نفسه، مادة (ملب).
(2) الثعالبي: **فقه اللغة** (مط الآباء اليسوعيين، بيروت، 1938م)، 15.
(3) **ديوانه**، 354.
(4) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (سدر).
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (لجج).
(6) الأصفهاني: **الأغاني**، 7/ 134.
(7) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جم).

يجري ذكرها، بوصفها من الأصناف الصناعية التي تنتج من خلط، أو مزج، أو إذابة، أو تكسير، أوجرش أصناف أُخرى كالخلوق وأشباهه. ومن هذا المنطلق يمكننا معرفة كيفية تنوع أصناف العطر، وتنامي إنتاجه في المستقبل حين يتعلق الأمر بالجانب الجسدي والنفسي والاقتصادي للإنسان، بعد أن كان يتعلق بالجانب الطقسي والديني، وما زال العطر وخصوصًا البخورات يشكل علامة سيميائية في الشعائر الدينية.

الرّياح، والرياح، دويبة كالسنور يجلب منه الكافور، ويقال إن الكافور لا يجلب من دابة، وإنما هو صمغ شجر بالهند، ورياح موضع فيه. والدويبة هي الزبادة، والذي يجلب منها هو الطيب، وليس الكافور[1]. أما الريحان: فهو اسم جامع للرياحين الطيبة واحدته ريحانة[2]. والريحان كل نبت طيب الريح[3]. وجاء في الحديث: (من عرض عليه ريحان فلا يرده؛ فانه طيب الريح خفيف المحمل)[4]. والرياحين، نباتات عديدة تضم: البنفسج، الخيري، السوسن، النيلوفر، النرجس، الأقحوان، الياسمين، النسرين، الآس وهو سيد الرياحين[5].

المسك، لفظه معربة من أصل فارسي، وقيل: إن المسك، جلد السخلة وهو ضرب من الطيب، وتسميه العرب المشموم، قال جران العود:

لقد عاجلني بالسّباب وثوبها جديد، ومن اردانها المسك تنفح

فإنما أنثه، لأنه ذهب به إلى ريح المسك، قال رؤبة:

إنْ تُشفَ نفسي من ذُبابات الحسك أحِرْ بها أطيب من ريح المسك[6]

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ريح).
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (ريح).
(3) ابن القيم: **الطب النبوي**، 241.
(4) المصدر السابق، 216.
(5) ابن وحشية، **الفلاحة**، 111 ـ 141.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (مسك)؛ الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (مسك).

وأصل المسك من دويبة، أو بهيمة ذات أربع أشبه شيء بالظبي الصغير، وقيل: إن الغزلان تذبح وتؤخذ سررها بما عليه من الشعر ويكون فيها دم عبيط، وربما السرة كثيرة الدم، وربما كانت كبيرة واسعة قليلة الدم، فيجمع فيها دم عدة سُرر، ويصب فيها الرصاص وهو ذائب وتخيط بالخوص، وتعلق في حلق مستراح مدة أربعين يومًا، ثم تخرج وتعلق في موضع آخر حتى يتكامل جفانها، وتشتد رائحتها، ثم تحفظ في مزاود صغار، وتخيط وتحمل من التبت إلى خرسان[1]. وفي وخّاب، يقع المسك، وهي للترك[2].

وقد تعارف الناس على أن المسك ينتج من دويبة تسمى فأرة المسك، تكون من ناحية تُبّت، تصاد نوافجها وسُررها؛ فإذا اصطادها صائد عصب سرتها بعصاب شديد، وسرتها مدلاة، فيجتمع فيها دمها، فإذا أحكم ذلك ذبحها، وما أكثر من يأكلها، فإذا ماتت قور السرة التي كان عصبها له والفأرة حية، ثم دفنها في الشعير حتى يستحيل ذلك الدم المحتقن هناك، الجامد بعد موتها مسكًا ذكيًا، بعد أن كان ذلك الدم لا يُرام نتنًا[3]. والناس تعارفوا على أن ريح المسك هي ريح فأرة يقال لها: فأرة المسك[4]، ويقال: إنها ليست بالفأرة التي هي الخشف[5]؛ مما يشير إلى أن المصدر الحيواني للمسك هو افتراض، وليس حقيقة على أكثر الاحتمالات. ويعتقد أن دابة المسك لها قرن واحد، أو قرنان غير أن له نابين رقيقين أبيضين، في فكه الأسفل خارجين من فيه، قائمين في وجهه كالخنزير[6]. وثمة إشارات إلى أن أثر النباتات في تكوين المسك؛ لذا

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 4؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 126 ـ 127.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 364.

(3) الجاحظ: **الحيوان**، تح عبد السلام محمد هارون، ج5 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1388هـ/ 1969م)، 301.

(4) الجاحظ: **الحيوان**، 7/ 210.

(5) م. س، 5/ 304.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 126.

قالوا: وأفضل المسك ما يرعى غزلانه حشيشًا، يقال له (الكدهمس) ينبت بالتبت وكشمير، واسم هذه الحشيشة (الكندهسة)[1]، فما طاب مرعى ظبية، ومرعى ظبائه النبات الذي يتخذ منه الطيب، كالسنل ونحوه، ولا يخفى أن بعض نبات الطيب أطيب رائحةً، من بعض حتى يقال إن منه ما رائحته كرائحة المسك، وقيل: أجوده ما كمل في الظبي قبل بينونته عنه[2]، وأفضله التبتي، ويؤتى به من موضع يقال له (ذو سمت)، بينه وبين التبت مسيرة شهرين، فيصار به إلى التبت، ثم يحمل إلى خرسان[3]. وقيل: وأجود المسك في الرائحة والنظر ما كان تفاحيًا، تشبه رائحته رائحة التفاح اللبناني، ويغلب على لونه الصفرة، ومقاديره وسط بين الجلال والرقاق[4].

ومعدن المسك بأرض التبت وغيرها معروف، حتى أن للجلابين فيها بناء يشبه المنار فتأتي البهجة التي من سررها يتكون المسك فتحك سرها بتلك المنار، فتسقط السرر هناك، فيأتي إليه الجلابون في وقت من السنة وقد عرفوه، فيلتقطون ذلك مباحًا لهم، وقال قوم: إن هذه الدابة خلقها الله تعالى، معدنًا للمسك، فهي تثمره في كل سنة، وهو فضل دموي يجتمع من جسمها إلى سُررها في كل عام، في وقت معلوم بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء، فإذا حصل في سُررها ورم وعظم مرضت له، وتألمت حتى يتكامل، فإذا بلغ وتناهى حكته بأظلافها، فسقط في تلك المفاوز والبراري، فيخرج إليه الجلابون فيأخذونه[5]. وقال بعضهم: إن دابة المسك ترعى شجر الكافور، واستدلوا على ذلك من قول الشاعر العكلي:

تكسو المفارقَ واللَّباتِ ذا أرجٍ   من قصب الكافور درَّاج[6]

بينما يرى اللغويون: أن الكافور شيء من أخلاط الطيب، وعنصره

(1) اليعقوبي: البلدان، 209.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 127.
(3) اليعقوبي: البلدان، 209.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 128.
(5) النويري: نهاية الأرب، 12/ 4 ـ 5.
(6) المصدر السابق، 12/ 6 ـ 7.

نباتي، نبات نوره كنور الأقحوان. والكافور هو الطلح[1]. أما الحيوانات المنتجة للمسك فهي:

الغزال، سمي بذلك لسرعته، وسميت الشمس الغزالة لسرعتها، وأصل المغازلة من الإدارة والقتل، قال الراجز:

قالت له وارتفعت: الاً فتى يسوق بالقوم غزالات الضحى[2]

ويسمى الظبي، حتى قالوا: إن تلك الظباء تصاد وتذبح وتؤخذ سررها[3]. ويعتقد ان صنفين من المسك أصولها نباتية، مثل العود الهندي. وباقي الطيب أحدهما لا يفسد بطول المكث. والثاني يفسد بطول المكث[4]، ويجلب المسك من بلاد الترك والسنجاب[5].

الفار، فأرة المسك هي نواجذه التي يكون المسك فيها، شبهت بالفأر وليس بفأر، إنما هي سرر ظباء المسك، قال الشاعر:

اذا التاجر الهندي وافى بفارةٍ من المسك أضحى في مفارقهم تجري[6]

ووصفت بالدابة؛ وكأنهم يشيرون إلى انها حشرة[7]، ونسبت هذه الفأرة إلى دارين، وهي سوق معروفة، فقالوا: (الداري)، أي العطار، ودارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليه داري، قال الفرزدق:

ألم ترَ أن الله ذلل بحرهُ، وانزل بالكفار إحدى الجلائل؟
دعونا الذي شقَّ البحار، فجاءنا باعجب من فلق البحار الأوائل[8]

---

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (كفر).
(2) الزجاجي: الأخبار، 65.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 4؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 126.
(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 340.
(6) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/ 1682م): **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ج3 (مط الأميرية ببولاق، القاهرة، 1299هـ)، 344.
(7) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 4؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 126.
(8) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 432.

وقال الأخطل[*]:

كـان فـأرة مـسـك غـار تـاجـرهـا حتى اشتراها بأعلى سعرها التُّجرُ[1]

ويقال: إن فأرة المسك تحمل أحياء من السند إلى الزايج، وإن الزباد أطيب رائحة من المسك، والأُنثى تجلب مسكًا، وإذا مشى في بيت نفحت منه رائحة المسك، وإذا لمسته بيدك عبقت بيدك[2]. وتسمى القطعة من المسك العتيرة والعتوارة[3].

الفاغية، وهي نور الحِنَّاء، وهي من أطيب الرياحين، جاء في الحديث: (سيد الرياحين في الدنيا والاخرة الفاغية)، وروي أيضًا: كان أحب الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية[4].

من أنواع المسك

الكدهس، نسبه إلى حشيشة (الكندهسة)، وهو أفضل أنواع المسك[5]. ويسمى أيضًا (الكدهمس) ينبت بالتبت، وكشمير وأفضل ما يرعى هذه الحشيشة السنبل الهندي، أي سنبل الطيب فانه ينبت بأرض الهند، وبأرض التبت كثيرًا، وما كان يرعى السنبل، فإن المسك المتكون منه يكون وسطًا دون الصنف الأول[6]. وهو الذي يسمى التبتي، وهو ما حمله التجار من التبت إلى خراسان على الظهر لطيب مرعاه، وحمله في البر دون البحر[7]. وقيل: يؤتى به من موضع يقال له (ذو سمت)، بينه

(*) الاخطل، شاعر اموي، اسمه غياث بن غوث التغلبي (ت92هـ/ 710م) ترجمته: البلاذري: **انساب الاشراف**، 1/ 70.

(1) الاخطل، غياث بن غوث التغلبي (ت92هـ/ 710م): **ديوانه**، تح انطوان صالحاني (دار صادر، ط2، بيروت، 1969م)، 252.

(2) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، 14.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عتر).

(4) ابن القيم: **الطب النبوي**، 294.

(5) اليعقوبي: **البلدان**، 209؛ النويري: **نهاية الأرب** 12/ 6.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 6.

(7) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128.

وبين التبت مسيرة شهرين، فيصار به إلى التبت، ثم يحمل إلى خراسان[1].

الصُغدي، نسبة إلى بلاد الصُغد، وهو ما حمل من الصغد من بلاد الترك على الظهر إلى خراسان. ثم يحمل من خراسان إلى الآفاق[2]، وهو دون التبتي[3]، وقيل: إنه أجود المسك[4].

الصيني، نسبة إلى بلاد الصين، فإذا قربت من بلده ارتفعت رائحته، فلا يمكن التجار ان يستروه من العشارين، فإذا خرج من المركب جاءت رائحته، وذهبت عنه رائحة البحر[5]. وهو دون الصغدي[6]. وقيل: هو دون الهندي لطول مكوثه في البحر، وما يلحقه من عفونة هوائه، ولعلّة أخرى، وهي اختلاف المرعى في الأصل[7]. وأفضله ما يؤتى به من (خانفو)[*]، وهي مدينة الصين العظمى، وبها ترسو مراكب التجار المسلمين، ومنها يحمل في البحر إلى الأُبلة بالبصرة، فإذا قرب ارتفعت رائحته، وإذا خرج من المركب جاءت رائحته وذهبت عنه رائحة البحر[8].

الهندي، وهو الذي يقع في بلاد الديبل وبعده القنباري[9]. وقيل: هو ما وقع من التبت إلى أرض الهند، ثم حمل إلى الديبل، ثم حمل في البحر إلى سيراف، وعدن، وعُمان، وغيرها من النواحي[10]. وتنحط رتبته

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 209.
(2) اليعقوبي: **البلدان**، 209؛ النويري: **نهاية الارب**، 12/ 5؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128.
(3) اليعقوبي: **البلدان**، 209.
(4) النويري: **نهاية الأرب** 12/8؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128.
(5) اليعقوبي: **البلدان**، 209.
(6) اليعقوبي: **البلدان**، 209؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128.
(7) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 6 ـ 8.
(*) مدينة على شرقي نهر قمدان، وهي من أبواب الصين. القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 480.
(8) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128.
(9) اليعقوبي: **البلدان**، 209.
(10) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 5 ـ 6؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128 ـ 129. وهذه المدن من مدن اليمن، وعُمان مشهورة.

عن الصيني ـ وان كان من جنس التبتي ـ مع انه اقرب مسافة من الصيني، فكان عباد الهند يلطخون به أصنامهم من العام إلى العام، ثم يبدلونه بغيره، ويبيعه سدنة الأصنام، فلطول مكوثه على الأصنام تضعف رائحته، وبعضهم فضّله على الصيني، لقرب مسافة حمله في البحر[1].

القنباري، وهو مسك جيد إلا انه دون التبتي في القيمة والجوهر واللون والرائحة، يؤتى به من بلد يقال له (قنبار) من الصين، وينبت بين الصين والتبت وربما غالوا به فنسبوه إلى التبت[2].

الطُغرغزي، نسبة إلى بلاد الطغرغزي[*]، ويجلبه التجار فيغالطون به إلا أنه ليس له جوهر ولا لون، وهو بطيء السحق، لا يسلم من الخشونة. وهو أفضل من المسك القصاري[3]. وهو مسك رزين يضرب إلى السواد[4].

القصارى، يؤتى به من بلد يقال له قصار، بين الهند والصين، ويقال: قد يلحق بالصيني إلا أنه دونه في الجوهر والرائحة والقيمة[5].

الجرجيري، أو (الجزيري)، وهو مسك يشاكل التبتي وشبهه، وهو أصفر زعر الرائحة[6]. ويعني بالزعر أي حاد الرائحة، أي جاف نافذ.

---

(1) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129.

(2) اليعقوبي: **البلدان**، 209؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، 2/ 129.

(*) يقال لها (الطغرغر)، وهم التتر، جيل من الترك في أرض واسعة على حدود الصين. القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 420.

(3) اليعقوبي: **البلدان**، 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8 ـ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129.

(5) اليعقوبي: **البلدان**، 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129 ـ 130.

(6) اليعقوبي: **البلدان**، 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 9؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، 2/ 129 ـ 130.

العصماري، وهو أضعف أنواع المسك كلها، وأدناها قيمة، ويخرج من النافجة التي زنتها أوقية زنة درهم من المسك[1]. وجعله بعضهم بعد الجبلي[2].

الجبلي، وهو مسك يؤتى به من أرض السند من بلد الموليان (او المولتان)[*]، وهو كثير النوافج، حسن اللون، إلا أنه ضعيف الرائحة[3]. وجعله بعضهم قبل العصماري[4].

الداري، منسوب إلى دارين، وهي جزيرة في البحر معدودة من بلاد البحرين، ترسو إليها مراكب تجار الهند، ويحمل منها إلى الاقطار، وليست بمعدن للمسك[5]، فهو بالتالي هندي.

المند[6] **أو الند**[7]، وهو أحد أنواع العنبر، لكن مصدره حيواني، ونقل عن جماعة من أهل المعرفة: أن دابة تخرج من البحر شبيهة ببقر الوحش تلقيه من دبرها، فيؤخذ وهو لين يمتد، فما كان عذب الرائحة حسن الجوهر فهو أفضله وأجوده، وهو عدة أنواع ومما تقتنيه النساء[8]. ومن أنواعه: الشحري، نسبة إلى بلاد الشحر، وهو أسود فيه صفرة،

---

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 9؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، 2/ 129 ـ 130.

(2) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129 ـ 130.

(*) السند، بلاد بين الهند وكرمان وسجستان. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 267. والمولتان، مدينة تسمى فرج بيت الذهب، وبها صنم يعبد ويحج اليه أهل تلك البلاد. ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 227.

(3) اليعقوبي: **البلدان**، 210، ؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129.

(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129 ـ 130.

(5) المصدر السابق، 2/ 130.

(6) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 13.

(7) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 132.

(8) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 13؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 132.

يخضب اليد إذا لمس، ورائحته كرائحة العنبر اليابس، إلا أنه لا بقاء له على النار، وإنما يستعمل في الغوالي إذا عز العنبر السلاهطي[1].

الزنجي، وهو نظير الشحري في المنظر، ودونه في الرائحة، وهو أسود بغير صفرة[2].

الخمري، وهو يخضب اليد وأصول الشعر خضبًا جيدًا، ولا ينفع في الطيب[3]؛ والعنبر الحيواني على ثلاثة اضرب[4]، وهي أضرب صناعية تشبه صناعة الغالية.

ج ـ مصادر أخرى

يشير تاريخ العطر إلى أن ثمة نوعًا من العطر مصدره من الجماد، أو من الصخور، وانه ينبع من صخور وعيون في الأرض، يجتمع في قرار البحر، وإذا تكاثف اجتذبته الدهانة التي هي فيه لاقتطافه من موضعه الذي تعلق به وطفا على وجه الماء، وهو حار ذائب، تقطعه الريح وأمواج البحر قطعًا كبارًا، فترمي به الريح إلى الساحل لا يستطيع أحد أن يدنو منه؛ لشدة حره وفورانه، فإذا قام أيامًا، وضربه الهواء جمد فيجمعه أهل الساحل[5].

وهذا يشير إلى وجود مصدر ثالث، وهو الصخور أو الأرض أو الجمادات، له صله بإنتاج العطور، ومنه يجري تصنيع الطيب وخلطه، وهذا ما تسهم الصناعات في تطويره وبيعه؛ مما يعني تنوع مصادر إنتاج العطر، بحيث تشمل جوانب مختلفة من الحياة النباتية والحيوانية، فضلًا عن الجمادات، ويدخل في إنتاجه الحيوان، وخصوصًا إذا تناولته

(1) النويري: نهاية الأرب، 1/ 13؛ القلقشندي: صبح الأعشى1، / 132.
(2) النويري: نهاية الأرب، 12/ 13؛ القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 132.
(3) النويري: نهاية الأرب، 12/ 13؛ القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 132.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 132.
(5) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 130.

الأسماك، فيستخرج من جوفها بعد موتها[1]، ومن العنبر ما مصدره حيواني، وهو المند أو الند[2].

العنبر، هو عطر ينبع من الصخور، والعيون التي في الأرض، فيجتمع في البحر[3]. وهو على عدة أنواع: الازرق والاصفر والاسود، والاخير اردأ أنواعه، ومنه العنبر الأزرق والرمادي والجزاري، وهو الأبرش، والصفايح وهو الاحمر، وهما أدنى العنبر قدرًا[4]، ويعتبر من السلع النفيسة في التجارة، وأجوده ما كان يجلب من عُمان[5]، ومنه العنبر الشحري والزابحي، ثم السلاهطي، وأجود السلاهطي الازرق الدسم، الكثير الدهن، وهو الذي يستخدم في الغوالي[6]، وبه سموا بعض أسماء ابنائهم مثل عنبر بن سماك الاسدي[7]. وزعموا أن أفضله، العنبر الأشهب الزابحي، ثم الازرق، ثم الاصفر وهو ادونه دهنًا[8]. والعنبر أفخر أنواع الطيب بعد المسك. وأخطأ من قدَّمه على المسك، لان النبي ﷺ قال عن المسك: (هو أطيب الطيب)[9].

وأصنافه مختلفة، ومعادنه متباينة، وهو يتفاضل بمعادنه وجوهره؛ فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لونًا، وأصفاه جوهرًا، وأغلاه قيمة العنبر الشحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر (نسبة إلى الشحر من أرض اليمن)، وزعموا أنه يخرج من البحر في خلقه الصخرة الكبيرة، ومنه العنبر الطافي الذي يطفو بالبحر، فهو يغور ولا يستقر في

---

(1) م. س، 2/ 130.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 13؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 132.
(3) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 130.
(4) المصدر السابق، 2/ 131.
(5) جواد علي: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، 8/ 93.
(6) اليعقوبي: **البلدان**، 123.
(7) الأصفهاني: **الأغاني**، 17/ 47.
(8) الجاحظ: **التبصرة بالتجارة**، 180.
(9) ابن القيم: **الطب النبوي**، 289.

جوفها حتى تموت، وتطفو ويطرحها البحر إلى الساحل، ويستخرج ما فيه من العنبر السمكي. ويسمى أيضًا المبلوع، وربما طرح البحر القطعة، فالتقطها طائر أسود شبيه بالخطاف، فيموت ويبلى ويبقى منقاره ومخالبه في العنبر؛ وهو العنبر المنقاري، وبعد الشحري العنبر الزنجي، وهو الذي يؤتى به من بلاد الزنج، وبعده العنبر السلاهطي، وبعده القاقلي، وهو أشهب جيد للريح حسن المنظر، وهو دون السلاهطي، ولا يصلح للغوالي ولا للتغلية، ويؤتى به من قاقلة عدن[1].

والعنبر يقذفه البحر إلى خارجه، فلا يأكل منه شيء إلا مات، ولا ينقره طائر إلا نصل فيه منقاره، فإذا وضع رجليه عليه نصلت أظفاره، وربما وجد فيه البحارون والعطارون المنقار والظفر، وان البال ليأكل منه اليسير فيموت، والبال سمكة ربما طولها أكثر من خمسين ذراعًا[2]؛ وهذا يعني أن العنبر مصدره غير حيواني، وان مصدره البحر وليس سمكة البال أو غيرها، فهو نتاج جمادات البحر، أو أنه ينبع من عيون خاصة تتفجر من بين صخور البحر، ثم يفوح ويصاعد حتى يرسو على ظهر تلك الصخور، أو يستكين راكدًا على حافات وسواحل البحار، فتلتقطه بعض الأسماك والطيور فتحمل في بطونها وأطرافها عينات منه، يستلبها البحارون والعطارون من أجسادها، فيصنعون منها عطر العنبر، ويتاجرون به فينقلون من بلد إلى آخر. ويأتي العنبر من البحر حين يشتد، فيقذفه من قعره كقطع الجبال وأصغر، فإذا ابتلع الحوت العنبر قتله، فيطفو فوق الماء، وهنالك أناس يرصدونه في القوارب من الزابج وغيرهم، فيطرحون فيه الكلاليب والحبال ويشقون بطنه فيستخرجون العنبر منه، فما يخرج من بطنه يكون سهكًا، ويعرفه العطارون بالعراق وفارس بالنِّد، وما أُلقي على ظهر الحوت منه كان نقيًا جيدًا على حسن لبثه في بطن الحوت[3]. وهذا يعني انه

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 210 ـ 211.

(2) الجاحظ: **الحيوان**، 5/ 362.

(3) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 178 ـ 179.

جماد، وليس نباتًا، ولكن المؤرخين تجاوزوا في النباتية، حتى قال بعضهم: إن العنبر ينبت في قعر البحر، وينبت ويتكون كتكون أنواع الفطر من الابيض والاسود والكمأ ونحوها، فإذا خبث البحر اشتد قذفه من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر[1]، فهل هو نبات بحري ينبت، ويتكون كما تنبت نباتات البحر!.

قال عروة بن الورد، مشيرًا إلى العنبر:

ليالينا إذ جيبها لك ناصح واذا ريحها مسك ذكي وعنبر[2]

وقال المجنون[*]:

اذا حرك المدرى ضفائرها العلا مججن ندى الريحان والعنبر والوردا[3]

وقال الحسين بن الضحاك[**]:

اذا نسيـــم الرياح قابلنا بالطيب من مسكه وعنبره[4]

وشبه الفرزدق الدم بخليط المسك والعنبر، فقال:

ترى جرحة بعد ما قد طعنته يفوح كمثل المسك خالط عنبرا[5]

قال تميم بن المعز الفاطمي[***]:

لا عدت تفاح الخدود بنفسجا لثمًا وكافور الترائب عنبرا[6]

---

(1) م. س، 1/ 179.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 196.

(*) قيس بن الملوح، شاعر أموي (ت68هـ/ 688م). ترجمته: الجاحظ: **الحيوان**، 1/ 169.

(3) قيس بن الملوح (ت68هـ/ 688م) **ديوانه**، تحقيق، عبد الرحمن المصطاوي (دار المعرفة، بيروت، ط3، 1428هـ/ 2007م)، 140.

(**) شاعر عباسي يعرف بالخليع (ت250هـ/ 864م). ياقوت: **معجم الأدباء**، 4/ 30.

(4) المصدر السابق، 7/ 187.

(5) المصدر السابق، 21/ 393.

(***) شاعر مصري (ت374هـ/ 985م). ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 97.

(6) ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 301.

أنواع العنبر

والعنبر أنواع كثيرة، وأصناف مختلفة، ومعادنه متباينة، وهو يتفاضل بمعادنه وبجوهره[1]، وهو على أضرب عدة، هي:

الشحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر، من أرض اليمن، وزعموا إنه يخرج من البحر في خلقه البعير أو الصخرة الكبيرة[2]. وهو أجود أنواع العنبر، وأرفعه، وأفضله، وأحسنه لونًا، وأصفاه جوهرًا، وأغلاه ثمنًا[3]. وقيل: أفضله ما جمع قوة رائحة وذكاء بغير زعارة[4].

المبلوع، وهو العنبر الذي تبتلعه الأسماك، فيسمى السمكي، وأحيانًا يسمى العنبر المبلوع[5].

المنقاري، وهو العنبر الذي يتعلق بمنقار طائر الخطاف، فيؤدي إلى موت الطائر؛ فيبقى منقاره ومخالبه في العنبر[6].

الزنجي، وهو الذي يؤتى به من بلاد الزنج إلى عدن، وهو عنبر أبيض[7]. وقيل: هو ما يقذفه بحر البربر الآخذ من بحر الهند، في جهة الجنوب إلى ساحل الزنج وما والاها، وهو أجود العنبر، وأفضله ويؤتى به منها إلى عدن[8].

---

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 210، النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 10؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.
(2) اليعقوبي: **البلدان**، 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 10؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.
(3) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12.
(5) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 11.
(6) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 11.
(7) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 11.
(8) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.

السلاهيطي، وقيل الشلاهيطي[1]. وأجوده الأزرق الدسم الكثير الدهن، وهو الذي يستعمل في الغوالي[2].

القاقلي، وهو أشهب جيد الريح، حسن المنظر، خفيف، وفيه يبس يسير، وهو دون سابقه، ولا يصلح للغوالي ولا للتغلية، وهو صالح للذرائر والمكلسات، ويؤتى به من قاقلة عدن[3].

الهندي، يؤتى به من الهند فيحمل إلى البصرة وغيرها، ومنه نوع يسمى الكرك بألوس، يأتون به من قرب عمان، فيشتريه منهم أصحاب المراكب[4]. قال فيه ذو الرمة:

وتجار بفرعٍ من أراكٍ كـأنه من العنبر الهندي والمسك يصبح
ذرى أقحوان واحة الليل وارتقى إليه الندّى من راحة المتروحِ[5]

وقال شاعر عباسي:

وإن غدير السلابتين ونبته له أريج كالمسك أو عنبر الهند[6].

المغربي، وهو دون الأنواع الأخرى، يؤتى به من بحر الأندلس، فتحمله التجار إلى مصر، وهو شبيه في لونه بالعنبر الشحري، وقد يغالط به[7].

---

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.
(3) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 12/ 131.
(4) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131 ـ 132.
(5) الحصري القيرواني: **جمع الجواهر**، 219.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 102.
(7) اليعقوبي: **البلدان**، 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 132.

الفصل الثاني

صناعة العطور

توطئة

والصناعة من صنع، ومنه قوم صناعية أي يصنعون المال ويسمونه[1]. في إشارة إلى علاقة الصناعة بالإنسان، فصناعة العطور تدلل على تدخل الانسان فيها، وفي ترتيبها واستعمالها، بينما ينبت النبات طبيعيًا فإذا تدخل فيه الانسان أصبح زراعة. وإذا تدخل في توظيفه واستخدامه أصبح صناعة؛ لهذا ثمة في المعجمات اللغوية إشارات عديدة إلى آلات وأدوات خاصة بصناعة العطر وتحضيره، قبل استخدامه فتنوعت استخداماته؛ من الحرق إلى الخضاب إلى النشوق.. وهكذا حقق الانسان أهدافه في الإفادة من حاسة الشم عبر اتجاهات مختلفة، وقد أسهم العرب في تطوير صناعة العطور والدباغة والصابون[2].

وصناعة العطور تتعلق باستعمالاته المتعددة التي لها صلة بحالة الموجودات في الطبيعة، كالحالة الغازية، حيث البخور وأمثاله، والحالة السائلة مثل الخلوق، والحالة الصلبة كالمسحوق وغيره، ولكن يمكن إيجاز حالات استعماله، بالشكل التالي:

الأولى: السائل، وهو الذي يمسح به الجسم، أو تمسح به الثياب والآلات، والآلهة المصنوعة من الحجر والمعادن، ويسمى الخلوق وهو شائع الاستعمال، وكان يوضع في قارورة خاصة، أو في الكوز والجرار

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صنع).

(2) كاهن: **الإسلام منذ نشاته**، 242.

المصنوعة من الفخار، أو في جراب مصنوع من جلود الحيوانات، وقد تطورت صناعته العطور في العصور التالية، فاصبح كالبخار، وتحول إلى رذاذ بعد شيوع مزجه بمادة الكحول سريعة الطيران.

الثانية: الصلب، قد يكون قطعًا صلبة أو مسحوقًا، والأخير يمكن إذابته بالماء ليصبح سائلًا، وهذا النوع يحرق بالنار فيتطاير الدخان، ومنه ما يسمى بالبخور، وفيه تعطر الغرف والدهاليز والمنازل، وخصوصًا في أيام الاعياد والمناسبات والأعراس، وفي حالة الوفاة تنتشر رائحة الكافور، أو الحنوط وهو يكون على شكل بلورات خاصة، يدهن بها فتفوح منه الرائحة.

أوعية حفظ العطر

نتيجة الأهمية الفائقة للعطر دينيًا، ونفسيًا، واقتصاديًا، وفكريًا على الانسان في كل الأزمنة التاريخية؛ فانه لابد من خزنه، وحمله في أوعية خاصة ذات مواصفات متميزة للحفاظ عليه، لخشية تبدده في الهواء وصعوبة منع انتشاره، ولأنه يفقد الكثير من مزاياه إذا أُهمل وحمل في أوعية لا تناسب حساسيته، ففي القرن الثامن الهجري بدمشق، أُخرجت العطور في الكركات والأنابيق والقرع. والإنبيق آلتان لصنع ماء الورد السفلى والعليا على هيئة المحجمة هي الإنبيق، وحشو الفرع بالورد، وبلسان الثور، وبزهر النوفر أو البان أو زهر النارنج أو الشقيق والهندباء وبورق القرنفل المزروع بدمشق[1].

وفي العصر العباسي كان يلي خزانة الطيب شخص مكلف بها، حتى انه كان في خزانة المقتدر (تولى 295هـ/ 907م) ثلاثون حِبًا صينيًا ونيفًا، وأفضلها ما عمله الواثق[2].

البالة، القارورة بلغه بلحارث، وهي بالنبطية بالتاء (التألة)[3]، وقيل

(1) محمد كرد علي: **خطط الشام**، 4/ 173.
(2) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 7/ 217.
(3) الفراهيدي: **العين**، مادة (بال).

وعاء الطيب[1]، وقيل الجراب، ويقال فارسية معربة، قال أبو ذؤيب:

﴿كــان عــلــيــهــا بــالــة لَــطَــمــيّــة﴾[2]

البنادق، وفي الاسكندرية بمصر اتخذت بنادق المسك والزعفران والعنبر[3]، والبندق هو الذي يرمى به[4].

الجفنة، هي أوعية، لعلها من جلود الحيوانات كالجراب، قال مهلهل بن يموت:

وبدا النرجس المفتَّح يَرنو من جفون الكافور بالزعفرانِ[5]

الجراب، وهو إهاب الشاء ونحوها[6]، يصلح لحفظ الطيب.

الحُب، وهو الجرة، وهو الخابية[7]، يصلح لحفظ الطيب.

الحفش، هو الدرج الذي يكون فيه البخور[8].

الحنجرة، هي شبه البرمة من زجاج يجعل بها الطيب، وقيل: القارورة طويلة، تجعل بها الذريرة[9]، ولعلها سميت بذلك لأنها تشبه حنجرة الانسان.

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بول).

(2) الرصافي، معروف عبد الغني (ت1365هـ/ 1945م): **الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات**، تح عبد الحميد الرشودي (منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، 1980م)، 37.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 155 ـ 156.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بندق).

(5) الشابشتي: **الديارات**، 208.

(6) الرصافي: **الآلة والأداة**، 65.

(7) المرجع السابق، 79.

(8) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حفش).

(9) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حنجر).

الرحى، هي آلة تداور باليد، أو التي يديرها الحيوان، أو بالقوة المائية، والطحانة هي التي تدور بالماء[1].

الراووق، هي المصفاة، وقيل: الباطية والناجود أو الكاس، قال عدي بن زيد:

قدمته على عقار كعينِ الدِّيك صفى سلافه الراووق[2]

السفط، الذي يعني فيه الطيب، وما أشبه من أدوات النساء[3] وقيل: ما كان من أسفاط الآنية التي تكون أوعية في البيت للطيب ونحوه كالقوارير وغيرها، ويطلق على الحفش الجوالق العظيم البالي[4].

الصفحة، هي الاناء الذي يكون من نحاس أو غيره، وحين ولي هشام بن عبد الملك سنة 105هـ/ 723م الخلافة، كانت بين يديه صفحة من ذهب مملوءة مسكًا مذابًا بماء الورد، وهو يقلبه بيده فتفوح رائحته[5].

الصوار، وعاء المسك[6].

الطبل، هو وعاء للطيب تضع المرأة فيه طيبها وحناءها، تتخذ فيها مواضع للقوارير بحواجز فيها. والطبل سلة الطعام[7].

العَبدة، هي صلاءة الطيب وقيل: العبد، نبات طيب الرائحة[8].

العتيدة، هي وعاء الطيب[9].

---

(1) جواد علي: **المفصل**، 7/ 47.
(2) المرجع نفسه، 8/ 51.
(3) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (سفط).
(4) الرصافي: **الآلة والأداة**، 87.
(5) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 1/ 378.
(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صور).
(7) الرصافي: **الآله والأداة**، 205.
(8) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عبد).
(9) م. س، مادة (عنبر).

العسيل، هي مكنسة الطيب التي يجمع فيها العطار عطره، ومنه قوله:

*** كـنــاحــتِ يــومًــا صــخــرًا بــعــســيــل***[1]

الغلاف، وهو غلاف القارورة، والكتاب وغيرهما، وغلف تغليفًا، أي جعلها في غلاف[2].

الفأرة ، وهي التي يكون فيها المسك، شبهت بالفأرة، وليست بفأرة إنما هي سرر ظباء المسك[3]. قال كعب بن زهير:

وهم إذا انقلبوا كأن ثيابهم   منها تضوع فارة العطار

أي إذا انقلبوا من الحرب، رجعوا ولهم روائح كروائح المسك[4].

وقال الاحوص:

كأن فارة مسك فص خاتمها   صهباء ذاكية من مسك دارينا

وقال الراجز:

كأن بين خدها والفك   فارة مسك ذبحت في سك[5]

الفشوة ، قفة فيها طيب المرأة قال أبو الاسود العجلي:

لها فشوة فيها ملاب وزئبق   إذا عزب، أسرى إليها تطيبا[6]

القارورة، ما قر فيه الشراب ونحوه[7]، وذكرها الشعراء مقرونة بالعطر، قال الشاعر يذكرها مع العبير:

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عسل)؛ الرصافي: **الآلة والأداة**، 208.
(2) الرصافي: **الآلة والأداة**، 236.
(3) البغدادي: **خزانة الأدب**، 3/ 344.
(4) **ديوانه**، 29.
(5) البغدادي: **خزانة الأدب**، 3/ 344.
(6) الرصافي: **الآلة والأداة**، 255.
(7) الرصافي: **الآلة والأداة**، 264.

ومـا قـارورة مـلـئـت عـبـيـراً وكـان الـمسك يـعد لـهـا خـتـامـا[1]

وقال العباس بن مرداس، يذكر قارورة الزعفران:

صـنـيـعًـا كـقـارورة الـزعـفـران مـمـا تـصـبـان ولا تـؤثـرا[2]

وقال ابن البصري في كافور الاخشيدي:

فـإن لـي بـالـشـط راقـوبـة اضـيـق مـن قـارورة الـعـطـر[3]

القسيمة، وهي جونة العطار، منقوشة فيها العطر (كالقسم) بحذف الحاء[4]. قال عنترة بن شداد[*]:

وكـانـمـا نـظـرت بـعـيـنـي شـادن رشـاء من الـغـزلان لـيس بـتـوءَمِ
وكـان فـارة تـاجـر بـقـسـيـمـة سبقت عوارضها اليك من الفم[5]

والقسيمة، هي السوق، أو سوق العطر بشكل خاص[6].

القشوة ، قفة من خوص لعطر المرأة وقطنها، تقول: (اذا فتحت قشورتها نفخت نشوتها) جمعها قشاء، وقشورات[7].

القرمد، ما يطلى به للزينة، كالجص والطيب والزعفران.. وغير ذلك[8].

---

(1) الهجري، أبو علي هارون بن زكريا (ت288هـ/ 900م): **التعليقات والنوادر**، تح حمود عبد الأمير حمادي، ج2 (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 2987م)، 252.

(2) الأصفهاني: **الاغاني**، 18/ 27.

(3) الحصري القيروان: **جمع الجواهر**، 238.

(4) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (قسم).

(*) شاعر جاهلي مشهور، من اصحاب المعلقات (ت نحو 22ق.ه). ترجمته: الأصفهاني: **الاغاني**، 9/ 212.

(5) عنترة بن شداد العبسي (ت نحو 22 ق م): **ديوانه**، شرح فوزي خليل عطوي (بيروت 1968م)، 13.

(6) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (قسم).

(7) الرصافي: **الآلة والأداة**، 279.

(8) المرجع السابق، 267.

القمقم، الجرة وانية العطار[1].

القنينة، وعاء من خيزران، أو قضبان قد وصل داخله بحواجز بين مواضع الآنية على صيغة القشوة[2].

الكرش، وعاء الطيب والثوب مؤنثا[3].

الكنثة، نَوردَجَةٌ تتخذ من آس، وأغصان خِلاف تبسط وتنضد عليها الرياحين، ثم تطوى طيبًا، وبالنبطية (كنثى)[4].

المبخرة، وعاء البخور، والمجمرة التي يحرق فيها البخور جمعها مباخر[5].

المجمرة، اسم ما يجعل فيه الجمر بالمدخنة، جمعه مجامر؛ قال: اجتمر فلان بالمجمرة، أي تبخر بها[6]، وكانت المبخرة تسمى في الجاهلية بـ (مسلم) و(مقطر)، والمجمرة والمحمرة، وكل ما يوضع فيه الجمر بالدخنة للتجمير[7].

المذرة، وهي قنينة لها أنبوب له ثقوب يذرون به الماء، أو الطيب[8].

مكنسة العطار، وهي التي يجمع بها العطر، وهي مكنسة شَعر يكنس بها العطار بلاطه من العطر[9].

---

(1) الرصافي: **الآلة والأداة**، 281.
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (قن).
(3) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (كرش).
(4) الفراهيدي: **العين**، مادة (كنث)؛ الرصافي: **الآلة والأداة**، 304، 293.
(5) الرصافي: **الآلة والأداة**، 326.
(6) المصدر السابق، 330.
(7) جواد علي: **المفصل**، 6/ 331.
(8) الرصافي: **الآلة والأداة**، 346.
(9) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (عسل).

النافقة، وهي نافقة المسك، وهي فارة المسك، أي وعاؤه[1].

النقوع، كصبور، يجعل فيه أفواه الطيب[2].

الوليح والوليحة، هي القرارة، والولائح الغرائر، والجلال والاعدال يحمل فيها الطيب[3].

أدوات صناعة الطيب

لكل صناعة أدواتها، ولصناعة العطر أدواتها وآلاتها الخاصة بها، حتى رووا أن آدم ﷺ نزل ومعه السندان، والكلبتان، والميقعة [خشبة قصيرة يدق بها]، والمطرقة[4].

الريشة، هي الآلة التي تقلع بها الغالية[5].

السندان، آلة يطرق عليها بالمطرقة[6].

الصلاية، أو الصلاءة وهي مدقة الطيب[7].

القسطناس، صلاية الطيب (رومية) أو صلاية العطار، وأصله (قسطنس)[8].

المدق، حجر يدق به الطيب، ويسمى الفهر أيضًا[9].

المداك، الدك السحق، والمدوك حجر يسحق به الطيب، وسهك

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (نفق).
(2) الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (نقع).
(3) ابن منظور: **لسان العرب**: مادة، (ولج).
(4) الطبري: **تاريخ**، 1/ 130.
(5) الرصافي: **الآلة والأداة**، 218.
(6) الطبري: **تاريخ**، 1/ 130.
(7) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صلا).
(8) م. س، مادة (قسطنس).
(9) الزبيدي: **تاج العروس**، مادتا (دقق، فهر).

الطيب إذا رضه قبل السحق[1]، وهو صلاية العطر يدك عليه الطيب وغيره، والذي يسحق عليه الطيب، جمعه مداوك[2]. والمداك، الحجر الذي يسحق به الطيب وغيره، والذي يسحق عليه أيضًا مداك والدَوك السحق، والفعل منه داك يدوك دوكًا؛ قال امرؤ القيس:

كان المتنين منه إذا انتخى   مداك عروس أو صلاية حنظل[3]

وقيل: هو آلة يدك بها الطيب؛ قال الشاعر:

يرقى الدَّسيع إلى هادٍ له تَبعٍ   في جؤجؤٍ كمداك الطيب مخضوب[4]

والدوك، هو السحق؛ يقال: دُكْتُ الطيب بالفهر على المداك[5].

المزادة، مثل الجراب يجعل فيه الطيب وغيره[6].

المهراس، وهو الهاون ويسمى (الجاون)، الذي تهرس به الحبوب[7]؛ قال أبو العتاهية:

وهل يصلح المهراس إلا بعوده   إذا أُحتيج منه ذات يوم إلى الدَّق[8]

صناعة الطيب

يُصنَّف العطور إلى ثلاثة أشكال:

أ ـ كل عطر مائع، فهو الملاب.

ب ـ وكل عطر يابس فهو الكباء.

---

(1) م. س، مادة (دوك).
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (دوك).
(3) الرصافي: **الآلة والأداة**، 345.
(4) الزبيدي: **التاج**، مادة (تبع).
(5) ابن منظور: **اللسان**، مادة (جدع).
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 58.
(7) الرصافي: **الآلة والأداة**، 405.
(8) الأصفهاني: **الأغاني**، 15/ 219.

ج - وكل عطر يرق فهو الألنجوج[1].

وركبوا السك، وهو ضرب من الطيب من مزج المسك بالرامك[2]؛ مما يعني أن خلط الطيب عبر الحرق أو الترطيب أو خلط اللين منه باليابس ودق اليابس ومزجه بغيره من الطيب اليابس، هو نوع من الصناعات المبسطة في تحضير الطيب؛ لذا أطلقوا على الاختلاط فيه البوغاء، وهي رائحته[3]. ومن العطر المخلوط من ثلاث مواد، المثلثة الخزائنية[4].

السحق، من أبسط أنواع صناعة العطر سحقه؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

كأنَّ سحيق المسك خالطَ طعمه وريح الخُزامى في جديد القرنفل[5]

اذ يشير إلى طريقة خاصة في تحضير الطيب، وهي سحق المسك وخلطه مع الخُزامى والقرنفل، ولعله هو الطيب الذي يسمى الخلوق، وكانت العرب تسهك العطر- أي تكسره بالفهر- وتهرسه في المهراس[6]. وكان ظرفاء بغداد يتعطرون بالطيب والمسك المحلول بماء الورد، ويستعملون العود المعنبر بماء القرنفل، والعنبر البحراني والكافور المحرق المخلوط بعبير المسك، ويتجنبون طيب النساء، ولا يستعملون من الطيب، ما كانت رائحته شديدة السطوع[7]. ومن الأخلاط قول أعشى همدان:

يصبُّ على بردِ أنيابها مخالطة المِسكِ والعنبرا[8]

---

(1) ياقوت: **معجم الادباء**، 9/ 204.
(2) ابن منظور: **اللسان**، مادة (سكك).
(3) الزبيدي: **التاج**، مادة (بوغ).
(4) الوشاء: **الموشى**، 186.
(5) **ديوانه**، 268.
(6) العين، مادة (سهك، هرس).
(7) ينظر في ذلك: الوشاء في كتابه: **الموشى**، 179، 182، 187؛ ودراسة الباحثة: **الراضي**، فاطمة حمزة: **الظرف البغدادي**، 335.
(8) الأصفهاني: **الأغاني**، 6/ 400.

ويخلط المسحوق، فيسمى الأخلاط[1].

الغالية، من الطيب معروفة من تغلّى بها، سمّاها بذلك سليمان بن عبدالملك، قالت عائشة ﵂: كنت أغلف لحية رسول الله ﷺ بالغالية، وهي نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن وهي معروفة، والتغلف بها التلطخ[2]. وقيل: أول من سمّاها الغالية معاوية بن أبي سفيان؛ وذلك لأنه شمّها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فاستطابها، فسأله عنها فوصفها له فقال: (هذه غالية)[3]. ثم سأله: كم انفق عليها؟ فقال: مالًا كثيرًا، فقال معاوية: هذه غالية، فسميت بالغالية[4]. وقد عُرِفَ الخلفاء الأمويون بحب الطيب الراقي، وهو ما سمي بالغالية، فقد عرف عن عمر بن عبد العزيز هذا الولع، حتى انه أعرس بفاطمة بنت عبد الملك فأسرج في مسارجه الغالية[5]. وبعثت سكينة بنت الحسين بنت علي ﵄ إلى حبش بن دلجة، بغالية لأنه من أخوالها، فلما وصلت إليه قال: فأين كانت عن الصياح؟ يقال: إن الصياح أرفع من الغالية[6]. وهي إشارة إلى أخوالها من كلب، وإن الصياح لم يكن من طيب أهل الحجاز، وأنه طيب أهل الشام وما حولها، وان الغالية كانت طيبًا اختص به العصر الأموي، ثم استمر الخلفاء العباسيون في مهاداتها واستعمالها.

أما صناعة الغوالي، فإن عملها ينقسم إلى ثلاثة اقسام: الأول، في الوقت الذي تعمل فيه، والثاني، الآلة التي تصلح ان تعمل فيها، والثالثة، كيفية عملها. فأما الوقت الذي يصلح أن تعمل فيه ـ فوجه السحر قبل

(1) الزبيدي: **التاج**، مادة (خلط).
(2) ابن منظور: **اللسان**، مادة (غلا).
(3) محمد كرد علي: **خطط الشام**، 4/ 173.
(4) الغزولي، علاء الدين بن علي بن عبد الله البهائي (ت 815هـ/ 1312م): **مطالع البدور في منازل السرور**، ج1 (مط ادارة الوطن، د.م، 1299هـ)، 62؛ العلي: **التزيق والحلي**، 84.
(5) الدينوري: **المجالسة**، 506؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 1/ 217.
(6) الاصبهاني: **الأغاني**، 16/ 94.

طلوع الشمس، لاعتدال الهواء فيه، وان وافق أن يكون فصل الربيع فهو أفضل، ويتوقى ان يكون حالة وقت هبوب الريح، بل في وقت سكونه[1].

وهذا يشير إلى ان للوقت أثره في جودتها، وقوة نفاذها. وأما الآلات التي تصلح لعملها، وسحق اجزائها فيها ـ فأفضل ما سحق المسك في هاون من ذهب خالص، أو صلاية زجاج، بفهر زجاج، وان يذاب العنبر في محارة من حجر، أو في مدهن من حجر اسود أو زجاج، أو في مدهن ذهب أو فضة مموهة بالذهب، ويرفع في إناء من ذهب أو زجاج[2]؛ فآلاتها هاون من ذهب خالص مع صلاية من زجاج، أي مدقة لدق الطيب، وان يذاب العنبر الذي يدخل في صناعتها في محارة من حجر، أو في مدهن من حجر اسود، أو من زجاج أو ذهب أو فضة مموهة بالذهب، في إشارة إلى ضرورة حمايتها ـ من الشوائب التي تدخلها بسبب الآلات التي تستحضر بها.

وأما كيفية عملها أو خلطها، فهو ان يأخذ من المسك الجيد أوقية فيسحقه برفق لئلا يحترق من شدة السحق، ثم ينخل بمنخل شعر شفيف، وان أمكن نخله من غير سحق فهو أجود، مع نصف أوقية من العنبر الجيد، فيذوب في مدهن على ألطف ما يكون من النار، فإذا أوشك أن يذوب قطر عليه شيئًا من دهن البان المطيب، ثم ينزل بعد ان يذوب، ويعتبره بأنامله، وان كان فيه رمل أخرجه، ثم يلقيه على المسك في الصلاية (المدقة)، ويحذر ان يكون العنبر حارًا، فإن حرارته تفسد المسك، ثم يسحق الجميع في الصلاية برفق حتى يمتزج العنبر بالمسك، ويجردهما في صفيحة ذهب لطيفة، ولا يجردهما بنحاس وبحديد فإنهما يفسدانهما، ثم يرفع الغالية بالبان على حسب ما يجب من رقتها أو ثخنها، وليس للبان حد يوقف عنده وإن أراد أن يجعل المسك مثل العنبر أو دونه فعل[3].

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 29.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 29.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 30.

غوالي الخلفاء، وهي الغوالي الثمينة النادرة التي كانت تعمل للخلفاء وأرباب السلطان، ومنها غالية هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بني أمية، وهي غالية صفراء تتكون من السنبل العصافير زنة أربعة دراهم، ومن العود الهندي الجيد أوقيتان، وتُلقى عليها من الزعفران القمي المطحون أوقية منخولة بحريرة، ويخلط جميع ذلك، ثم يؤخذ الزبيب الطائفي [نسبة إلى مدينة الطائف] والمرزنجوش الرطب والنمام الرطب، فتنقع الثلاثة ليلة في ماء وتُحرس وتُصفى وتُعجن بها الأخلاط أو تعجن بطلاء عتيق عجنًا جيدًا، وتلصق في باطية [جفنة كبيرة] وتبخر بالند ثلاثة أيام وتقلب كل سبع تبخيرات مرة، ثم يؤخذ لها من السك المثلث أو المنصف خمسة عشر مثقالًا، فتسحق سحقًا جيدًا، وتنخل بحريرة، ويؤخذ نصف السك وتعجن به وهو رطب ثم يقرص، ويترك ثلاثة أيام في الظل ولا يدنيه من الشمس، فإذا جف يسحق في صلاية، وينخل بحريرة، ثم يذاب له من العنبر الأزرق أوقية ببان الغالية المرتفع الجيد، وتلقى عليه بقية السك وتلك الأخلاط، ثم تلقى عليه أوقية ونصف من السك التبتي المسحوق المنخول بالحريرة، ويضرب فيه بالأصابع حتى يخلط ثم يوعى ويحكم شدة كما تقدم[1]. وفي صناعته وتحضير غوالي الخلفاء يؤخذ من المسك التبتي النادر مائة مثقال، يسحق بعد تنقيته من أكراشه [الكرش سُرَّة الحيوان] وشعره وينخل بعد السحق بالحرير الصيني الصفيق ويعاد سحقه ونخله ويكرر حتى يصير كالغبار، ثم يؤخذ تور [إناء من نحاس أو حجارة كالإجانة] مكي أو زِبديّة [صحفة من خزف] صيني، فيجعل في أيهما حضر من البان الجيد النادر قدر الكفاية، ويقطع فيه من العنبر الشحري الأزرق الدسم خمسون مثقالًا، وترفع الزبدية بما فيها من البان والعنبر على نار فحم لينة لا دخان لها ولا رائحة فتفسده، ويحرك بملعقة من ذهب أو فضة حتى يذوب العنبر، ثم ينزله عن النار، فإذا فتر طرح المسك فيه، ويضرب باليد جيدًا حتى يصير

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 32/ 33.

جزءًا واحدًا، ثم يرفع ذلك في إناء من ذهب أو فضة، وليكن ضيق الرأس ليمكن تصميمه، أو في بَرنيّةٍ زجاج نظيفة، ويسد رأسها بصمامة حرير صيني محشوة بالقطن، لئلا يتصاعد ريحها، وهذه أجود الغوالي كلها وان جعل العنبر نظير المسك فلا باس[1].

وكانت تعمل هذه الغوالي لحميد بن عبد الحميد الطوسي (ت210هـ/ 825م) أحد قادة المأمون، فكانت تعجب المأمون وتعمل أيضًا لأم جعفر، زبيدة بنت جعفر بن المنصور (ت216هـ/ 832م)، وكانوا يصنعونها لمحمد بن سلمان بن علي العباسي (ت173هـ/ 789م) أمير البصرة إلا انهم كانوا يجعلون مع البان والزنبق شيئًا من دهن الكتان الخالص، وكانوا يصنعون لأم جعفر غالية، يسمونها غالية العنبر؛ وذلك انهم يجعلون لكل ثلاثة أجزاء من المسك عشرة أجزاء من العنبر[2]. ومن الملوك من إذا مس الطيب، وتغلل بالغالية لم يعد إلى مس الطيب ما دام عبقها في ثوبه، ومنهم إذا مس الطيب وتغلل بالغالية تضوعت منه وعلقت بثيابه، أمر بصب ماء الورد على رأسه حتى يسيل فإذا كان الغد فعل مثل ذلك، وكان المعتصم قل أن يمس الطيب[3].

ومن الغوالي غالية متوسطة، تنسب إلى أبي الحسن المصري[*]، وهي ثلاثة مثاقيل من المسك، ومثقال من العنبر الأزرق، ومن سُك المسك المرتفع مثقالان، ومن العود الهندي مثقالان، ومن بان الغالية ثلاث أواقي، يحل العنبر في البان بنار لينة، وينعم سحق العود والمسك

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 30.

(2) اليعقوبي: **البلدان**، 214؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 130 ـ 131. ينظر حول ترجمة الطوسي: ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 2/ 190. وترجمة أم جعفر في: الزركلي: **الأعلام**، 3/ 42.

(3) الجاحظ: **التاج في أخلاق الملوك**، تح أحمد زكي باشا (القاهرة، 1914م)، 153.

(*) علي بن رضوان المصري، ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 4/ 289.

والسك، وتخلط وتلقى على العنبر المحلول وهو فاتر، وتضرب ضربًا جيدًا حتى تستوي[1].

وفي عهد المعتضد كانت خزانة الطيب (من الغالية) في نيف وستين حِبًا عمله عدة خلفاء، حتى قيل: فأيها أطيب؟ فقيل: ما عمله الواثق فاحضروا حبًا عظيمًا عدد من الخدم، فإذا الغالية قد ابيضت من التعتيق، فكانت في نهاية الذكاء[2]. ومن الغالية ما كان يصنعه والد التميمي من (الند) الذي يصنع لأم المقتدر حين يحل في البان[3].

الساهرية، هي نوع من الطيب، سمي بذلك لأنه يسهر في عمله وتجويده[4]، وهي غالية حجاجية، يطلق عليها الساهرية، تعمل من المسك التبتي عشرة مثاقيل، ومن العنبر عشرة مثاقيل، ومن العود الهندي المسحوق مثقال واحد، ومن الزعفران مثقال واحد، فيُحلُّ العنبر بدهن البان الكوفي الجيد ودهن الزنبق النيسابوري، فإذا ذاب العنبر ينزل عن النار، ويترك حتى ليفتر[أي تذهب حرارته]، ثم يلقى المسك المسحوق المنخول والعود والزعفران عليه ويضرب ضربًا جيدًا محكمًا، وربما فتق بشيء من الكافور، ويرفع في ظرف، ويسد رأسه[5].

وثمة ساهرية أخرى، تتكون من المسك التبتي مثقال، ومن السُك المثلث مثقالان، ومن العود الهندي ثلاثة مثاقيل، ومن العنبر الشحري مثقال؛ يسحق كل واحد منهما بمفرده سحقًا ناعمًا، وينخل بحريرة، إلا العنبر فإنه يقرض، ويحل في تور[إناء صغير يشرب به] من حجارة، أو زبدية [صحفة من فخار] صيني، ثم يلقى عليه العود والسك، ويخلطان به خلطًا جيدًا ويجعل ذلك في الصلاية؛ فإذا برد يستعمل ذلك غالية يحل

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 33 ـ 34.
(2) ابن الجوزي: المنتظم، 6/ 72.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 37.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 31 ـ 32.
(5) الوشاء: **الموشى**، 186؛ ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سهر).

المثقال منه في مثقال دهن البان المفتر، ومن أراد أن يستعمله مسوحًا يحله بماء الورد[1].

الندود، مفردها (الند)، وهو ضرب من الطيب يدخن به، أي يتبخر به، ويقال للعنبر الند[2]، قال أبو دهبل[*]، وهو شاعر أمواي:

تجعل المسك واليلنجوج والند صِلاءً لها على الكانونِ[3]

وقد أجمع العلماء بأمر العطر والطيب أن السُّك إذا كان مثلثًا فله في الند معنى جيد ومخمرة[4]. ويقال: إنه من العنبر، وإن دابة تخرج من البحر شبيهة ببقر الوحش تلقيه من دبرها، فيؤخذ وهو لين يمتد، وأفضله ما كان عذب الرائحة حسن الجوهر. وهو عدة أصناف منها:

الشحري، وهو أسود فيه صفرة، يخضب اليد إذا لمس، ورائحته كرائحة العنبر اليابس إلا إنه لا بقاء له على النار، وإنما يستعمل في الغوالي إذا عز السلاهطي.

الزنجي، وهو نظير السابق في المنظر ودونه في الرائحة، أسود بغير صفرة.

الخمري، وهو يخضب اليد واصول الشعر خضبًا جيدًا، ولا ينفع في الطيب[5].

تركيبة المستعين، والمستعين خليفة عباس قتل سنة 252هـ/ 866م بعد خلعه بنحو من تسعة أشهر وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 31 ـ 32.
(2) ابن منظور: **اللسان**، مادة (ند).
(*) هو وهب بن زمعة بن اسد الجمحي (ت 63هـ/ 682م). ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 8/ 125.
(3) الأصفهاني: **الاغاني**، 7/ 134.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 37.
(5) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 132.

المعتصم(*). وعرف باهتمامه بالعطور والطيب الذي كان يصنع، وخصوصًا بعض الندود. والذي يتكون من العود الهندي خمسون مثقالًا، ومثله من المسك التبتي، ومن العنبر الشحري الأزرق الدسم خمسون ومائة مثقال، ومن الكافور الرياحي ثلاثة مثاقيل، يسحق العود والمسك والكافور سحقًا ناعمًا كل واحد منها بمفرده، وينخل المسك بالحريرة، ويحل في عباسية [آنية صغيرة] صيني أو في برام [إناء مفرده برمة]، ويلقى المسحوق عليه بعد أن ينزل عن النار، ويعجن به عجنًا جيدًا ثم يمد على الرخامة، ويقطع شوابير، ويصف على منخل حتى يجف ويرفع[1].

ونوع آخر من الند، يحضر من العود الجيد خمسون مثقالًا، ومثله من المسك التبتي، ويحل لذلك من العنبر الهندي أو الشحري مائة مثقال وثلاثة مثاقيل، ويعجن بالمسك ويمد شوابير، ويجفف ويرفع[2].

تركيبة أبي سعيد(**)، يلاحظ أن صناعة الند تتكون من العود والمسك والعنبر، إذ تخلط وتعجن لتكون خليطًا خاصًا، أو تضاف إليه مواد أخرى. وتركيبة أبي سعيد الفارسي هي في غاية الجودة، وتتكون من العود الهندي القامروني [نسبة إلى القامرون] أو العود القماري عشرة مثاقيل، ومن المسك التبتي المنقى من أكراشه وشعره عشرون مثقالًا، يسحق كل واحد منهما بمفرده وينخل بحريرة صينية ثم يجمعان على الصّلاية، ثم يضاف إليهما الكافور القنصوري مثقال واحد، ويحل لذلك من العنبر الشحري الأزرق ثلاثون مثقالًا، في تور حجر أو في عباسية صيني حلًا لطفًا بنار لينة بعد ان تعرض العنبر ليسرع انحلاله، وسبيل التور

(*) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 5/ 84؛ مغلطاي: **مختصر تاريخ الخلفاء**، 70؛ السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، 358.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 34 ـ 35.

(2) م. س، 12/ 34 ـ 35.

(**) هو أبو سعيد يانس الفارسي، المصدر السابق، 12/ 35. أو أبو سعيد اليهودي العطار، المصدر السابق، 12/ 47.

ان يحل على النار قبل ان يلقى فيه العنبر، ليقل مكث العنبر على النار، فإذا انحل العنبر انزل عن النار والقي فيه المسك والعود والكافور إنعام سحقها، ويضرب ذلك مع العنبر في التور بملعقة من فضة أو حديد ضربًا جيدًا حتى يصير جميعه جزءًا واحدًا، ثم تبل سكين ويمسح بها ما تعلق على الملعقة، ويوضع على قطعة من الرخام ملساء قد مسح وجهها بالماء، وتبل اليد ويؤخذ بها من المعجون، وينقل على الرخامة فتلًا متساويًا، ويقطع شرابير بسكين مبلولة بالماء على ما يراه من المقادير، وان خشيت ان يبرد المعجون فيجمده، جعلت التور الذي فيه المعجون على رماد حار(1).

تركيبة بنان العطارة للواثق، ويتكون تركيبها من مائة مثقال من العود الهندي، ومن خمسين مثقالًا من السك، ومن ثلاثين مثقالًا من المسك التبتي، ومن تسعة مثاقيل من الكافور الرياحي، يسحق كل واحد منها على انفراد سحقًا ناعمًا، ثم تجمع كلها على الصلاية، وتسحق حتى تخلط وتلتئم، ثم تؤخذ لها مائتا مثقال من العنبر الهندي والشحري، فيحل في تور بِرام أو غُضارة [قطعة من الطين اللازب الاخضر] صيني فإذا ذاب ينزل عن النار، وتلقى عليه المسحوقات وتخلط به وتعجن عجنًا جيدًا، ثم تعمل منه اقراص أو شوابير وزن كل قطعة منها مثقال وتجفف(2).

تركيبة بنان العطارة للمتوكل، وتركب من عشرين مثقالًا من العود الهند القامروني، وخمسة عشر مثقالًا من السك المثلث، ومثقالين من الكافور الرياحي، وستة مثاقيل من المسك ويقطع شوابير، ويصف على منخل التبتي، ومثقال واحد من السك الأصفر الطواميري، ومثقال من الزعفران الروذراوري(*) المسحوق. يسحق بمفرده، ثم تجمع على الصلاية

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 35.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 36.

(*) نسبة إلى الروذراور، كورة بنهاوند ينبت فيها الزعفران. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 78.

وتسحق، ويؤخذ من العنبر الهندي خمسون مثقالا، فيقرض ويذاب في تور مكي، وتخلط الاصناف كما في تركيبة الواثق، ويقطع شوابير[1].

تركيبة ام المقتدر، وتتكون من مائة مثقال من المسك التبتي المنقى من الأكراش، يسحق وينخل ويحل له من العنبر الشحري وينزل عن النار، فإذا فتر أُلقي عليه المسك بمفرده من غير عود ولا غيره، ويضرب ضربًا جيدًا، ثم يمد على الرخامة ويقطع شوابير ويبخر به. وكانت أم المقتدر تصنعه فتبخر به الكعبة وصخرة بيت المقدس كل جمعة، وكان رئيس الخدم ببيت المقدس يهدي إلى والد محمد بن أحمد التميمي صاحب كتاب (طيب العروس)، فيحله بالبان فتجيء منه غالية لاشيء أطيب منها[2]

اللفيف الشريف، وهو ند عن أم أبيها بنت جعفر بن سليمان[*]، واللفيف هو المخلوط من جنسين فصاعدًا، ولا شيء في (الند) أرفع منه، ويتركب من أوقية من العود الهندي القامروني، يدق وينخل ويسحق على الصلاية، ويؤخذ له السك المثلث نصف أوقية، ومن المسك المنقى من أكراشه، المسحوق المنخول نصف أوقية ويجمع الجميع، ويسحق على الصلاية، ويؤخذ من العنبر الهندي الأزرق الدسم أوقيتان، ويقرض ويذاب في تور على نار لينة نحو ما تقدم، ثم يلقى عليه العود والسك والمسك، ويعجن ذلك، ويمد على صلاية، ويقطع شوابير، ويجفف ويرفع[3].

صناعة الند في القرن الثامن الهجري

أشار شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ/ 1332م) إلى كيفية صناعة الند في عصره بمصر، والتي تعتبر من البلدان

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 36.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 37.

(*) لعلها ام ابيها بنت عبد الله بن جعفر. ينظر: النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 37 الهامش.

(3) م. س، 12/ 37.

التي فيها عفونة، أي رطوبة، ويحتاج الناس فيها إلى الطيب لتلطيف جوها ويقلل تلك العفونة؛ فذكر ان هذا الند يسمى العنبر، فإذا اطلق عندهم اسم العنبر كان هو المراد، ويميز عن العنبر الأصلي، فيقال العنبر الخام، والند المتداول عندهم هو على ثلاثة انواع[1]:

1 ـ **المثلث**، وهو أجودها وأعطرها، ويركب من العنبر الجيد الشحري الرزين الدسم جزء، ونظيره العود الهندي جزء، ونظيره أيضًا من المسك، ويجعل العود بُراية أجزاءً صغارًا، ثم يقلى على نار لينة، ويطحن بعد ذلك طحنًا ناعمًا، ويسحق المسك بعد تنقيته مما فيه من الشوائب كالشعر أو غيره، ثم يقرض العنبر صغارًا، ويوضع في قدر بِرام لطيفة شبيه برأس الخوذة على نار فحم لينة حتى يجمد، ويلقى ذلك العنبر الخام في قدر، ويحرك بملعقة من النحاس مدورة الرأس، ثقيلة لها ساعد، فإذا ذاب العنبر يلقى عليه العود المطحون شيئًا بعد شيء، ويحركان حتى يختلطا ويصيرا جزءًا واحدًا، ويجعل العنبر العود فتائل ويقسم المسك على نسبة تلك الفتائل، وتعجن عجنًا جيدًا على حجر يمني معد لذلك حتى تخلط به، ثم يقطع ويجعل أُكرًا بحسب ما يريد ويرفع؛ وهذا أجود ما صُنِع من أنواع الند في عصر النويري، أو أن يكون لينًا لا يكاد يستعمل للبَّاس، بل يحمل في الجيوب ويبخر به ويشم، ويوضع بين الثياب، ونحو ذلك.

2 ـ **المعتدل**، ويتكون من العنبر الخام الجيد، عشرة مثاقيل، ومن الند العتيق الجيد عشرة مثاقيل، ومن العود الجيد المطحون عشرون مثقالاً، ويؤخذ لذلك من المسك الجيد، وحسب الرغبة ويركب.

3 ـ **السوقي**، وهو الذي يصنع لأغراض تجارية تباع في السوق، فهو يؤخذ لكل عشرة مثاقيل من الخام عشرة مثاقيل من العنبر العتيق، وثلاثون مثقالًا من العود المطحون ومن المسك.

---

(1) ينظر: النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 38 ـ 39؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 132.

تركيبة الند في القرن الثامن الهجري

ويكون بوضع القدر البِرام المعدة لذلك على نار فحم لينة، ويكون القدر على جنبها، ثم يكسر العنبر ويضوع في القدر؛ فإذا سخن هرسه بالملعقة النحاس المعدة لذلك، فإذا انهرس ونعم رفعه من القدر إلى وعاء آخر نظيف، ثم يمسح القدر، ويكسر العنبر الخام قطعًا صغارًا، ويوضع في القدر على أثر السخونة، ويحرك حتى يذوب، ثم توضع القدر على النار، ويلقى على العنبر من العود المطحون شيء بعد شيء إلى ان يخلط بعضه ببعض ويصير جزءًا واحدًا، ثم يلقى عليه العنبر العتيق، ويخلط بالملعقة حتى بهما، ثم يصب على ذلك ماء ورد بقدر واعتدال، ويجس بالإبهام والسبابة؛ فان قبل الفتل أخذ منه شيئًا شيئًا بعد شيء وفتله على الجمر اليمنى المعد لذلك، فإذا صار جميعه فتائل - وهو الفتل الأول - وضع القدر على النار وضع بعض الفتائل فيها، ويصب عليها ماء ورد بقدر، ويعجنها عجينًا جيدًا، ثم يعيدها إلى الجمر، ويعجنها بالمسك حتى يختلط بها بحيث لا يضع المسك على النار اللينة، فإذا اختلط المسك بها، فتلها فتائل ثم يقطعها اجزاءً متساوية على قدر ما يريد، ويضمه بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى حتى يدخل بعضه في بعض، ثم يدوره تدويرًا جيدًا في كفه حتى يندمج ويصطحب، ثم ينخسه بمسلة برفق، وينعشه بعد ذلك بالمشطاب المعد له، وان كان ساذجًا [مالا نقش فيه] دوَّره على الرخامة فإن نقص عن ذلك مُنِع عن بيعه[1].

الأفاويه، وهي ما يعالج به الطيب، وهي أيضًا ما يعد من الرياحين، قال الوليد بن يزيد:

ختموها بالأفاويه وكافور وقارِ[2]

ويقال إن تراب المدينة وهواءها أطيب ريحًا من رائحة الأفاويه بسائر

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 39 - 40.

(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 7/ 46.

البلدان، وفي جزيرة سرنديب بالهند، الملوك لهم الأفاويه الطيبة كالصندلين، والبسابة وليس هذا لأحد غيرهم[1].

والأفاويه هو الهيل أو الهال، والعامة تقول حب هان، وهو حاد الرائحة عريض الأوراق، خشن حاد[2]. ويسمى تخليط المسك ـ ونحوه ـ بأفاويه الطيب والأدهان الطيبة، التسعيف[3]. ويتخذ الدهن من الزيت بأفاويه الطيب والعطر الخطّار[4]؛ مما يعني أن الأفاويه مهمة في صناعة العطر؛ لذا فإنها تعد مما يعالج به الطيب، وقيل ما أُعد للطيب من الرياحين. ومن أنواعها، القفور، قال الشاعر:

مَثواه عطّارين بالعطور أهضامها والمسك والقفور

شبه ريح الكِناس ببيت العطارين[5]، وفي بلاد التبت ترعى الظباء سنبل الطيب وأنواع الأفاويه[6].

الرامك والسك، والرامك، هو نوع من الطيب، رديء خسيس، قال:

ان لك الفضل على صحبتي والمسك قد يستصحب الرّامكا[7]

ويركب من مزجه مع المسك طيب، يسمى السُّك[8] وهو من العطور المعتقة، التي تترك حتى تتماسك وتعتق جيدًا، والرامك، أصل السك الذي لا يمكن عمله إلا منه، وصفة عمل الرامك وذلك بأخذ العفص النقي الأبيض الجيد، ودقه ونخله، فيعتق بعد طحنه سنة. ومن الناس من يطبخه بالماء حتى ينشف الماء، فيستغنى بطبخه عن تعتيقه، وإنما يراد تعتيقه

(1) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، 27.
(2) الزبيدي: **التاج**، مادة (قلل).
(3) م. س، (سعف).
(4) الفراهيدي: **العين**، مادة (خطر).
(5) الفراهيدي: **العين**، مادة (فقر).
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 11.
(7) ابن منظور: **اللسان**، مادتا (رمك، صحب)؛ الزبيدي: **التاج**، مادتا (رمك، صحب).
(8) ابن منظور: **اللسان**، مادة (سكك).

ليسلس وتذهب منه زعارة العفصية (شدة الرائحة)، وطبخه يفعل ذلك، وتعتيقه أجود، ثم يؤخذ لكل عشرة أرطال من العفص المنخول المعتق خمسة أرطال من الزبيب العينوني(*) اللَّحِم المنقى من عيدانه، ويؤخذ البلح الحديث ما قد لقط من تحت نخلة بعد نضجه، ويجفف، ويحكم تجفيفه، وينزع نواه، خمسة أرطال فينقع الزبيب والبلح في الشراب الريحاني(**) يومًا وليلةً، ومن لم ينقعها في الشراب فلينقعهما في الميسوس(***)، أو في الماء القراح، ثم يرفعان على النار فيغليان غليًا جيدًا، حتى ينضجا، ولا تبقى فيهما قوة، ويعتصر ماؤهما، فتعجن به العشرة أرطال العفص المطحون المنخول عجنًا جيدًا حتى يصير مثل الحساء أو أرق منه، ثم يرفع في طنجر(****) نحاس غليظ على نار لينة، فيطبخ وهو يحرك بسطام حديد(*****)، ويفتر تحريكه ويحترز المتولي لطبخه بأن يتلثم ويلف على يديه ورجليه ما يصونهما ان يقع عليهما من ذلك، حتى إذا غلظ وصار أشقر أنزله عن النار[1].

وقد يضاف إليه وقت طبخه من عقيد العنب (أي ما انعقد من عصيره) على كل عشرة أرطال رطل واحد مع ماء الزبيب، وماء البلح، أو يقتصر على مائها فقط، فإذا انتهى انزله من النار وصبه على بواري قصب بعد ان يبرد ويبسط عليها بسطًا رقيقًا مستويًا بشيء من دهن خيري(******)، ثم يعلق البواري بعد جفافه عليها من سقف بيتٍ كنينٍ من الغبار سنة كاملة، بحيث يصل إليها مهب ريح الشمال، فهذا عمل الرامك الذي هو أصل السك[2].

(*) نسبة إلى عينون، من قرى بيت المقدس. ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 180.
(**) نوع من الخمر.
(***) شراب يخلط فيه السوسن مع ماء الورد، وقيل هو شراب السوسن.
(****) إناء يستخدم في الطهو.
(*****) المسعار، هو حديدة مقطوعة الطرف تحرك بها النار وتسعر. .
(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 40 ـ 41.
(******) نبات الخزامى، وقيل غير ذلك.
(2) م. س، 12/ 41 ـ 42.

السك، فاذا كان أصل السك من الرامك، فانه بالإمكان صناعة السك بقلع الرامك عن البواري، ودقه وطحنه طحنًا ناعمًا، واسقه أمراق الأفاويه التي يطبخ بها البان، أو أن تجمع أمراق الأفاويه، بعد تصفية البان عنها وغسله من دهنية البان، وسلقها وتصفيتها فيعجن بها عجنًا جيدًا، كما عُجن أولًا بماء الزبيب والبلح، ويرفع على النار، ويحرك بالاسطام تحريكًا جيدًا مع التحرز مما يتطاير منه، حتى إذا شرب تلك الأمراق وقوي يبرد في سطول [جمع سطل]، ويصب على البواري ويعتق أربعة أشهر حتى يجف، ثم يدق ويطحن وينخل ويؤخذ لكل مَنٍّ (*) منه من الهرنوة [العود] وزن ثلاثة دراهم، ومن الصندل المقاصيري نصف أوقية ومن الزعفران المسحوق وزن درهمين، ومثقال واحد، أو مثقالان ـ ان احببت ـ من نافجة [وعاء المسك] مسك طرية الفتاق، قد نتف ما عليها من الشعر وحلق وقرضت تقريضًا صغيرًا ودقت دقًا ناعمًا، ومن دهن الخيري الكوفي الخالص نصف أوقية ومن العسل الماذي (الأبيض الرقيق) نصف أوقية فيعجن جميع ذلك بالسك عجنًا جيدًا، ويترك ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر حتى يجف ويتكامل جفافه، ثم يدق ويطحن ويعجن بميوس، وهو شراب طبخ فيه السوسن مع ماء الورد، ويطرح في كل مَنٍّ منه من المسك ثلاثة مثاقيل يعجن بها عجنًا جيدًا، ويقرص أقراصًا صغارًا، ويترك حتى يجف، وهذا أذكى أبواب السك وأصلحه[1].

سك آخر، وثمة نوع آخر من طيب السك يصنع من الرامك بعد تجفيفه على البواري [حصران القصب]، فيدف وينخل ويسقى من أمراق الأفاويه كما في النوع السابق، ثم يُؤخذ لذلك من العود السن القماري(**) المسحوق أوقية ونصف الأوقية، ومن الصندل المقاصيري الأصفر الرسم

(*) كيل أو ميزان بين 18 مثقالًا و280 مثقالًا. ينظر: النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 41 ـ 42.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 42 ـ 43.

(**)نسبة إلى قُمار، موضع بالهند ينسب اليه هذا العود. ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 396.

ثلاث أواقي، ومن السنبل العصافير أوقية، ومن الهرنوة أوقية، ومن القرنفل الزهر أوقية، ومن الهال [أي حب الهيل] نصف أوقية ومن الزعفران المائي(*) أوقيتان يدق ويطحن وينخل ويلقى على السك في الطنجير، وهو على نار هادئة، ويُصب عليه دهن الخيري [الخزامى] الكوفي الخالص أوقيتان، ومن العسل الماذي الأبيض أوقيتان، ويحرك ساعة، ثم يوضع عن النار، ويبسط على بارية بعد أن يبرد، ويعتق سنة، ثم يقلع فيدق دقًا ناعمًا، ويعجن بميوس أو بماء قراح، ويلقى على كل مَنٍّ منه من المسك ربع مثقال من سحقه، ومن العسل خمسة دراهم، ويقرص ويختم. وبعضهم يرى أن هذه الأفاويه كثيرة لرطلين عفصًا، أو أن يكون العفص سبعة أرطال بالبغدادي، فإنه يحتمل ذلك(1).

سُك ثالث، وهو يركب من العفص البالغ الجيد فيرض [أي يدق]، ويوضع في قدر كبيرة ويصب عليه الماء ما يغمره، ثم يطبخ أيامًا، ويزاد في مائِهِ كلما نشف حتى ينضج، ثم يخرج العفص فيجعل في شمس حارة حتى يجف، ويرفع ذلك الماء الذي طبخ فيه، ويؤخذ ما جلس فيه من العفص فيجفف ويضاف إلى العفص، ويدق وينخل بمنخل شعر، ثم يرد إلى القدر ويصب عليه ماء كثير، ويطبخ به يومين أو ثلاثة حتى تذهب العفصية منه، ثم يسحق على صلاية حتى يجف ويصنع منه أمثال العلك، وهذا عمل الرامك(2).

أما إذا كان القصد من ذلك صناعة السُّك، فيؤخذ منه ستة أجزاء ومن نوافج المسك جزء واحد، فتَنزع الشعر عن النوافج، وتقرض وتدق دقًا شديدًا وتطحن، ثم تخلط بالستة أجزاء وتسحق الجميع على الصلاية بالماء أو بالشراب أو بالنضوج، وهو ما كان رقيقًا سائلًا كالماء من الطيب

(*) نبات له أصل كالبصل، زهره أحمر إلى الصفرة، وأقواه ما ينبت في بلاد ماه، وقد قلبت الهاء في النسب إلى الهمزة. ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، 258.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 43 ـ 44.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 44.

أو نحوه حتى يستوي، ثم يقرض فإذا جفَّ تؤخذ منه ستة أجزاء، ومن المسك التبتي جزء واحد، ويسحق المسك ويحل السك بماء الورد، ويضاف إليه بالعجن الجيد، ويقرض ليأتي سكًا طيبًا[1]. وإذا أراد صانعه أن يعمل منه منصِّفًا أو مثلثًا أو غير ذلك، فيسحق ويلقى على كل مثقال منه نصف مثقال من المسك أو ثلث مثقال أو دون ذلك، ويعجن به ويقرض[2].

الأدهان، وهي التي تتعلق بعصارة الطيب أو بعض النباتات التي يصنع منها العطر، مثل عصارة القَرظ الذي تتوافر فيه لذعة، وأجوده الطيب الرائحة الرزين الصلب الأخضر[3]. وهو يتعلق بالبان بصورة خاصة مثل السُّليخة؛ وهي دهن ثمر البان قبل أن يركب بأفاويه الطيب، فإذا أُريب بالمسك والطيب ثم أُعتصر، فانه منشوش [نش نشًا، أي اختلط الدهن] بروائح الطيب والسُّليخة[4]، وصفته وكأنه مقشر منسلخ ذو شعب[5]. ومنه الرحيق ضرب من الطيب والعسل[6]، والحفالة وهي ما رقَّ من عكر الدهن والطيب، وحفالة اللبن رغوته كجفالته[7]. والأدهان هي المراهم التي يدهن بها الجسد تطيبًا أو تداويًا، وأبرزها ما يدخل في أصناف الطيب والغوالي مثل دهن البان، ودهن الزئبق، ودهن الحَماحِم[*]، ودهن الخيري، ودهن التفاح، والأدهان المركبة العطرة، وأدهان تصلح الشعور[8].

دهن البان، البان هو شجر عظيم يحمل حبًا ألطف من البندق في

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 44.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 45.
(3) الزبيدي: **التاج**، مادة (قرظ).
(4) م.س، مادة (سلخ).
(5) ابن سيدة، **المحكم**، 55/ 79.
(6) الزبيدي: **التاج**، مادة (رحق).
(7) ابن منظور: **اللسان**، مادة (جفل).
(*) الحبق البستاني العريض الورق.
(8) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 45.

مقدار حب النبق [السدر]، وهو مستدير ذو ثلاثة حدود كحدود أزجة النشاب [السهاب] يكسر فيخرج من جوفه حب أبيض دهني، تعتريه مرارة يسيرة ومنابته بينبع(*) من أرض الحجاز، وبأرض عمان وباليمن[1]. ومنه من ينبت بمصر ومن أرض الشراة(**) بين المدينة والشام والبلقاء، (***) وينبت على شاطي البحيرة المنتنة(****) [التي يصب بها نهر الاردن] ما بين زغر(*****) وأريحا(******)، وأجوده اليمني والحجازي وأجود حبه ما كان قشره يضرب إلى السواد، وأما الأبيض القشر فانه رديء يعرض له الفوران عند طبخه[2]، والبان من العطور التي عرفتها المرأة منذ العصر الجاهلي[3].

التحضير، ويجري تحضيره من خلال طحن حبه في الرحى، ثم يوضع في قدر نحاس كبيرة تسع (عشر) كبالج وأكثر بالكليجة(*******) الشامية، ومقدار كل كليجة ثُمن أردب(********) بالكيل المصري، ويملأ الحب المطحون ثلثي القدر، ثم يصب عليه الماء ليغمره، وزياده أربع أصابع مفتوحة، ويوقد تحته بالحطب الجزل [الغليظ العظيم] حتى يغلى،

(*) بلد عن يمين رضوى ينحدر من المدينة إلى البحر. ينظر: ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 42.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 42.

(**) بعض نواحيها الحميمة. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 332.

(***) البلقاء من بلاد الشام الان في بلاد الاردن. ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 489.

(****) وتسمى المدينة المقلوبة.

(*****) قرية بمشارف الشام. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 143.

(******) قرية بالغوز على مسافة يوم من بيت المقدس ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 165.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 45 ـ 46.

(3) العلي: **التزيق**، 80.

(*******) الكليجة، مكيال جمعه كيالج وكيالجة: ابن منظور: **اللسان** مادة (كلج)

(********) مكيال ضخم يسع 24 صاعًا من مكيال مصر (يساوي 4455 مثقالًا أو 6 دوبيات). ينظر: العزاوي، عباس (ت1391هـ/ 1971م): **تاريخ النقود العراقية**، (شركة التجارة للطباعة، بغداد 1377هـ/ 1958م) 103.

فيطبخ نصف يوم، وكلما نقص الماء يزداد، حتى إذا انتصف النهار يقطع عنه الوقود، ويترك حتى يبرد ثم يلقط ما طلع فوقه من الدهن، ويجمع في آنية حتى لا يبقى من الدهن شيء[1].

البان الكوفي، أما البان الكوفي فيكون تحضيره من الدهن المستخرج من حب البان، فيجعل في قدر برام [الفخارٍ] كبير، ويطبخ بمثله من الماء الصافي، ولايزال يطبخ أيامًا، وكلما نشف الماء نقل إلى قدر أخرى، ويصب عليه من الماء الصافي نظير الدهن، ويطبخ حتى ينشف الماء ويبقى الدهن، يفعل ذلك به ثلاث مرات، ثم يطبخ بالماء الصافي والورد الذي لم يتفتّح ثلاثة أيام، ثم يطبخ بالماء والصندل الأصفر المقاصيري المخروط [المقطع] ثلاثة أيام حتى تذهب عنه رائحة الدهن، ثم يطبخ بالعود الهندي السِّن والماء الصافي يومين أو ثلاثة أيام، ثم يطبخ بسك المسك المنصف المسحوق بماء الورد يومًا، ويسمى هذا الطبخ بالسك وماء الورد (النش) أو (البان المنشوش). ثم ينزل ويصفى ثم ينش بعد طبخه بالسك وماء الورد بالمسك التبتي المسحوق المحلول بماء الورد الجوري نشًا جيدًا حتى ينشف عنه ماء الورد، ويأخذ البان قوة المسك[2].

البان المديني، المديني، نسبة إلى المدينة المنورة، لأن أهل المدينة يطبخونه بالأفاويه الطيبة، مثل السليخة، والقرنفل، والكبابة [حب العروس]، والهرنوة، والصندل الأصفر المخروط [المقطع]، وسن العود الأسود يطبخونه بكل واحد من هذه الأصناف أيامًا مع الماء الصافي، ثم يبرد ويطبخ بالصنف الآخر حتى ينتهي الّا أنه لا يصلح للغوالي، لأنه يتغلب على روائح العنبر والمسك بروائح الأفاويه وحدتها، فلا تستعمله الملوك إلا أن تَدهن به أيديها في الشتاء، وتستعمله النساء في أطيابهن وخمرهن[3].

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 46.
(2) م. س، 12/ 46 ـ 47.
(3) اليعقوبي: **البلدان**، 215 ـ 219؛ ابن منظور: **اللسان**، مادة (سلخ)؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 47.

صيغة أخرى، وركب التميمي صاحب كتاب (طيب العروس) عطر البان من حب البان البالغ في شجرة، ماكان قشره يضرب إلى السواد، فينتقي منه مقدار ما يخرج من الدهن زيادة على ثلاثين مَنّا، وذلك يخرج من مائة مَنٍ من الحب البالغ إذا طحن وطبخ وأحكم طبخه، فإذا حصل من حب البان ما يخرج منه، وطحن يجمع دهنه فيصب في قدر بِرام لم يدخلها شيء من الدَّنس بـ (49) مَنّا مع دهن البان عشرين مَنّا، بعد أن يجلس، ويصفى، ويحضر لها (2) مَنًّا من السليخة الحمراء تكون قضبانًا دقاقًا، ويغلى لها من الماء فوق غمرها وتصب في إناء غَضار [الطين اللازب]، أو صفر وتكمر [يحكم غلقه] ليرجع بخار الماء إليها وتترك منقوعة يومًا وليلة[1].

وبعضهم يرى أن تغلى على النار بعد نقعها، ثم يصفى ماء السليخة، وتعاود بماء ثانٍ، فتغلى به أيضًا حتى تخرج قوتها، ويصفى على دهن البان أيضًا، ويطبخ حتى ينشف الماء، ويبقى الدهن فيرفع في قراريب [نوع من الاواني] بعد تصفيته، ثم تغمر السليخة بماء ثالث، وتطبخ به طبخة خفيفة لتستخرج قوتها، ثم تصفى وتطبخ بالماء الذي يخرج منها عشرة أمنان [جمع من] من البان، وتعزل في أوانيَ مفردةٍ، فإذا كانت السليخة قد ضعفت بعد استخراج الماء الأول منها، تقوى بنصف مَنٍ آخر، لتطيب به العشرة أمنان الثانية، فإذا استخرج الماء الأول وضعف، يطيب البان الثاني بشيء طري، ثم تنقع من السليخة الحمراء التفاحية المتسوفة [المغربلة] مَنّا، ونصف مَنٍ في ماء حار يومًا وليلة، ثم يغلى، ويصفى على العشرين من بان المطبوخة بالسليخة في قدر، ثم يصب عليه من الماء ما تكمله به حتى يصير الماء نظيرَ الدهنِ، ويطبخ على الطريقة التي سبق ذكرها حتى ينشف الماء، ويبقى الدهن فيعاد في قراريب [اواني]، وينقع السليخة في ماء ثانٍ، وتقوى إذا ضعفت وتطبخ بها العشرة أمنان الدهن الثانية، ثم يبرد ويعاد إلى قراريبه، وتدق له قرفة من القرنفل الحار الذكي بمقدار (2 مَن) تهشيمًا،

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 47 ـ 48.

ويغلى لهما غلية واحدة، ويصفى على البان الأولى، ويطبخ نصف يوم حتى ينشف الماء، ويبقى الدهن فيبرد، ويوضع في ماء ويحكم سده، وتنقع القرفة أيضًا بماء حار، وتقوى بربع مَنٍ، وتترك يومًا وليلة، ثم تغلى، ويصفى ماؤها على البان الثاني حتى ينشف الماء، ويبقى الدهن فيبرد، ويعاد إلى ظروفه [أوعيته]، ويحكم سده[1].

وفي حالة الرغبة في تحسين نوعيته بالقرنفل [وهو أفضل] يهشم له القرنفل الجيد الحب، المنسوف نصف مَنٍ، ويغلى له من الماء مَنًا، فيصب عليه وهو حار، ويغطى يومين وليلتين، ثم يصفى على البان الأول في القدر، ويطبخ به كما تقدم سابقًا، وينقع القرنفل المسلوق في سبعة أمنان من الماء الحار، ثم يغلى، ويطبخ به البان الثاني، كما فعل سابقًا، ثم يطبخ بماء الورد بعد البَسباسَة، ثم يغلى الماء الصافي بـ (20) منًا لـ (2) من الورد الفارسي الأحمر [الورد الجوري المنسوب إلى جور] المنقى من أكمامه، ويصب عليها، فيكمر بما يرد بخاره فيه، ويترك يومين، ثم يصفى على البان الأول من غير أن يغلى، ويطبخ كما تقدم، ويصب على الورد (10) مَن من الماء الحار، ويقوى بنصف مَن من الورد الطري، ويصفى على البان الثاني، ويطبخ كما تقدم، ويغلى من الماء (20) مَنًا لمَنٍ واحد من السنبل العصافير الجيد، ويصب عليه، ويكمر بما يرد بخاره فيه يومين. ثم يسلق سلقة خفيفة ويصفى على البان الأول ويطبخ كما سبق ويقوى السنبل بثُمنِ مَنٍ، وينقع يومًا وليلة في (8) مَنٍ من الماء، ويغلى على النار ويصفى على البان الثاني، ويطبخ به كما تقدم، ثم يهشم مَنٌ وربع المَنِ، ويغلى له (20) مَنًا الماء، ويصب عليه، ويكمر حتى ينعكس بخاره إليه، ويترك يومين ويصفى على البان الأول ويطبخ به، ثم تقوى الهَرنُوة بثُمنِ مَنٍ منها، وينقع في عشرة أمنان من الحار، ويصفى على البان الثاني، ويطبخ كما تقدم سابقًا، ثم يؤخذ من الصندل الأصفر المقاصيري الدسم مَن وأوقيتان، ويخرط خرطًا [يقطع تقطيعًا] رفيعًا على نطعٍ [بساط

(1) النويري: نهاية الأرب، 12/ 48 ـ 49.

من الجلد]، ويجعل في سَفَن [وعاء من جلد]، ويغلى له عشرون مَنًا ماء، ويصب عليه، ويكمر يومين وليلتين، ثم يغلى به ويصفى على الباب الأول في القدر، ويطبخ به حتى ينشف الماء ويبرد، ويعاد إلى أوعيته، ثم يقوى الصندل بأوقيتين، وينقع يومًا وليلة ويغلى، ثم يصفى على البان الثاني، ويطبخ به كما تقدم، ثم ينقع بالماء الحار نصف مَنٍ، أو ثلثان من العود الأسود السن، ويترك فيه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، ثم يغلى على النار، ويصفى على البان الأول، ويثنى العود ويثلث بالماء الحار والغليان، ويجمع ماؤه الثاني والثالث، ويصبان على البان الأول ويطبخ بالمياه الثلاثة حتى ينشف الماء ويبقى الدهن، ثم يبرد ويعاد إلى أوعيته، ثم يغلى بخمسة أمنان ماءٍ غليانًا جيدًا، ويطبخ به البان الثاني حتى ينشف الماء، ويبقى الدهن فيبرد ويودع في اوعيته[1].

وكان أبو سعيد العطار يؤثر أن يهشم القرفة والقرنفل والهَرنوة، ويجمع ذلك مع السنبل في إناء كبير، ويصب عليه من الماء الحار ثلاثين مَنًا، وينقعه في يومين وليلتين، ثم يصفى ويعزل ويصب على الأفواه ماءً حارًا عشرين مَنًا، ويصفى على الماء الأول في وعاء من الجلد، ثم يطبخ به البان الأول ثلاث سقيات، وهو على النار كلما نشف ثلثُ الماء صب عليه الثلث الآخر، فإذا انتهى يبرد، ويودع في وعاء حتى تثنّى الأفواه بماء ثانٍ للبان الثاني، وتطبخ به كما تقدم سابقًا[2].

ويرون ان هذا أروح وأخف مؤونة من تكرار الطبخ بكل نوع على حدته إلا الصندل والعود، فانه لابد من طبخهما بماء، كل منهما على انفراد أو أن يطبخ البان بالماء والأفاويه جميعًا بعد نقعها ولا يصفى الماء عنها. وقيل إن طبخ البان بالأفاويه مع الماء أقوى له، لأن البان ينمحق [يذوب ويختلط] في الأفاويه. وبعضهم يرى أن تسلق الأفاويه، بعد إخراجها من البان، كل صنف على انفراد ويؤخذ ماء صنف منها على

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 49 ـ 50.
(2) م. س، 12/ 51.

حدته، ويترك ما بقي فيه من البان ويعجن به السك. وبعضهم يرى أن يعجن السك بأفواه قوية منقوعة[1].

نشُّ البان، ويتكون من سحق عشرين مَنًا من البان بعد أن يبرد، ويجلس [يجمد ويغلظ] من المسك التبتي مثقالين، ومن سُك المسك المرتفع أربعة مثاقيل، وينخلان بحريرة ويعجنان بماء الورد، ثم يحلان بماء الورد بعد عجنهما حتى يصيرا مثل الحساء، ويصبان على البان الذي يُراد نَشه في قدر جديدة معدة للنش، ويجعل على الكانون وتوقد تحته نار الفحم، ويحرك بقصبة فارسية دائمًا، وهو يغلي حتى ينشف ماء الورد؛ وعلامة ذلك أن يَعْلَق المسك والسُّك برأس القصبة مثل الشمع أو مثل الغالية، ثم ينزل عن النار حتى يبرد[2].

نشُّ المعتصم، ومن النش ما أُحضِر للمعتصم، ويتكون من البان الأصلي الأول الجيد، بوزن رطلين يجعلان في طنجير (برام حديد) لم يدخله شيء غير البان، وتؤخذ لهما أوقية من السك المثلث المرتفع، ومن العود الهندي أوقية، ويسحق كل منهما، وينخلان بحريرة، ثم يعجنان بماء الورد حتى يصبحا أرق من الحساء المصنوع من الدقيق، ويصبان على البان في الطنجير، ويرفع على نار لينة حتى يغلي غليانًا رفيقًا مع التحريك بأنبوبة قصب فارسي حتى ينشف ماء الورد، ويعلق السك والعود برأس الأنبوبة، وينزل عن النار حتى يبرد، ثم يصفى في إنائه، ثم ينزع ما في أسفل الطنجير من السُّك والعود برأس سكين أو بملعقة من حديد، ويعزل لعمل الغوالي، ثم يغسل الطنجير غسلًا جيدًا، ويجفف ثم يعاد إليه البان الذي نشش بالسك والعود، ويسحق أوقية من المسك للرطلين، ومن العنبر الشحري أوقية، وينخل المسك بحريرة صفيقة [جيدة النسج]، والعنبر بخامة [القماش الجديد]، ثم يجمعان على الصّلاية، ويسحق جميعًا، ثم يحل بماء الورد، مثلما حلل السك والعود، ويصبان في الطنجير على البان،

(1) م. س، 12 / 51.
(2) م. س، 12/ 51 ـ 52.

ويرفع على نار لينة، ويدام تحريكه بأنبوبة القصب، ولا يغفل عن تحريكه، وتكون ناره الآن ألين من النار الأولى التي نشش بها السك والعود، فإذا نشف ماء الورد، وتعلق المسك برأس القصبة ينزل ويبرد ويرفع[1]، وإذا نشر على أثره بما يبقى في الطنجير من ثفل [ما رسب في الوعاء] المسك، والعنبر بانًا ثانيًا، فانه يكون دون الأول[2].

الزنبق المولد، وهو المستخرج حديثًا، فانه يتكون من الشِّيرج [دهن السمسم] الرائق من واحد يصب في طنجير بِرام، ثم يؤخذ من ورد النسرين أوقية ومن بزر الشاهسفرم[*] غير المفروك، ويوقى من كل واحد منهما أوقية، ومن بزر النسرين نصف أوقية، ومن زهر الياسمين الأبيض الطري الغض لقاط يومه [أي قطف يومه] نصف رطل، ومن بزر الورد الأحمر الطري نصف أوقية، ومن قضبان قلوب شجر البلسان[شجر جماجم الريحان] الطرية خمسة قضبان أو ستة، وان تعذرت الطرية، فيؤخذ لحاؤه الجاف أوقية ونصف الأوقية، ومن الصندل الأصفر نصف أوقية، ثم تقسم الاصناف وتفقع في ماء الورد ونضوح وماء ريحان مصعد من كل واحد نصف رطل ويترك يومًا وليلة منقوعة ثم يلقى ذلك على الدهن مع الياسمين الطري الأبيض، ثم يرفع على نار لينة ويحرك بشقة قنا [رمح] حتى تنشف المياه التي نقعت فيها الاصناف، فينزل الطنجير عن النار، وتحكم تغطيته لوقته ويترك إلى الغد، ثم يصفى الدهن الثقل فإذا برد يلقى على كلٍّ مَنٍ من هذا الدهن رطل من الزنبق المصري الجيد، ثم يباع على أنه زنبق خالص[3].

وإذا شاء صانعه أن يأخذ من دهن الشيرح الرائق العتيق، ويجعل في إناء كبير من الزجاج [دَسْتَتَجة]، ويلقى على كل رطل منه في بكرة النهار

(1) م. س، 12/ 52.
(2) م. س، 12 / 53.
(*) فارسي معناه ريحان الملك، وهو من الحبق الكرماني.
(3) م. س، 12/ 53 ـ 54.

الأول من زهر الياسمين الطري الأبيض الذي لا نداوة فيه أوقية ويسد رأسه [فوهته]، ويجعل طول النهار في شمس حارة، ثم يفتح من الغد، ويلقى عليه الياسمين نصف أوقية ويدرج في كل يوم بنقص الياسمين الذي يلقى فيه درهم حتى يبقى وزن درهم فيلقى فيه في كل يوم إلى تمام (14) يومًا، ثم يقطع عنه الياسمين، ويترك (14) يومًا في الشمس حتى ينطبخ، فإذا انضم الزهر الذي ألقي في الدهن فيلقى عليه في كل يوم وزن درهم أو درهمين من زهر الياسمين سبعة أيام، ثم يترك سبعة أيام ويلقى سبعة أيام، ثم يقطع عنه الإلقاء، ويترك في الشمس تمام (60) يومًا حتى يجف الزهر، ثم يصفى على شقة غربال، ويودع المصفى في قوارير[إناء من زجاج]، ويحكم سده، فهذا هو الزئبق الذي ما بعد زئبق[1].

دهن الزنبق، وفي مدينة القيروان يربب السمسم بالياسمين لدهن الزئبق[2].

دهن البلسان، البلسان شجر لحبة دهن حار يتنافس فيه يستخدم دواء أحيانًا[3]. ويستخرج منه الدهن، يقال إن المسيح ﷺ اغتسل فيها، والبلسان يُشبَّه بشجر الحناء والرمان، ولها قوم يحرمونها ويستقطرون ماءها من سوقها في آنية لطيفة من زجاج، ويجمعونه بجد واجتهاد عظيم، وهناك رجل نصراني يطبخه بصناعة لا يطلع عليه أحد، والبلسان شجر البشام بعينه[4]. ويستهديه ملوك النصارى من صاحب مصر لما يعتقدون من أثر المسيح عليه في البئر[5].

دهن الحَماحم، وهو الحبق الكرماني أو البستاني ويسمى الحبق النبطي، عريض الورق له أغصان خضر مربعة خوارة ونور أبيض ويسمى

(1) م. س، 12 / 54.
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 156.
(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (بلس).
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 149.
(5) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 3/ 312.

حبق السودان[1]. ويحضر من ورقه الصغير الذي يجنى منه، فيعزل ويؤخذ نور حجارة أو برمة جديدة تغسل غسلًا جيدًا، ويصب فيها قدر رطل ماء ورد جوري، ويطرح فيه الحَماحم والورق مع عشرين حبة من حب القرنفل الزهر، ويصب على ذلك من دهن الخيري الكوفي الفائق [الجيد] والزئبق السابوري [نسبة إلى سابور][*]، لكل عشرة رؤوس من الحَماحم الضخمة رطل من الخيري والزئبق، ثم يغلى بنار فحم لينة حتى ينضج الحماحم، ثم يؤخذ مثقال عود هندي مسحوق ومثله السك المرتفع، ونصف مثقال من الكافور ووزن دانق من المسك، يعجن ذلك بزنبق ويبخر ويقلب بعد كل ثلاث بندات [مرات]، ثم يصفى الدهن من فوق الحماحم، ويعصر حتى لا يبقى فيها شيء من الدهن، ثم يصب الدهن على الأفاويه المبخرة، ويحرك في باطية، ويترك أربعة أيام حتى يصفو، تبخر قارورة نظيفة بسك وكافور وعود، ثم يصب فيها الدهن ويحل فيه المسك ثلث مثقال أو أكثر، فإذا أردت استعمال شيء من الدهن فحرك القارورة، ومن أحب أن يريده دهنًا مبخرًا، ويفتقه بشيء من الكافور فعل[2].

الدهن الخيري، وهو المعروف نباتيًا بالخرامى، وهو نوعان:

الأول، الأصلي الخالص.

الثاني، المولد[3].

أما صناعة الثاني، فهي أن تأخذ من الشيرج الصافي مَنًا، فتصبه في طنجير برام، وتأخذ له من بِزر الحَماحم وزن ثلاثة دراهم، ومن بزر الأفْرَنجمشك [مسك الافرنج] خمسة دراهم، ومن ورقه عشرة دراهم، ومن ورق الحماحم وقلوبه [لبه] ستة عشر درهمًا رطبًا كان أو يابسًا، ومن بزر الخيري الخمري والأسمانجُوني [أي سمائي اللوني] الطري النقي من

(1) الانطاكي: **التذكرة**، 1/ 246.

(*) نسبة إلى سابور، بلدة بأرض فارس. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 167.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 54 ـ 55.

(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 55.

خضرته من كل واحد خمسة دراهم، ومن بزر الخيري الأصفر أربعة دراهم، ومن ورق الورد الأبيض ربع أوقية ومن قلوب الأترج [من جنس الليمون] الورق الرطب، ووردة المفتح، وورد النارنج الطري، وقشره من كل واحد نصف أوقية ومن قلوب النَّمام الطري أوقية، ومن الصندل الأصفر ربع أوقية، يرض الصندل مع ما كان من الأوراق اليابسة والبُزور، وينقع بماء الورد، وبماء زهر الخيري المصعَّد [يتصاعد بالتبخر] يومين، وتلقى الأزهار والأوراق وماء الورد والخيري المنقوع فيه على الدهن، ويوقد تحته بنار لينة ويحرك تحريكًا مستمرًا بشقة قنا حتى إذا قبل الدهن روائح ما استودع به ينزل الطنجير فيغطى ليلة، ثم يصفى الدهن في القوارير، وإن شئت خلطته بدهن خيري جعل على المَنِ منه من هذا الدهن رطلًا أو على الرطل منه مَنًا[1].

ويعد هذا التركيب غاية الطيب، وقد يباع الدهن مفردًا بسعر الخيري الخالص وإذا كان هذا الهدف أن يكون غير مطيب، فيوضح الشيرج في قارورة، ويلقى على كل رطل من الشيرج أوقية ونصف أوقية من زهر الخيري الخميري والأسمانجوني [لون السماء] الطري الذي لقط عند غروب الشمس، ويلقى فيه أول الليل، ثم تغلق القارورة في بئر ماء عشرة أيام، ثم تعرض في الشمس عشرة أيام وتضع فيه في كل عشية من زهر الخيري الأسمانوجي والخمري لقاط وقته [قطف يومه] في كل يوم وزن ثلاثة دراهم، ثم يعاد إلى البئر عشرة أيام، ثم يخرج ويعلق في الشمس ويجدد له زهرة كرة ثالثة، ويترك في الشمس حتى يجف ورقه، ويصفى بمنخل فيأتي دهن خيري يضرب المثل بطيبه[2].

دهن التفاح، التفحة، هي الرائحة الطيبة، والتفاح ثمر معروف، وهو من العطر[3]. والتحفة أيضًا من الفاكهة وغيرها من الرياحين. والتفل، ترك

---

(1) م. س، 12/ 55 ـ 56.

(2) م. س، 12/ 56.

(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (تفح)؛ الزبيدي: **التاج**، مادة (تفح).

استعمال الطيب أو الريح الكريمة[1]. ويحضر دهن التفاح من دهن الخيري ودهن الورد من كل واحد نصف مَنٍّ، فيخلطان في ظرف [وعاء] واحد، وتؤخذ من ورق الآس الغض ما تحتاج، فيدق بشيء من الماء القَراح، وتستقطره في قابلة [إناء يحمل رطلًا]، وتؤخذ مما قُطِّر منه زنة مائة درهم، ومن ماء الزعفران المصعَّد [معالج بالنار] زنة خمسين درهمًا وتخلطهما في برنية، وتصب عليهما من ماء الورد ثلاث أواقي، وتدق من المحلب المقشَّر مائة درهم، وتعجنه بنصف أوقية مَيعة [صمغ العطر] حمراء سائلة عجنًا شديدًا وتعزله، ثم تأخذ من قشور التفاح الشامي البالغ الطري فتلقيه في الماء وتغليها عليه، ثم تمرسه مَرسًا جيدًا، وأنزله من النار، ثم ألقِ فيه أوقية فاغية الحناء [زهر الحناء] وجرزة [حزمة] من ورق النِّمام [نوع من النعناع] الطري، وتلقي المحلب المعجون بالميعة في الذهن وتضربه به ضربًا جيدًا وتسحق له من القرنفل مثقالين ومن السنبل مثقالين وتنخل ذلك وتضيف إليه اوقية ذريرة ممسكة مفتوحة، وتعجن الجميع بنضوح [طيب فواح] عتيق، وتخمره يومين في باطية [إناء] بالعود والكافور وألقه في الدهن الذي حللت فيه المحلب واضربه به، ثم أقله على المياه التي فيها قشور التفاح والفاغية والنهام، وأحكم سد الإناء وضعه في شمس حارة سبعة أيام، وحركه في كل يوم، ثم ارفعه بعد الأسبوع في طنجير على نار لينة واطبخه حتى ينشف الماء، ثم برده واقطف الدهن في ظرف مبخر وافتقه بمسك وكافور من كل واحد سدس مثقال، وهذا هو دهن التفاح[2].

الدهن الفيح، وهو دهن ألفه التميمي مصنف كتاب (طيب العروس) وسماه (الدهن الفيح)، ويعمل منه غالية رفيعة وهو يفوق البان طيبًا يدهن منه في الشتاء الأطراف والوجه، وتركيبه أن يُؤخذ من دهن الورد الفارسي [الجوري] الطري ثلاثُ أواقٍ، ومن الزنبق السابوري الرصافي[*]، أو المعري أوقيتان، ومن دهن البنفسج أوقيتان، ومن دهن الخيري أوقيتان،

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادتا (تفل، تحف).
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12 / 56 ـ 57.
(*) نسبة إلى رصافة نيسابور. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 49.

ومن البان المنشوش [المشبع] بالمسك أوقيتان، ومن دهن النرجس أوقية؛ تجمع هذه الادهان في خماسية [تسعُ خمسةَ مقادير]، ثم تأخذ من العود الجيد الفائق وزن درهم ونصف درهم، ومن الصندل الأصفر المحلول بماء الورد المخمر بالزهر والنهام وزن درهم، ومن السك المرتفع وزن درهم، ومن زهر القرنفل الذكي نصف مثقال، ومن الهرنوة مثل ذلك، ومن السليخة التفاحية وزن درهم، فيدق ويسحق وينخل بحريرة، ثم يضاف إلى هذه الأصناف الزعفران القمي(*) المسحوق وزن دانقين(**)، ومن الكافور الرياحي [المتصاعد] نصف مثقال، ومن المسك ربع مثقال، ومن النِّد مثقال، ثم يعجن الجميع بشيء من الدهن، ويقطّر فيه دهن البلسان زنة دانق، ومن دهن الأترج زنة دانقين، ويضرب ضربًا جيدًا، ثم يخلط بالدهن ويضرب حتى يختمر، وتقيم سبعة أيام تضربه كل يوم، وتبخره في السبعة أيام احدى وعشرين بنده برمكية رفيعة، وبمثلها من العود الصرف، وبمثلها من العود والكافور، وتضربه بالبخور والثُّفل الذي فيه ضربًا جيدًا في كل مرة تبخره، فانه يأتي عجبًا في الطيب والذكاء، فإذا أحببت رفعه؛ فحل له نصف مثقال من العنبر الأزرق بشيء منه، وألقِ فيه ربع مثقال من المسك المسحوق واضربه به حتى يصير مثل الغالية، ثم صبه عليه، وأنعم ضربه فانه يرفعه ويطيبه[1].

دهن آخر، وهو دهن يتكون من أوقية من العود الهندي، ومن السنبل مثقال، ومن الصندل الأصفر مثقال ونصف مثقال من الورد، يدق ويخمر بمثقال من سك مسك محلول بماء الورد، مرفوع على النار فيخمر به ليلة، ثم يسحق حتى يجف بالسحق وينخل بحريرة، ويعجن بزنبق سابوري مرتفع، ويدخن بمثلثة [قطعة من الند]، ثم يهضم بعود وكافور، ثم يفتق بها هو مناسب من المسك والعنبر، ويؤخذ له من دهن الخيري العراقي نصف

(*) نسبة إلى مدينة قم: م. س، 4/ 397.

(**) الدانق 1/ 12 من الدرهم. ينظر حول بعض الأوزان. النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 64 ـ 65.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 58 ـ 59.

رطل، ومن دهن الزعفران نصف رطل، ومن البان نصف رطل، ومن البان نصف رطل منشوش [مربب بالطيب]، وتجمع هذه الأدهان في إناء، وتبخر بالعود والكافور، ثم تخلط بالمعجون المبخر، ويضرب جيدًا، ويحفظ في القوارير، ويفتق بما هو مناسب من المسك والعنبر[1].

دُهن السَّيدة، ويتركب من الزنبق الرصافي المرتفع ثلاث أواقي، ومن دهن الورد الفارسي أوقية ونصف أوقية، ومن دهن الخيري [الخزامى] الخالص أوقية، تجمع هذه الأدهان الثلاثة في إناء واحد، ثم تأخذ لها من الهرنوة [شجر العود] وزن درهمين ونصف درهم، ومن القرنفل الزهر مثل ذلك ومن الكبابة [حب العروس] درهمين مثل ذلك، وبسباسة (جوز الطيب) درهمًا، وزعفران درهم، ومن الكافور ثلث مثقال، وتسحق الأفواه سحقًا جيدًا، وتعجن بقليل من الدهن، وتلطخ في باطن برنية، ويبخر الدهن بالعود والكافور، ثم يصب في البرنية على الفتاق المبخر [ما فتق من الدهن]، ويضرب به ضربًا جيدًا، وتطرح فيه ثلاثة قلوب من قلوب الأترج، وان قطرت فيه وزن نصف درهم من دهن الأترج أغناك عن قلوب الأترج، فإذا برد وجلس فيصفى الدهن، ويستعمل على انفراد، فيؤخذ ثفله ويعمل في غُمر [دواء مركب] الحمام، فإنه يكون عطرًا طيبًا[2].

دهن للمامون، ويركب هذا الدهن من خمسين درهمًا من الزنبق السابوري، ومن دهن الورد الفارسي الرفيع مثل ذلك، ومن دهن الخيري الرفيع مثله، وتجمع الأدهان الثلاثة في باطية أو قدح زجاج أو برنية رحبة الفم، ثم يؤخذ من الورد خمسة مثاقيل، ومن الصندل المقاصيري [نسبة إلى مقاصير] الأصفر خمسة مثاقيل، ومن القاقلة مثقال، ومن الكبابة [حب العروس] مثقال، ومن القرنفل مثقال، ويدق ذلك وينخل ويعجن بزنبق سابوري عجنًا يابسًا، ويبسط في باطية أو قدح زجاج أو برنية بسطًا رقيقًا، وتبخره بعود صنفي، وكافور رياحي، وسك مسك فائق ثلاثة أيام في كل

(1) النويري: نهاية الارب، 12/ 59.
(2) النويري: نهاية الارب، 12/ 60.

يوم ثلاث مرات بالغداة، وثلاث مرات أخرى بالعشي؛ فاذا أردت أن تصب عليه الدهن تبخّر أيضًا بنصف مثقال عود هندي، ونصف مثقال كافور رياحي، ونصف مثقال عنبر، تجمع ذلك جميعًا، وتقطع عليه من الزعفران الشعر زنة دانق تبخر بجميعها الأفاويه التي عجنت في برنية رحبة ضيقة الفم ثلاث تبخيرات، ثم تبخر الدهن على انفراد سبع مرات بالعود والكافور، ويصب على أثر تبخيرك للفتاق الممسك في البرنية، ويسد راسها، ويضرب الدهن فيها بالفتاق حتى ينحل به، ويمتزج، ويسد رأس البرنية على الدهن والثفل سدًا جيدًا حتى يبرد، ثم يفرغ الدهن في قدح، وتبخر البرنية، ويعد إليها الدهن باستمرار حتى ينفد ما أُعد للتبخير من العود والكافور والزعفران؛ فاذا فرغ ذلك تحل الأفاويه، ويرفع في قارورة ضيقة الفم، ويحكم سدها، ثم يصب على الثقل الذي صفي عنه الدهن من الزنبق السابوري ثلاثين درهمًا، ومن دهن الورد الفارسي مثل ذلك، ومن دهن الخيري الكوفي مثل ذلك؛ بعد أن تجمع هذه الأدهان الثلاثة ببرنية، وتبخرها بالعود والكافور حتى تشبع، ثم تصبها إذا برد بخورها على الثقل وتضربها [تخلطها بعضها ببعض] به ضربًا جيدًا، وتحركه تحريكًا جيدًا سبعة أيام في كل يوم ثلاث مرات، فإذا أردت رفعه ألقيت فيه زنة درهم من الزعفران المطحون، وزنة دانق ونصف دانق من الكافور الرياحي المسحوق، وزنة دانق من المسك المسحوق، وزنة درهم من العنبر المحلول على النار بشيء منه، وتضربه بذلك ضربًا جيدًا، ثم تصفى الدهن الثاني عن الثقل في قوارير، وتحكم سد رؤوسها، ويؤخذ الثقل ويستعمل لخالخ [ضرب من الطيب] فإنه نهاية[1].

دهن برمكي مبخر، ينسب إلى جعفر البرمكي[*] (ت 187هـ/

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 60 ـ 61.

(*) هو جعفر بن يحي بن خالد البرمكي، أبو الفضل وزير الرشيد العباسي، ولد ونشأ ببغداد (ت 187هـ/ 802م). ينظر: الزركلي: **الأعلام**، 2/ 130.

802م)، ويتركب من البان الرفيع ثلاثين درهمًا، ومن الزنبق السابوري مثله، ومن دهن الورد الفارسي مثله، ومن العود الهندي أوقية، ومن الصندل الأصفر أوقية، ومن جَوزِبُوا أوقية، ومن القرنفل الزهر أوقية، ومن الهرنوة أوقية، ومن البسباسة نصف أوقية، ومن السك المرتفع [الجيد النوع] الأول أوقية، ومن المسك ثلاثة مثاقيل [المثقال = درهم ونصف]، ومن العنبر مثقالان، تدق جميع الأفواه كل واحد على حدته، وتنخل بحريرة ويحل العنبر ببال الغالية، ويعجن به الجميع بعد ان يحل بزنبق سابوري عجنًا يابسًا، ويصير في برنية رحبة الجوف واسعة الفم، ويبسط فيها بسطًا رقيقًا، ويبخر يومًا بالقسط الحلو، ويوما بالعود الني [غير الناضج]، ويومًا بالصندل الأصفر، ويومًا بالزعفران، ويومًا بالسك الرفيع، ويومًا بالعود، ويومًا بالعود والكافور والعنبر، ثم يؤخذ من كل واحد منها نصف مثقال، ويقطع ويبخر؛ فاذا انتهى تبخره فصب الدهن عليه، وحركه فيه تحريكًا جيدًا، واتركه يومًا وليلة، ثم يصف الدهن عن الأثفال في برنية قد بخرتها بمثقال مسك ومثقال عنبر ونصف مثقال كافور رياحي، وسد رأسها سدًا جيدًا، فهذا الدهن البرمكي، ثم تأخذ بعد ذلك من الزنبق السابوري، ودهن الخيري الكوفي الرفيع، ودهن الورد الفارسي من كل واحد خمسين درهمًا، فتصب ذلك على الأثفال، وتضربها به بعد ان تبخرها بالعود والكافور سبع مرات، وتضرب الأثفال في قارورة نظيفة وصفِّه عنها، ويكون ذلك للخالخ والشعور، والدهن الثاني يلتحق بالأول، وهذا يقوم مقام الغالية(1).

دهن العباس الهاشمي، وهو من عمل للعباس بن محمد الهاشمي(*) (ت 186هـ/ 802م)، ويتركب من السنبل ثلاثة مثاقيل، ومثقال من

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 62 ـ 63.

(*) هو العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، أبو الفضل الهاشمي، أخو السفاح والمنصور (ت 186هـ/ 802م). الزركلي: **الأعلام**، 3/ 264.

القرنفل، وثلاثة مثاقيل من براية العود الهندي، ووزن نصف درهم بسباسة، ووزن دانقين قاقُلَّة، ومثلها من المحلب المقشر، تدق هذه الأصناف، وتنخل بمنخل صفيق [مسبوك النسج]، وتعجن بماء الورد الطيب، والزنبق الخالص، وتبخر بعود مطرًّى سبع مرات، ثم يترك حتى يبرد؛ فاذا برد فاقلبه قلبًا، ودخنه سبع مرات، ثم صب عليه رطلًا من الزنبق السابوري الخالص بعد تبخيره مفردًا بالعود والكافور، وحركه به فإذا اختلط فدعه يومًا وليلة حتى يجلس [يخلط ويجمد]، ثم صفِّه في قارورة جديدة مبخرة وأدهن منه متى أحببت[1].

دهن العنبر، ويركب بأخذ قارورة ضيقة الرأس، فيدهن باطنها بدهن، وتبخر بعنبر قوي الرائحة حتى تكمد وتسوَّد من دخان العنبر؛ فاذا اسودت، فصب فيها قدر ثلثيها من دهن الخيري المفتوق [المخلوط] بالمسك، واضرب الدهن في القارورة ضربًا جيدًا حتى يختلط به ذلك السواد الذي اكتسبته القارورة من دخان العنبر، ثم يستعمل فمن أحب تقويته حلَّ مثقالًا من العنبر بشيء يسير منه، ثم يضربه ضربًا جيدا[2].

دهن حب القطن، وثمة أدهان تستخدم لإصلاح الشعر، وتكثيره وتبسيطه وتسوده وتذهب ما به من الحاصة (تناثر الشعر)، وتطوله وتقوي اصوله؛ فمن ذلك دهن متخذ من حب القطن فانه يكثر الشعر ويسوده ويذهب الحاصة، ويصفي اللون فهو بالتالي طيب ودواء معًا. وطريقة تركيبه ان يؤخذ من لب حب القطن مقدار (2 من)، فيدق حتى يصير مثل مح البيضة، ويستخرج دهنه كما يستخرج دهن اللون فإذا حصلت على (من) من دهنه فيوضع في طنجير بِرام، ويؤخذ له من السنبل أوقية، ومن القرنفل نصف أوقية، ومن القاقلة أوقية، ومن المرزنجوش المجفف نصف أوقية، ومن الصندل الأصفر نصف أوقية، ومن القاقلة أوقية، ومن الورد الفارسي الأحمر أوقية، ومن برز الشاهسفرم (الريحان) نصف أوقية، ومن برز

(1) النويري: نهاية الأرب، 12/ 63.

(2) النويري: نهاية الأرب، 12/ 63.

الافرنجمشك (مسك الافرنج) نصف أوقية، ومن الزعفران نصف أوقية ومن الاذخِر (حلفاء مكة) أوقية، ومن السُّعد (ريحان القصارى) الكوفي المقشور ورد الأترج وورد النارنج ولب حب الأترج المقشر وبزر النمام وحب الآس الرطب، من كل واحد أوقية، ومن البلح الاحمر المنزوع النوى (البزر) إن كان رطبًا فأربع اواقٍ، وان كان يابسًا فأوقية، ومن الشير أملج (اللبن الحليب) الاسود بعد دقه ونخله ثلاث أواقٍ؛ تجمع وتصب عليها أيضًا من ماء الآس الأخضر رطلًا، ومن النضوح المعتق منًا، وتنقع ذلك يومين وليلتين، ثم يصب دهن حب القطن عليها وترفع على نار لينة، ويوقد تحتها برفق حتى ينشف الماء، وتدخل روائح الأفاويه في الدهن؛ فإذا انتهى إلى هذا الحد، فخذ من اللاذن (شجر له صمغ) الرطب نصف أوقية وحله على نار لينة بزنبق رصافي حتى يصير مثل الغالية، والق من الكافور سدس مثقال بعد سحقه، ومن المسك المسحوق قيراطين[*]، وان أحببت فسدس مثقال، واضربها جميعًا في اللاذن المحلول بالزنبق ضربًا جيدًا، ثم انزل الطنجير عن النار وغطّه بطبق ينطبق على رأسه، وان كان طبخه في قدر نحاس، فهو أجود وامكن للتغطية والق فوق الطبق خشبة، ودعه بقية يومه وليلته حتى يبرد الدهن ويصفو، ثم اقطعه عن الثفل، واجعله في اناء واسع واضرب فيه اللاذن المحلول والكافور والمسك ضربًا جيدًا حتى تخلط به، وان كان فاترًا، فهو اجود، ثم ارفعه في قوارير مبخرة، واحكم سدها ودعه حتى يختمر، ثم استعمله فانه في غاية الطيب والنفع[1].

دهن نوى المشمش، وهو دهن يجود الشعر ويكثره ويذهب الحاصة وينفع شعر الراس واللحية فهو بالتالي طيب ودواء معًا. ويجري تركيبه بعصر دهن نوى المشمش بمقدار (مَن) واحد، ويترك حتى يروق ويصفو،

(*) القيراط: قدره نصف دانق، أو 1/ 6 درهم، أو 1/ 24 دينار. وقيل القيراط عند الأطباء وزن أربع شعيرات، وهو حبة خرنوب شامي. ينظر: الحواشي في كتاب: النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 64 ـ 65.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 64 ـ 65.

ثم تأخذ له من المحلب الأبيض المقشور والقرنفل وسُك المسك والبنك (قشر عطري) والورد اليابس الاحمر والقاقلة والمرو الابيض (ريحان) والمرزنجوش (او المردكوش) المجفف والافرنجمشك المجفف والشاهسفرم المجفف والصندل الاصفر وورق الاترج المجفف وورد الياسمين المجفف والسنبل العصافير والهرنوة، من كل واحد أوقية تدق هذه الاصناف وتنخل نخلًا جرشًا (ناعمًا) وتعجن بماء ورد ونضوح عتيق في تور بِرام (قدر فخار) وتصب عليها من ماء الورد غمرها وزيادة اصبعين، فإن كان الثلثان ماء ورد والثلث نضوحًا كان اطيب وتترك فيه يومًا وليلة، فإذا اصبحت فالقه في طنجير برام وصب عليه ايضًا من ماء الورد والنضوح، وأوقد تحته حتى إذا استحق صببت الدهن عليه، واوقد تحت الطنجير وانت تحركه دائمًا تحريكًا شديدًا حتى ينشف ماء الورد والنضوح ويبقى الدهن وحده، فانزل الطنجير عن النار وصب عليه من ماء الآس الرطب الذي قد رششت عليه الماء ودققته وعصرته وروقته بخرقة رطلًا ونصف الرطل؛ ثم اعده إلى النار واوقد تحته حتى ينشف ماء الآس، ثم انزله والق فيه قيراطين من المسك المسحوق وثلاثة قراريط من الكافور المسحوق، وحركه تحريكًا جيدًا، ثم غطه واتركه بقية يومه وليلته حتى يبرد ويصفو، ثم صفِّه في القوارير وارفعه[(1)].

هذا ما جاء تركيبه في كتاب (العطر) الذي صنف خصوصًا للمعتصم، وأضاف إليه التميمي مصنف كتاب (جيب العروس)، كما روى ذلك النويري بقوله: وإن حللت فيه وهو حار نصف أوقية من اللاذن الرطب وفتفته به زاد طيبًا ونفعًا للشعر[(2)]. ثم استدرك عليه النويري بقوله: «وهذا الدهن صنعته أنا بالقاهرة في سنة خمس عشرة وسبعمائة في غاية الطيب والنفع»[(3)].

دهن آخر، وهو دهن يجوِّد الشعر ويطوِّله ويكثِّفه ويقوِّي اصوله،

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 65 ـ 66.
(2) م. س، 12/ 66.
(3) م. س، 12/ 66.

ويذهب بالحاصة وتركيبه يتكون من الإهليلج(*) الأسود والبليج(**) وشيرأمْلج(***) ونيلوْفر(****) أصفر وأحمر مجففًا، وخبث الحديد (ما لا خير فيه) من كل واحد نصف أوقية يدق ذلك وينخل ويسحق بماء الآس الاخضر ويربب (يغذى) حتى يصير عليه من ماء الآس نحو رطل، ثم يؤخذ من دهن الحَلّ (السمسم) الصافي الجيد رطلان، ومن ماء البئر ستة أرطال، ومن ماء ورق الآس رطل آخر؛ فيجمع ذلك في قدر أو طنجير، وتوقد تحته وقيدًا كينًا، وانت تحركه دائمًا بإسطام [المسعار] حديد صغير حتى تعلم أنَّ الماء قد نشف أو قارب أن ينشف، ثم تحل لذلك من اللاذن الرطب أوقية بأوقية دهن رازقي رصافي على نار هادئة، فإذا انحل فصبه في القدر على النار، واغله غلية حتى تعلم انه قد بلغ ونشف ماؤه، ثم برده وصفِ الدهن بخرقة حرير، واجعله في قارورة، وتدهن منه في كل مرة بوزن درهمين، فانه نافع لما وصف[1].

دهن فاغية الحناء، والفاغية، ثمر الحناء وهو من تركيبات كتاب (جيب العروس)، ويتركب بأخذ دهن الحل (السمسم) الطري المخلوع السمسم غير المملوح؛ وذلك بان يسلق سمسه بعد تقشيره وغسله وتجفيفه سلقة لينة، ويجفف على مسح (ثوب غليظ) في الشمس، ولا يقلى، فإن المقلوّ لا يقبل روائح الأزهار، ولا يملح في سلقه بملح، فإن الملح يقطع روائح الملح الطيب؛ فإذا أخذت الدهن فصيِّره في طنجير (اناء أو قدر حجارة فخار) وألق فيه من فاغية الحناء في أول يوم منًّا، وفي اليوم الثاني نصف منّ، ودرِّجه (كرر ذلك تنازليًا) في الأخذ حتى تتم الفاغية ثلاثة أمنان، ويسخن الدهن في كل يوم حتى يحمى حين تلقي عليه الفاغية، فإذا

(*) الإهليلج، وهو أربعة اصناف: هندي، وصيني، وكابلي.

(**) البليلج، ثمر هندي بحجم الزيتون.

(***) شير أملج، أي اللبن الأملج، يسمى في مصر (السنانير).

(****) نيلوفر، ويسمى بمصر (البشنين)، وهو نبات مائي له أصل كالجزر وساق ملساء.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 66 ـ 67.

كملت ثلاثة أمنان فاصبب عليه ماء الآس المصعد (المقطر) نصف منّ، ومنّ ماء الزعفران نصف منّ، ومنّ ماء الورد نصف منّ، ثم ارفعه على نار لينة حتى تنشف المياه عنه ويبقى الدهن؛ فإذا نشف الماء فانزله وغطّه بغطاء حتى يبرد، واستخرج ما فيه من فاغية بمصفاة، ثم اعصرها حتى يخرج ما فيها من الدهن بحريرة واوعية القوارير[1].

فاغية أخرى، وهذه من صنعه يوحنا (يحيى) بن ماسويه[*] (ت 243هـ/ 857م) ويتكون من دهن الحل (السمسم) الطري غير المملوح ثلاثة أرطال، فاجعلها في طنجير أو قدر حجارة، وخذ ذلك من فاغية الحناء وقلوبه (أي قلوب شجر الحناء) زنة (2 من)، وألقه فيه مفروكًا، وان كان يابسًا فدقه جريشًا، وصب عليه من الماء ثلاثة أرطال، وارفع الطنجير على نار لينة حتى يذهب الماء ويبقى الدهن، فارفعه في قوارير وهذا الدهن جيد لشعور النساء مصلح لها، جيد للتمريخ يستعمله الرجال والنساء[2]، فهو بالتالي طيب ودواء.

التضميخ، وهو تلطخ الجسد بالطيب، كما يفعلون عند خضاب الشعر واليدين والقدمين حتى يقطر، قال:

تضمخن بالجادي حتى كانما الـ أُنوف إذا استعرضتهُن رواعفُ[3]

ولعله على صلة بالميعة أو المائع من العطر[4]، لان التضميخ يعني ليونة الطيب، كما الخلوق وهو يشبه بالنضخ، وهو كاللطخ مما يبقى له أثر نضخ الثوب بالطيب[5]، وهو خاص بالثياب وليس بالجسد، وكانت العرب تستخدم ذلك حين التبرك بالأصنام والأوثان؛ ففي حلف الطيبين أخرجت

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 67 ـ 68.

(*) ابن ماسويه الخوزي (الاحوازي) له كتاب (الجواهر وصفاتها). النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 68 (الحاشية).

(2) م. س، 12/ 68.

(3) الفراهيدي: **العين**، مادة (ضمخ).

(4) الفراهيدي: **العين**، مادة (ميع).

(5) الفراهيدي: **العين**، مادة (ضمخ)

بنو عبد مناف ومن صار معهم جفنة مملوءة طيبًا، فوضعوها حول الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم فسموا المطيبين[1].

وكان النبي ﷺ يتطيب حتى يصبغ الطيب رداءه من موضع رأسه، وحتى يرى وميض المسك من مفرقه وحتى يعرف مجيئه بطيب رائحته من بعيد قبل ان يرى وكان يقول اطيب الطيب المسك، وكان لا يعرض عليه طيب إلا تطيب منه، وكان يلبس الملحفة المصبوغة بالزعفران والورس[2].

وذكر جحظة البرمكي في كتابه عن (العطر) قال: كان سبب حدوث مروحة الخشب ان هارون الرشيد دخل يومًا على اخته علية بنت المهدي في قيظ شديد فألفاها قد صبغت ثيابًا بزعفران وصندل ونشرتها لتجف، فجلس هارون بمقربة من تلك الثياب فتحمل منها ريحًا بليلة عطرة فوجد ذلك راحة من الحر واستطابة، فامر ان يصنع له في مجلسه مثله فكثر واستعمله الناس[3].

وكان زي الظريفات في الطيب الذي ليس للرجال فيه نصيب استعمال اللخالخ، والصندل والصياح، والقرنفل، والساهرية، والادقال، والمعجونات، والزعفران، والخلوق، وماء الخلوق، والكافور، وماء الكافور، والمثلثة الخزائنية، والبرمكية السلطانية، وسائر صنوف الادهان من البنفسج، والزنبق، والبان، إلا انهن اجتنبن استعمال التُّرشُتام. والرجال لا يستعملون شيئًا من ذلك، والنساء يستعملن جميع طيب الظرفاء، والظرفاء لا يستعملون شيئًا من طيب النساء[4].

الخلوق، وهو ضرب من الطيب، يتخذ من الزعفران وغيره وتغلب

(1) ابن سعد: الطبقات، 1/ 77.
(2) اليعقوبي: **التاريخ**، 2/ 77
(3) التيفاشي: **سرور النفس**، 228.
(4) الوشاء: **الموشى**، 186 ـ 187.

عليه الحمرة والصفرة[1]؛ قال عبد الرحمن بن مسافع:

وان انتم لم تثاروا باخيكم فكونوا نساء للخلوق وللكحلِ
وبيعوا الرَّدينيات بالحُليّ واقعدوا على الذُّلّ وابتاعوا المغازل بالنبل[2]

وقال منصور بن مسلم بن أبي الخُرجين يتشوق إلى حلب:

هل العوجاء الغمر صاف لوارد؟ وهل خضبتهُ بالخلوق مدودُ[3]

وقال شاعر آخر:

كاد شيديز أن يُحمحم لما خُلِّق الوجه منه الزعفران[4]

قال عبيدالله بن الحر الجعفي:

فمن يك أمسى الزعفران خلوقه فإن خلوقي مستثار السنابك[5]

وقال البحتري:

أرخَن علينا الليل وهو مُمسكٌ، وصبّحنا بالصُّبح وهو مخلَّقُ[6]

وقال محمد بن نمير الثقفي مشيرًا إلى الخلوق، وهو خليط من الزعفران والمسك:

تشربه لون النقافي بياضه أو الزعفران خالط المسك ادرعه[7]

واجتنب الظرفاء ماء الخلوق، لأنه طيب النساء، والغالية إذ هي من طيب الصبيان، ولا يستعملون شيئًا من الطيب الذَّفر (الحاد الرائحة)؛ مما يبدو له لون ويبقى له اثر؛ وفي ذلك حديث مأثور عن النبي ﷺ قوله:

(1) الزبيدي: **التاج**، مادة (خلق).
(2) الأصفهاني: **الاغاني**، 21/ 56.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 102.
(4) م. س، 3/ 370.
(5) القيسي: **شعراء امويون**، 1/ 110
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 295.
(7) القيسي: **شعراء امويون**، 3/ 130.

طيب الرجال ما ظهر رائحته[1] قال الشاعر:

اذا مضغت بعد امتناعٍ من الكرى أنابيب من عود الاراك المخلّق
سقتْ شعن المسواكِ ماء غَمامةٍ فضيضًا بجادي العِراق المروقِ

(بعد امتناع)، بعد ارتفاع، و(المخلق) الذي علق به الخلوق والطيب من يدها[2].

الخضاب، وهو الحناء الذي يخضب به[3] وفي الحديث: أربع سنن من سنن المرسلين النكاح، السواك والتعطر والحناء[4]، وروي ان زوج النبي ﷺ دخلت فأخرجت شعرًا من رسول الله ﷺ مخضوبًا بالحناء والكتم[5]. وقالت الزرقاء بنت عدي بن غالب في حرب صفين: إلا ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء[6]؛ مما يشير إلى علاقة الخضاب بالشهادة والحروب في سبيل الدين. قال النبي ﷺ: عليكم بالحناء فانه خضاب الإسلام[7]، ولم يشتد برسول الله الشيب، ولكن ابا بكر رضي الله عنه خضب بالحناء والكتم [وهو نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه] وخضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحناء[8]. وفي الخضاب قال الشاعر:

وان حلفت ان ليس ينقض عهدها فليس لمخضوب البنان يمين[9]

ويقال: ثَمغَ لحيته في الخضاب، أي غمسها، وانشدوا:

(1) الوشاء: **الموشى**، 183.
(2) أبو أحمد العسكري: **المصون**، 88.
(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (خصب).
(4) ابن القيم: **الطب النبوي**، 196.
(5) الطبري: **تاريخ**، 3/ 182.
(6) الآبي: **نثر الدر**، 4/ 80.
(7) الثعالبي: **ثمار القلوب**، 62.
(8) الطبري: **تاريخ**، 3/ 182.
(9) ابن القيم: **أخبار النساء**، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1964م)، 145.

❁ ولـحـيـة تـثـمـغ فـي خـلـوقـهـا ❁

وثمغ الثوب يثمغه ثمغًا، اشبع صبغه، قال الشاعر:

تركتُ بني الغُزّيل غير فخرٍ كأنَّ لحاهم ثُمِغت بِوَرْس[1]

وقال أبو زيد الطائي[*] يتشوق إلى الوليد بن عقبة[**]:

اذا صادفوا دوني الوليد كأنما يرون بوادي ذي حماس مُزَعفرا

خضيبُ بنانٍ ما يزال براكب يخُبُّ وضاحي جلده قد تقشَّرا[2]

ويعد الخضاب من الأدوية التي تسرع في إنبات الشعر وتحسين لونه[3]، ومن انواعه التي يختلط بها الخضاب بالطيب:

1 ـ دواء لإنبات الشعر تكون صناعته بسحق الزجاج الزعفراني كالغبار، ثم يعاد إلى السحق أيضًا مع دهن الزنبق، ويطلى فيه الموضع[4]؛ فهو دواء وخضاب.

2 ـ صبغ وخضاب لمدة سنة، ويركب بأخذ نصف رطل زيت طيب يوضع في طاجن (اناء) على النار حتى يغلي ويطرح فيه نصف أوقية حب ياسمين وتحركه وهو يغلي حتى يخترق حب الياسمين، ثم يرفع عن النار ويوضع في قارورة، ثم تضاف إليه نصف أوقية برادة حديد، يترك فيها أربعة أيام، ثم يدهن به الشعر مرتين أو ثلاثة[5].

---

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (ثمغ).

(*) شاعر معروف من العصر الاموي (ت نحو 62 هـ/ 682م) ياقوت: **معجم الادباء**، 4/ 107.

(**) شاعر من قريش من العصر الاموي (ت61هـ/ 680م) البلاذري: **انساب الأشراف**، 1/ 301.

(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 5/ 128.

(3) ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان (ت 940هـ/ 1533م): رجوع الشيخ إلى صباه في القوة والباه، ضمن كتاب **الجنس عند العرب**، ج2 (دار الجمل، كولونيا، 1997م)، 73.

(4) م. س، 2/ 85.

(5) م.س، 2/ 85.

وثمة ادوية تطيب رائحة البدن والثياب للمرأة بشكل خاص، وهي من الطيب تصنع وتركب بطريقة تقترب من صنع الخضاب، ومنها:

1 ـ طلاء يطيب رائحة البدن، ويتكون من نمّام ونعنع ومزرنطش، وورق التفاح من كل واحد كف، يغمر بالماء قدر أربعة أصابع، ثم يطبخ حتى ينقص الثلث، ويصفى ويطلى به البدن فيطيب رائحته[1].

2 ـ دواء آخر، يتكون من آس مرزنحوش وسعد وقشور أترج وورقة وأشنة وصندل، من كل واحد جزء يسحق الجميع ويرفع، والقليل منه يستخدم بدهن آس أو بدهن ورد أو ماء فاتر، يمرخ به البدن[2].

3 ـ قرص يقطع الصفان، ويتركب من صندل وسليخة ومسك وسنبل وشب ومر وورد أحمر من كل واحدة زهرة توتيا ومرداسنج، من كل واحد ثلاثة أجزاء، ومن الكافور نصف جزء يجمع الكل ويسحق ويعجن بماء الورد ويقرص، ويجفف ثم يستعمل بعد التجفيف[3].

4 ـ لطوخ يقطع رائحة العرق، ويركب من ورد وسعد ومسك وشب من كل واحد جزء، يدق الجميع ناعمًا ويداف بماء الورد، ويستعمل لطوخًا جيدًا[4].

5 ـ دواء يذهب رائحة الإبط، ويتركب من رأس مجفف وزن طويل محرق الدلب محروقًا وقرطاس مخرق، ونوى الزيتون محرقًا، وزجاج زعفران محرقًا، وزعفران من كل واحد جزء يسحق الجميع ناعمًا مثل الكحل ويعجن بالماء المعتصر من الآس، ويحبب ويجفف في الظل، ثم يشرط به ذلك الموضع والدم يخرج منه، ويترك عليه يومًا وليلة، ثم يغسل فإنه لا تعود له رائحة الصنان أبدًا[5].

---

(1) م. س، 2/ 85.
(2) م.س، 2/ 85.
(3) م.س، 2/ 85 ـ 86.
(4) م.س، 2/ 86.
(5) م.س، 2/ 86.

6 ـ ثلاثة اجزاء ومن الكافور نصف جزء يجمع الكل ويسحق ويعجن بماء الورد ويقرص ويجفف ثم يستعمل بعد التجفيف[1].

البخورات، البخور من المواد الثمينة ذات السعر العالي، في تجارة ذلك الوقت، وهو ما يتبخر به، وكانوا يحرقونه في المباخر والمعابد والأصنام، كما كانوا يبخرون الضيوف ويطيبون ثيابهم[2].

والبخور الرائحة المتغيرة في الفم، والبخراء عشبة تشبه نبات الكُشْنَى، ولها حب، مثل حبة سوداء، سميت بذلك لأنها إذا أُكلت أبخرت الفم، فقالوا تبخر بالطيب ونحوه، والبخور (بالفتح) ما يتبخر به، ويقال: بخّر علينا من بخور العود، أي طيّب[3].

وكانت العرب توقد نار القِرى للأضياف حتى يروها، وفي اماكن مرتفعة، وبعضهم يوقدها بالمندل، وهو عطر ينسب إلى مندل، بلد في الهند مما يتبخر به ونحوه، ليهتدي إليها العميان الذين لا يرون النار، وربما كان جزءًا من تقليد سحري، له صلة بعلاقة النار بالعطور في ديانات العرب القديمة، وهذه النار أجل سائر النيران[4]. قال الشاعر عباسي في البخور:

اتيناهُ فبخَّرنا بخورًا ... من السَّعف المدخنِ للثيابِ

فردَّ عليه شاعر آخر:

ظننت جلوسي عنده لعرس ... فجِدتُ لهُ بتمسيكِ الثيابِ[5]

والكباء، ضرب من العود الذي يتبخر به، جمعه كبى، وقد وصفه الشعراء في أشعارهم، قال أحدهم:

---

(1) م.س، 2/ 585 ـ 86.

(2) جواد علي: **المفصل**، 7/ 182.

(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (بخر).

(4) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 2/ 61.

(5) ابن خلكان: **الوفيات**، 5/ 379.

يَكْتبَينَ اليَنجُوجَ في كُبةِ المشـ ـتى، وبُلْـةُ أحلامهنَّ وِسام[1]

والمهضومة، ضرب من الطيب يخلط بالمسك والبان، والاهتضام ضرب من البخور، قال شاعر:

كأنَّ ريح خزاماها وخَنوُتها بالليلِ ريح يلنجوج واهضام

وقال آخر:

كأنَّ ريح جوفهِ المزبور في الخشب تحت الهُدب اليخضور

مثواهُ عطارين بالعطور أهضامِها والمسك والقفورُ[2]

أما **الجامر**، فالجمر النار المتقدة واحدته جمرة؛ فإذا برد فهو فحم[3]. والجامر هو البخور، أو العطر الذي به إلى النار، وأجمر يعني أنه بخر، وأجمر عمر بن أبي ربيعة بيته حينما حجَّت بنت لمحمد بن الاشعث بعد أن راسلته وواعدته ان تزوره[4]. قال محمد يسير في ذلك:

فياخذ من شعوري ويصلح لحيتي ومن بعد حمَّام وطيب وجامر[5]

والمجمرة، هي التي يوضع فيها الجمر مع الدُّخنة، وهي التي تدخن بها الثياب، وأنشدوا:

لا يصطلي النار الاً مجمَّرا أرِجا وقد كسَّرت من يَلنجوُج له وقَصا

وفي الحديث: «ومجامرهم الألُوَّة وبخورهم العود الهندي غير مُطرَّي» وفي الحديث أيضًا: «إذا أجمرتم الميت فجمّروه ثلاثًا»؛ أي إذا بخرتموه بالطيب[6]. قال في ذلك عمر بن أبي ربيعة:

أتاني كتاب لم يرَ الناسُ مثلَه أمِدَّ بكافورٍ ومسكٍ وعَنْبرِ

كتاب بِسُكٍّ حالكٍ وبصفرةٍ ومسكٍ صُهابيٍّ يُعلُّ بمجمرِ

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (كبا).
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (هضم)؛ ابن منظور: **اللسان**، مادة (هضم).
(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (جمر).
(4) الأصفهاني: **الاغاني**، 1/ 97.
(5) م.س14، / 20.
(6) ابن منظور: **اللسان**، مادة (جمر).

وقرطاسية قوهيّة، ورباطه يعقد من الياقوتِ صافٍ وجوهرِ
على تبرةٍ مسبوكةٍ هي طينة وفي نقشه: تفديكَ نفسي ومعشري[1]

وقال شاعر مشيرًا إلى المجامر:

أينَ الظِّباءُ الأبكار في روضة الـ ـملكِ تهادى بها غرائِرها
أينَ غضاراتها ولذَّتها وأين مَحبُورُها ومجامِرها
بالمسك والعنبر اليمانِ والـ ـموشى محطوطة مزامِرها[2]

ووصف الصابي(*) مدخنة، فقال:

ومحرورة الأحشاءِ تحسب أنها متيمَّةٌ تشكو من الحبِّ تَبريحا
تُناجيك نجوى يسمعُ الأنفُ وحيها وتجعله الأذن السميعةُ إذ يُوحى
إذا استودعت سِرًّا من الطِّيب مُجمرا اشاعهُ تفصيلاً وافشته مشروحا
يُحرِّق فيها النَّدَّ عودًا وبداةً فتاخذهُ جسمًا وتبعثه روحا[3]

القلائد، **القلادة**، ما جعل في العنق، للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تُهدى ونحوها[4]، وكان بعض العرب يتقلد قلادة من (إذخِر)، وهو نبات زكي الرائحة[5]، وتستخدم القلائد للتطيب والزينة، ومن قلائد الطيوب:

السخاب: قلادة تتخذ من قرنفل وسك ومحلب، ليس فيها من الجوهر شيء[6]، قال الشاعر:

(1) ديوانه، 150.
(2) الطبري: **تاريخ**، 8/ 450.
(*) الصابئ، إبراهيم بن هلال، أديب شاعر (ت384هـ/ 994). ياقوت: **معجم الأدباء**، 1/ 324
(3) ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 393.
(4) ابن منظور: **اللسان**، مادة (قلد).
(5) جواد علي: **المفصل**، 6/ 308.
(6) الفراهيدي: **العين**، مادة (سخب).

وإنّا لنلهو بالسّيوف كما لَهت عروس بعقدٍ أو سخاب قُرنفل[1]

مما يشير إلى ان قلادة السخاب تستخدمها العروس لإدامة استمرار الطيب في جيدها وردائها.

النباح: مناقف صغار بيض تحمل من مكة، تجعل كالقلائد والوشح[2].

اليسر: ضرب من الشجر يكون شديد السَّواد، طيب الرائحة ينظم في سلك ليلعب به، وتتخذ منه السبح[3].

المحلب: شجر له حبّ يجعل في الطيب، ويسمى ذلك الطيب المحلبية[4]، يستخرج من حبة العطر الذي يستخدم في صناعة القلائد[5].

النضوحات، وفي اللغة نضح الماء رشه، جاء في الحديث: «المدينة كالكير تنفي خبثها وتنضح طيبه»[6]. ويراد بها ـ هنا ـ النضوحات التي تدخل في أصناف الطيب[7]، منها:

نضوح التمر: ويتركب من التمر المنقى من أقماعه، المنزوع النوى زنة عشرين رطلًا، فينقع في الماء يومًا وليلة، ثم يطبخ في قدر نحاس مؤنَّكة (مطلية بالقصدير)، فإذا تضج التمر يصفى عنه الماء من غير أن يمرس أو يمس، ثم يؤخذ من الآس الغض الطري المخروط (المقطع) من عيدانه رطلان، فيدق دقًا جريشا، ويعجن بشيء من ماء التمر، ويبخر بقُسط مُرٍّ وبُراية عود وصندل واظفار خمسة أيام، في كل يوم ثلاث مرات بالغداة، وثلاثًا بالعشي، ويقلب حتى ياخذ روائح البخور ثم دفه بشيء من

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 39.
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (بنح).
(3) الرصافي: **الآلة والأداة**، 439.
(4) ابن منظور: **اللسان**، مادة (حلب).
(5) العلي: **التزيق والحلي**، 82.
(6) ابن منظور: **اللسان**، مادة (نضح).
(7) النويري: **نهاية الأرب**، 25/ 69.

ماء التمر والق عليه وارفعه على النار حتى يذهب من الماء النصف، ثم صفه براووق (وعاء) واتركه حتى يغلي، فإذا غلى وهدأ غليانه، فخذ له من السنبل والافلنجة[*] والقرنفل والقرفة والهال والكَبابة (حب العروس) والقاقلة، من كل واحد ثلاثة دراهم، ودق هذه الأصناف دقًا، ويضاف إليها من الزعفران نصف درهم، وتعجن بشيء من النضوح، وتبسط في باطية (وعاء زجاجي كبير) أو قدح، وبخرها بالقسط الطيب والعود والكافور، ثم اضربها به ضربًا جيدًا، وطَّن رأس الظرف، ولا تفتحه إلا بعد ثلاثة أشهر[1].

نضوح للشرب: ويتركب من عصير العنب مائة رطل، فيغلى حتى تظهر رغوته ويتوقف فإذا صفا يلقى عليه ثلاثة أرطال من ورق الآس، وعشرون حبة من التفاح الشامي، وعشرون حبة من السفرجل الممسوح من زغبه، وثلاثة أرطال من قشور الأترج الأخضر، ثم يطبخ على النار حتى يبقى منه النصف، ويترك حتى يبرد، ثم يودع في أوانٍ زجاجية، وتدق الأفاويه الحارة الوافرة، وتعجن بشيء منه ويبخرها بالقسط الطيب والعود والكافور، واضربها به وبشيء من الكادي (شجر هندي) ويلقى به مثقال من دهن الاترج ويطيب ويستعمل بعد تعتيقه[2]. وبعضهم ينقص النصف، ولم يزد عليه، ومن يريده للطيب فهو كافٍ؛ أما من يريده للشرب فلا بدَّ ان يغليه حتى يبقى منه الثلث، ولا يجوز استعماله بأقل من ذلك[3].

تقطير ماء الجوري، ويسمى ماء الجورين، وهو الذي يصنع للخلفاء، ويتركب من ماء الورد الجوري خمسة أرطال، تجعل في زجاجة

(*) الأفلنجة، أو الفلنجية، وهي حب هندي، نباته له ورق كورق اللوز طوله نحو ذراع، وزهره أبيض يخلف غلافًا داخله كأنّه الخردل، لكنه شديد الحمرة حاد الرائحة، مر الطعم. الانطاكي: **التذكرة**، 1/ 75 ـ 95.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 69 ـ 70.

(2) م.س، 12/ 70.

(3) م. س، 12/ 71.

ويطرح عليها من العود الطيب الهندي أوقية بعد دقة دق الجريش، ثم يغطى فم الزجاجة، ويلف بملحفة نظيفة ويترك خمسة أيام، ثم يؤخذ رطلان من الماء، ويطرح فيهما من الزعفران الشعر خمسة دراهم، وجوزوا درهمان، ويجمع الجميع في إناء التقطير، ويترك مسدود الفم يومًا وليلة، ثم تجعل في قرن التقطير ويوقد تحتها وقود معتدل بنار حطب لا دخان لها؛ فإذا بدا الماء يقطر فتقطع عنه النار ساعة، ويحضر له قيراط مسك وآخر عنبر وحبتا كافور، ويكون ذلك مسحوقًا، ويضاف إليه ويسد فم الإناء، ويعاد إلى النار؛ فإذا بدا الماء يقطر فيغلق باب الفرن، فإذا تغير لون الماء من الأبيض إلى الأصفر، فارفع الأول في قارورة، واغلق رأسها بالشمع، واجمع الأصفر في قارورة ثانية؛ فإذا تغير إلى الحمرة فارفع القارورة الثانية، واجعله في القارورة الثالثة فانه يقطر احمر، فإذا فتر التقطير فارفع الماء الثالث، واجعل كل ماء على حدة[1].

تقطير ماء الصندل، فيحضر من الصندل المقاصيري الأصفر بوزن أوقيتين، تنقعان في رطل ونصف رطل من الماء المشروب يومًا وليلة، ثم يصعد (أي يقطر) مثل الماء الجورين (الجوري)، وان كان من ماء الورد فهو أبلغ، وكذلك تصعيد العود يكون قد طحنا قبل نقعها[2].

تقطير ماء القرنفل، يحضر من زهر القرنفل الذكي الحرِّيف أوقية، يدق وينخل، ويضاف إليه زنة دانق من الكافور المسحوق، ويحل بمن ونصف من من ماء الورد، ويضرب (يعجن) به، ويترك يومًا وليلة، ثم يقطَّر، كما في ماء الجورين (الجوري)[3].

تقطير ماء السنبل، ويحضر من السنبل العصافير الأحمر بوزن أوقيتين، يدق ويعجن بماء الورد وماء النَّمام (النعناع)، ويترك ليلة مخمَّرًا،

(1) م. س، 12/ 7. وهو من مبتكرات الزهراوي.
(2) م. س، 12/ 71.
(3) م. س، 12/ 72. ينظر: 12/ 71.

ثم يضاف إليه في الغد منٌّ من ماء الورد، ويضرب (يعجن) به ضربًا جيدًا، ثم يقطر على نار لينة كما تقدم[1].

تقطير ماء الكافور، ويحضر من الكافور الرياحي بوزن مثقالين، يسحقان سحقًا جيدًا، ثم يصب عليهما رطل أو رطلان من ماء الورد، حسب الحاجة، ويضرب به ضربًا جيدًا شديدًا، حتى يصير أبيض، ثم طَيِّن له قرعة بطين الحكمة (الخالص)، وتفقدها ثلاثة أيام حتى لا يبقى طينها شقًا، ثم تنصب على الأتون، ويصب فيها الماء الذي ضرب به الكافور، ويركب عليها الإبنيق[*]، ويوقد تحتها بنار فحم لينة حتى يتقطر، فانه يصعد منه ماء كافور يفوق كل طيب، ثم يثنى بماء ورد بغير كافور، فيأتي ماء كافور دون الأول[2].

تقطير ماء الزعفران، وهو من صناعة يحيى بن ماسويه، ويحضَّر من رطل زعفران مسحوق، ورطلين من الماء، ويترك يومًا وليلة، ثم يضرب (يعجن) بالغداة، ويحرك باليد، ويدلك دلكًا جيدًا، ثم يصفًّى بخرقة رقيقة، ويجعل الماء في إناء (قرعة)، ويقطر (يصعد)، وبعضهم يصفيه ويقطره بثفله[3].

وثمة نوع آخر استنبطه التميمي مصنف كتاب (جيب العروس)، يحضر من الزعفران الشعر قدر أوقيتين، فيجعل في برنية زجاج، ويصب عليه منٌّ من ماء الورد، ويسد رأسها، ويترك يومًا، ثم يسحق له من القرنفل الزهر مثقال، ومن الكافور، ويضربان (يعجنان) به ضربًا جيدًا، ثم يصعد (يقطر) بإناء (قرعة)، والأنبيق على الماء، فانه يخرج منه ماء عجيب في الطيب، ثم يثنّى بالماء القراح، فيخرج منه ثان دون الأول[4].

(1) م. س، 12/ 72.
(*) إناء لصنع ماء الورد وغيره، لغرض التقطير.
(2) م. س، 12/ 72.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 73.
(4) م.س، 12/ 73.

الغبخ، وهو تقطير (تصعيد) ماء الورد الطيب، ويحضر من ورق الورد الطري الأحمر، ويسحق لكل رطل منه نصف درهم جوزُبوا، ونصف درهم من القرنفل الزهر، ومن المسك قيراط، ومن الكافور نصف قيراط، ويذر على ورق الورد بعد أن يرش عليه ماء ورد جوري، ويجعل في قرع (إناء) التقطير في كل قرعة رطلان؛ ويركب عليها الأنبيق، ويستقطر بخار الماء، فإذا قطر من الرطلين ربع رطل عزل ذلك الماء الأول، ثم تركب على القرعة قابلة أخرى، ويستقطر فيها ما بقي في الورق من الماء، وهو نحو ربع رطل أو اكثر، ويرفع على نوعين: أول وثان، واحكم سد رؤوس القوارير، وإن أردت أن تأمن عليه التعفن (فساد الماء)، وان يصفو، فاسحق لكل منٍّ من ماء الورد قدر حبتين(*) من النوشادر(**) المعدني، وألق فيه قبل سدِّ رأس القارورة، فانه يصفيه وإن جمعت الماء الأول في إناء، وألقيت النوشادر فيه وتركته، ثم وضعته في قوارير كان أجود، ثم تصنع بالثاني مثل ذلك[1].

ماء ورد آخر، وهو من مبتكرات التميمي مصنف كتاب (جيب العروس) وتحضيره يكون بأخذ الورد الفارسي الجيد، ثم ينقى من أقماعه وينقع منه رطل واحد في ماء الورد الجوري مقدار (2 منّ) يومين وليلتين، وفي برانيِّ مسدودة الرؤوس، ثم يصب عليه من الماء العذب أربعة أمثال وزنه، ويسحق له من الكافور مثقال، ومن القرنفل ثلاثة دراهم، ومن المسك قيراطان، ويضرب (يعجن) ذلك به ثم يقسم في قرعتين أو ثلاث، وذلك قبل إلقاء الكافور والقرنفل، ثم يلقى في كل قرعة من الفتاق حقها، وتضرب ما فيها من الورد والماء ضربًا جيدًا، ويركب عليها الأنبيق، ويستقطر ماؤه فانه يأتي منه ماء ورد لا بعده في الطيب، ثم تصب على

(*) الحبة تساوي سدس سدس المثقال.

(**) النوشادر، ضربان: معدني ومصنوع، فالأول يحصل عليه من جبال سمرقند وغيرها. م. س، 12/ 73 ـ 74.

(1) م. س، 2/ 73 ـ 74.

الثفل ماءً ثانيًا، نحو ثلاثة أرطال وتستقطره، فانه يخرج منه ماء ورد ثانٍ لاحق بالأول[1].

ماء ورد ملوكي، ويستقطر هذا النوع من حب السمسم المربى (المشبّع) بالمسك، فيسحق مع شيء من الكافور على صلاية (مدق الطيب)، ويجعل لكل عشرة مثاقيل من حب السمسم زنة دانق (سدس الدرهم) من الكافور، ويجعل منه كل قرعة مثقالان مخلوطان بورق الورد الاحمر العربي، ثم يستقطر القرنفل أو نصف درهم، يخرج ماء عجيب حسن الرائحة عبقا[2].

تقطير ماء المسك وماء الورد، وهو من مبتكرات التميمي مصنف كتاب (جيب العروس)، ويكون بأخذ دانق مسك ورطل من ماء الورد الجوري بالبغدادي، ويسحق المسك ويضرب (يعجن) بماء الورد، ويترك فيه ساعة، ثم يجعل في قرعة، ويركب على رأسها الأنبيق، ويقطر على هبال الماء؛ فانه يطلع منه ماء مسك لا بعده، ومن أحب الزيادة والنقصان فعل، ويصعد على أثره ماء ورد يغير مسك، فإنه يأتي ماء مسك دون الماء الأول[3].

تقطير الخلوق، والخلوق نوع من الطيب يحصل عليه من الزعفران[4]، ويركب من جوزبوا وبسباية (بقل طيب الريح) وسُك، من كل واحد أوقية ونصف أوقية كافور، وأوقية قرنفل وسنبل وقاقلة، وكبابة من كل واحد نصف أوقية، وأوقية زعفران، وتدق هذه الأصناف، وتحل بماء الورد، وتبخر بالعود والكافور في يوم وليلة خمس عشرة مرة، ويكون العود والكافور سواء في التجزئة، ثم تلقى على ذلك من ماء الورد عشرة أرطال،

(1) م. س، 12/ 73 ـ 74.
(2) م. س، 12/ 74.
(3) م. س، 12/ 74.
(4) ابن منظور: **اللسان**، مادة (خلق).

ويجعل في قرعة التقطير ويوقد تحته بنار فحم لينة حتى يصعد (يقطر) جميع الماء ويبقى الثفل، فإن اردت ان تزيده ماء آخر على الثفل، ويقطر (يصعد) ثانيًا، فافعل ويرفع كل ماء على حده[1].

تقطير خلوق آخر، ويركب من القرنفل والسنبل والهَرنُوة والصندل والزعفران، من كل واحد جزء، ومن الورد الأحمر المنزوع الأقماع جزء، يدق الجميع وينخل ويعجن بالزنبق، ويبخر بقسط مر وحلو وظفر (جمعه اظفار) ولاذن (أو لادن شجر عطري له صمغ)، ثلاثة أيام ويقلب بين كل ثلاث تبخيرات، ثم يبخر بعود وكافور ثلاثة أيام، ثم يفتق بجوزبوا بسبابة وسُك مسك، وعود لكل رطلين منه نصف أوقية من جميع الفتاق ودرهمان من الكافور الرياحي، ومثقال دهن البلسان، ويحل بماء الورد حتى يصير كالحساء، ويوضع في قرعة التقطير ويستقطر، ثم يخرج وفيه نداوة بعد أن يثّنى بماء ورد آخر، ويجعل تقله في اللخالخ[2].

تقطير ماء الخلوق، ويركب من عشرة دراهم زعفران، ومن القاقلة والصندل وحب العروس (الكبابة)، والقرنفل والمحلب من كل واحد وزن درهمين، وسنبل وقرفة (نوع من الدارصيني) ومصطكاء (شجر البطم)، وجوزوا من كل واحد وزن درهم، ومثل الزعفران وسائر هذه الأفاويه من الورد الفارسي الاحمر؛ يدق الجميع، وينخل، ويعجن بعسل نحل صاف منزوع الرغوة، مضروب بالنضوح المعتق، ويبخر بقسط وظفر حتى يشبع، ثم بعود وكافور ثلاثة أيام، ثم بزعفران وكافور ثلاثة أيام، ثم يؤخذ من الريحان الغصن الأخضر أربعة وعشرين (درهمًا)، فتدق وتعجن بصفو النضوج، ويبخر الريحان بقسط وظفر، ويخمَّر ليلة، ثم يخلط بالخلوق، ويضرب به ضربًا جيدًا، وتقطر عليه قطرات من دهن البلسان أو دهن الكادي، ويسحق من الكافور الرياحي مثقال فيعجن به، ويضرب به ضربًا

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 75. وهو من مستحضرات الزهراوي.

(2) م. س، 12 / 76.

جيدًا، ويحل جميع ذلك بـ (2 من) من ماء الورد، ومثلهما من ماء النمّام والمقطر، ثم يقطر على ما تقدم[1].

صنعة مَيْسُوس، ويركب من القسط المر، وقصب الذريرة (نبات هندي)، والساذج (سادة) الهندي، والقرنفل الزهر، وقشور عيدان السليخة (نبات عطري) الحمراء، والبسباسة الذكية والأنشنة (شيبة العجوز) الهندية واليمانية بعيدانها من كل واحد ست أواق، ومن السنبل العصافير أوقيتان، ومن الميعة (شجر يشبه التفاح) السائلة الحمراء أو البيضاء ست أواقٍ، ومن دهن البلسان ست أواقٍ، ومن الزعفران القُمي المسحوق خمس أواقٍ، ومن المسك خمسة مثاقيل، تدق الأصناف اليابسة، وتطحن، ويسحق المسك والزعفران سحقًا ناعمًا، ويضافان (يخلطان) بالطلاء الريحاني (نوع من الخمر) الذكي، وتحل الميعة بدهن البلسان، ويصب على الجميع من غسل النحل ست أواقٍ، ويضرب (يعجن) بالأصناف ضربًا جيدًا، وهو حار ويداف ذلك بالطلاء الريحاني، وتعجن به الأفواه عجنًا جيدًا، ثم يؤخذ من ورد السوسن الأبيض الطري ثمانمائة وردة عددًا، فتقطع أصول ورقها بالأظفار، ويمسح من الصُّفرة التي تكون في داخله بخرقة ناعمة كتان جديدة، ثم تفرش الورق في إناء راقًا (جانبًا) من الورق، وراقًا من الأدوية حتى تأتي على السوسن والأدوية، ثم تصب ذلك من الطلاء الذكي خمسة وعشرين رطلًا بالبغدادي، وتغطي الإناء بغطاء ينطبق عليه، وتستوثق منه، ويطين بطين حري مخلوط بشعر العنز المدقوق المنخول، ويرفع في بيت كنين (مستور) في ظل مما يواجه ريح الشمال، ويترك ستة أشهر، ثم يفتح ويصفى في القوارير، فانه ينفع من الإغماء الشديد، وفرط الغثيان، والقيء، والاستطلاق (الاسهال)، والهزال، وضعف الطبائع، ومن الغم الشديد، وضعف المعدة والكبد، وينفع أحيانًا في الضمادات، وتعصب به المفاصل، ويوضع من على قرطاس وتضمد به المعدة[2]، فهو بالتالي طيب ونضوح ودواء.

(1) م. س، 12/ 76 ـ 77.

(2) م. س، 12/ 77 ـ 87.

ميسوس آخر، ويتركب من السوسن (الريحان) الأبيض بقدر (400 سوسنة)، يقطع ورقها وتمسح الصفرة التي داخلها، ويبسط على ثوب جديد، وينثر عليه الملح الأندراني[*]، ويجفف في الظل، ثم يؤخذ له من القسط المر والساذج (السادة) الهندي، والحمامي (نوع من السليخة) الحمراء، وقشور عيدان السليخة الحمراء والقرنفل وقصب الذريرة الطيبة من كل واحد أوقيتان ومن المصطكاء (شجر كالبطم)، وسنبل الطيب والعود الهندي من كل واحد أوقية، ومن الزعفران نصف أوقية، ومن الميعة الحمراء السائلة ودهن البلسان من كل واحد أربع أواقٍ، ومن المسك أربعة مثاقيل، تدق هذه الأصناف جريشًا، وتنعم سحق المسك والزعفران، ويجمعان بالميعة السائلة ودهن البلسان، وتصب على ذلك أربع اواقٍ من عسل النحل، ويعجن به الزعفران والمسك عجنًا جيدًا، ثم يحل بالطلاء (الخمر الخالص) ويعرك، وتأخذ برنية من زجاج واسعة الرأس كبيرة، فتبسط فيها راقًا (جانبا) من ورق السوسن، وراقًا من الاخلاط حتى ينتهي ذلك، ثم يصب عليه من الطلاء الجيد العتيق الذكر الرائحة الذي لم يوضع في الشمس عشرون رطلًا، ويصب عليه بعد ذلك الزعفران والمسك المدافان بدهن البلسان، والميعة والعسل المحلول بالطلاء فوق رأس البرنية بالطين الحر (الحري)، والشعر وتبين الكتان، ويجعل البرنية في طاق (نافذة) يلي ريح الشمال، ولا تجعلها تستقبل استقبالًا، بل تترك منحرفة عنها أدنى انحراف، ويترك ستة أشهر ثم يستعمل[1]. وبعض الحكماء يزيد فيه كبابة وفلنجة وزرنبادًا (الزنجبيل الزرنبادي) من كل واحد أوقيتين[2].

نضوح التفاح، ويصنع من التفاح الشامي الجيد السالم من العفن والتشنج (التقبُّض) خمسمائة حبة (تفاحة) فتمسح، ثم تشقق كل تفاحة أربعة أقسام، ويلقى ما فيها من الحب وما يجاوره، ثم تقطع صغارًا في مراكن

(*) لعله منسوب إلى أندرين التي نسب اليها الخمر. ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 260.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 78 ـ 79.

(2) م. س، 12/ 80.

(أوعية) خضر، ثم تدق دقًا جيدًا في هاون حجارة، ثم تعصر في كرباسة (إناء خاص بالخمر) نظيفة طيبة الريح مبخرة، ثم تدق مرة ثانية، وتعتصر حتى لا يبقى فيها شيء من الماء ثم يروّق (يصفّى)، ويصب في تور حجارة، أو طنجر (إناء) حجارة، ويطبخ بنار فحم لينة من فحم كرم جزل؛ فاذا ذهب الماء أقل من الثلث، فاطرح فيه قرنفلًا صحيحًا، وقطعًا من صندل أصفر دقاقًا، ويغلى بهما حتى ينقص الثلث وزيادة يسيرة، ثم أرفق بالنار حتى يبلغ نقصه النصف، ثم أنزله عن النار، ودعه حتى يبرد، ثم صفه واعده إلى الطنجر، واخرج الصندل والقرنفل منه، وأوقد تحته برفق، فإذا أغلي ثانية فاطرح فيه عودًا مرضوضًا (مطحونًا)، مثل رض الخشخاش (الأفيون)، أو أجل منه قليلًا، واغله به حتى يذهب ثلث ما بقي وزيادة، فيكون نقصه وزيادة فيكون نقصه عن اصله قد زاد عن ثلثيه، ثم اطرح فيه من السُّك المرتفع سُك الغالية، ولا تكثر تحته النار إلا بقدر ما يغلي غليانًا رفيقًا؛ فإذا رأيته قد انعقد وصار مثل الخلوق (ليس بخاثر) فانزله عن النار، واتركه في الإناء يومًا وليلة، ثم خذ قارورة ليست بالواسعة الرأس ولا بالضيقة قدر ما تدخلها اليد، فبخرها بسبع قطع عود مخمر وندٍّ وقطع عنبر، ثم صف ذلك الماء وصبه فيها وسد رأسها ما استطعت بخرقة وطينة، ثم اتركه ثلاثة أيام حتى إذا كان اليوم الثالث، فاسحق له لكل رطل من الماء مثقالًا من مسك، ومثقالًا من عنبر شحري مُداف (مخلوط أو مذاب) واضرب (أعجن) ذلك بالماء ضربًا، وحرك القارورة سبعة أيام، واتركها شهرًا واستعمله[1].

عقيد ماء التفاح، والعقيد ما غلظ من السائل، وهو من مستحضرات أبي الحسن المصري[*]، ويتركب من عصير ماء التفاح ـ كما تقدم ـ ثم يجعل في طنجر بِرام أو بُرمة (قدر من حجر) بعد ترويقه وتصفيته، ويطبخ على النار حتى يذهب منه النصف والربع، ثم ينزل عن النار ويبرد،

(1) م. س، 12/ 80 ـ 81.

(*) هو علي بن رضوان المصري الطبيب (ت نحو460هـ/ 1067م) ينظر ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 5/ 69.

ويسحق لكل رطل منه وزن نصف درهم من القرنفل الزهر وحبتا مسك وحبتا كافور سحقًا جيدًا، وتضرب به (يعجن به) ويجعل في آنية زجاج ويحكم سد رأسها، ويرفع إلى وقت الحاجة إليه[1].

نضوح ماء التفاح، وهو من مستحضرات التميمي مصنف كتاب (جيب العروس) وتركيبته أن تأخذ خمسمائة حبة من التفاح الشامي البالغ النضج، وتعصر ماءها ـ على ما تقدم سابقًا ـ وترفعه على النار على قدر نحاس مؤنَّكة (مطلية بالقصدير)، وتوقد تحته حتى تنشف (تنفصل) عن رغوته، فإذا تشققت فالقطها عنه حتى يصفو وينصقل وجهه، ثم خذ له من العود الجيد والسنبل العصافير والقرنفل الزهر والقاقلة والهال والهرنوة والقرفة والجوزة (جوز الطيب، الجوزبوا) من كل واحد وزن درهم، يدق ذلك دقًا جريشًا، وينخل بمنخل شعر واسع، ويشد في خرقة شرب (أي يشرب بها الماء) فيها عنه فضل، وتدلى بخيط في قدر ماء التفاح، ويغلى عليها، وتمرس الخرقة ساعة بعد ساعة حتى تخرج قوة الأفواه (الطيب) في ماء التفاح، ولاتزال توقد تحته وقيدًا لينًا، حتى يذهب نصف الماء وربعه؛ فاذا بقي الربع فانزله عن النار واعتصر الخرقة فيه، ثم اخرجها وجفف ما فيها من أثقال الأفواه، فإنها تصلح للضمادات التي تصلح المعدة، فإن فتر ماء التفاح فاسحق له من المسك مثقالاً، ومن الكافور نصف مثقال، ومن سك المسك مثقالاً، ومن الزعفران المطحون نصف مثقال، واجمع ذلك في زبدية (صحفة من فخار)، وصب عليه من مطبوخ ماء التفاح ما تعجنه به، ثم أذبه حتى يصير مثل الخلوق، ثم صبه فيه واضربه به ضربًا جيدًا، واجعله في ظروف وأحكم سدها[2]

ماء العنب المطيب، وهو الأطياب التي اهتم بها التميمي مصنف كتاب (جيب العروس)، ويتكون من عصير العنب الأسود زقان أو ثلاثة، فتصبه في إناء وتتركه يومين، ثم (يبرِّد) في إناء آخر حتى يصفو، ويجعل

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 81.
(2) م. س، 21/ 81 ـ 82.

في طنجير برام، وتوقد تحته بنار لينة، وانزع رغوته فإذا صفا، فخذ له من الزَّرنب (نبات طيب الرائحة)، والفلنجة (جوزبوا) من كل واحد أوقية واجعلها في خرقة شرب خفيفة، وتشد وتعلق في الطنجير، ويطبخ وهي فيه، وتمرس ساعة بعد ساعة حتى يذهب من ماء العنب النصف، ثم انزله عن النار وبرده يومًا وليلة، ثم روقه (برده)، وخذ له من المسك مثقالين، ومن الكافور الرياحي مثقالًا ونصف مثقال، ومن الزعفران نصف أوقية، ومن العود المسحوق المنخول نصف أوقية، ثم يجمع في زبدية، ويحل بشيء من العصير المطبوخ، ثم يصب فيه ويعجن جيدًا، ويوضع في قوارير، وسد رؤوسها، ويكون أقل الامتلاء، فانه يغلي ويفور، وينبغي ان يحرك كل يوم تحريكًا شديدًا إلى ان يسكن ويستخدم بعد شهور[1].

ماء عنب مطيب آخر، ويتركب من العنب الأبيض الكثير الماء بعد أن يعصر في إناء نظيف، ويجعل الماء في طنجير، ويوقد تحته وقود لين حتى تصفو رغوته، ويدق له قرفة قرنفل وسنبل دقًا ناعمًا، ويلقى فيه وهو على النار بعد أن ينقص نصفه، ثم يغلى عليه ساعة، وينزل ويترك حتى يبرد يومًا وليلة، ثم يصفى براووق (مصفاة)، ويجعل في إناء غضار (فخار)، ويفتق بمسك وكافور رياحي وعود مطحون، فإن كان في زَمر الجر، فيخرج بالليل إلى صحن مغطى، ويرد بالنهار إلى موضعٍ باردٍ كنين (مستور)، ولا يترك في مكان نَدٍ (عرضه للأنداد)، ثم يسد ويطيَّن حتى يصبح صالحًا للاستعمال[2].

وللتميمي مصنف كتاب (جيب العروس) تركيب مشابه له، ويختلف عنه بكثرة الأفاويه وقلتها، وأحيانًا ينقص أكثر من النصف، ويعيد أن تفارقه النشأة مطلقًا، إذا لم يزد عن النصف، فمن أراد أن يستعمله على الوجه المباح عند اكثرهم فانه يغليه حتى لا يبقى منه إلا دون الثلث[3].

صفة الحندقوق، وهو شراب طبي تدخل بعض الطيوب والعطورات

(1) م. س، 12/ 82.
(2) م. س، 12/ 83.
(3) م. س، 12/ 83.

في تحضيره، ويتكون من عسل منزوع الرغوة ثلاثة أمناء كيلًا، وتلقي عليه شرابًا صافيًا جيد الجوهر، وهو الأصيل أو جمهوري عشرة أمناء ونصف كيلًا، وتصير فيه زنجبيلًا وزن خمسة دراهم، وقرنفلًا وزن دانق، ودار فلفل وزن دانق ونصف غير مسحوق وزن درهم، ويسحق سحقًا جريشًا ما خلا الزفران، فانه يترك صحيحًا ثلاثة أيام في موضع دفيء، ويحرك في كل يوم ثلاث مرات، وبعد ذلك يصفى تصفية جيدة، ويُصيَّر فيه من المسك المسحوق وزن دانق ونصف، ويرفع في ظرف زجاج، ثم يستعمل[1].

(1) ابن المعتز، عبد الله بن المعتز العباسي (ت 296هـ/ 908م): **فصول التماثيل في تباشير السرور**، تح مكي السيد جاسم ومحمد مكي السيد جاسم (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م)، 114 ـ 115.

الفصل الثالث

تجارة العطور

توطئة

التجارة لغة، من تجر يتجر تجرًا تجارة؛ اي باع وشرى، والقائم بها يسمى (تاجرًا) جمعه (تجار)، قال الأخطل مشيرًا إلى علاقة التجارة بالعطر:

كأن فارة مسك غار تاجرها حتى اشتراها بأغلى بيعه التُّجرُ

والتجر: اسم للجمع[1].

ويعتبر العطار تاجرًا، لكنه يختص ببيع العطور وما يشبهها؛ فقد كان أبو طالب بن عبد المطلب عطارًا[2]، وكان نضر بن الحارث عطارًا، وأُمية بن خلف، كان عطارًا فكثر ماله، وكان عبدالله بن جدعان عطارًا، وكانت سمرة بن جندل عطارة[3]، وكذلك كانت أسماء بنت مخربة أم جهل تبيع العطور. قال كعب بن زهير:

وهم إذا انقلبوا كأن ثيابَهم منها تضوّ فارة العَطّار

يريد انهم إذا انقلبوا من الحرب ـ أي رجعوا ـ لهم روائح كروائح

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (تجر).

(2) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ/ 819م): **مثالب العرب والعجم**، تح محمد حسن الدجيلي (دار الاندلس، بيروت، النجف، 1430/ 2009م)، 48؛ الثعالبي: **لطائف المعارف**، 127. ينظر تراجم هؤلاء في المثالب: ص48.

(3) ابن الكلبي: **مثالب العرب**، 48. وينظر حول النضر، 57.

المسك[1]. وهذا يشير إلى ان لقب العطار ظهر مبكرًا، وان ظهور هذه المهنة كان مبكرًا، وليس في زمن الوليد بن عبد الملك[2]. ومن المحتمل أن التخصص في المهن لم يكن فاصلًا، لأنه من الممكن أن يبيع العطار بعض المواد الأُخرى القريبة من مهنته، وخصوصًا بعض المواد الطبية التي يجري تصنيعها بطريقة صناعة العطر، وهي في الغالب نباتية، كما هي الحال مع عطاري زماننا من باعة العطور والبهارات والاعشاب الطبية والاحجار الكريمة، وما شاكل ذلك؛ وهذا لا يعني ان مهنة العطار تأخر ظهورها حتى العصر الأموي.

ووصف عمار بن ياسر ﷺ العطار بالجليس الصالح، فقال: «مثل الجليس الصالح مثل العطار، إلا تجد من عطره، يصل اليك ريحه. ومثل الجليس السوء مثل الكير، إن لم يحرقك بناره أصابك من نشره ونتن ريحه»[3].

وتداولت العرب في أمثالها العطار، فقالوا: لا يصلح العطار ما أفسد الدهر؛ في اشارة إلى حركة الزمن والميزات الجمالية التي لا يستطيع الإنسان أن يعوضها بالعطور؛ حتى أن رجلًا وصف امرأته بانها كانت تحتال على ميرة أهلها لإصلاح شأنها، فقال:

عجوز ترجى أن تكون فتيةً وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار ميرة أهلها ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر[4]

واقترنت فأرة المسك بالتاجر الذي يجلبها، ويتداول بيعها في العصر الجاهلي، قال عنترة بن شداد:

(1) كعب بن زهير: **ديوانه**، 29.
(2) البلاذري: **فتوح البلدان**، تح صلاح الدين المنجد (دمشق، 1956م)، 7 2 3، 419؛ الشيخلي، صباح إبراهيم: **الأصناف في العصر العباسي، نشأتها وتطورها** (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1979)، 131.
(3) البلاذري: **انساب الاشراف**، 1/ 162؛ ابن منظور: **اللسان**، مادة (حذا).
(4) ابن طيفور: بلاغات النساء، ضمن كتاب **الجنس عند العرب**، 3/ 131.

وكـــــان فارة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم[1]

وفي العصر الأموي ثمة اشارة إلى علاقة فأرة المسك بالتجارة، وأسعار بيعها، كما قال الأخطل:

كان فارة مسك غالى تاجرها حتى اشتراها باغلى سعرها التجر[2]

وفي العصر العباسي أصبح للعطارين سوق خاص، عدة دكاكينه ثلاثة وأربعون دكانًا في الجانب الشرقي من بغداد[3].

نبذة تاريخية

يعد الزيت المصنوع من البخور مادة مهمة اقتصاديًا، لذا كان مادة مهمة في الجزية التي يفرضها الغزاة على العرب، حتى أن الرومان حاولوا احتلال جزيرة العرب للاستيلاء على ثرواتها التي اشتهرت بها، ومنها البخور والأفاويه[4]. كما كان التجار العرب يفدون إلى غزة في القرن الخامس الميلادي للاتجار، ولنقل البضائع اليونانية والرومانية إلى جزيرة العرب، وكذلك جزيرة (سقطرة) لجلب البخور والصبر والصمغ[5]، لاستخدامها في المعابد، وخصوصًا البخور الذي يستخدم في الأعياد والشعائر الدينية، ثم تبيع الفائض أو ترسله مع القوافل لبيعه في الخارج، وكان أكثر الكهان من البيوتات الكبيرة ومن كبار الأغنياء[6]؛ فقد كان تجار سبأ يتاجرون بأفخر أنواع الطيب مع فلسطين نحو سنة 950ق.م[7]. كما كان البخور في عهد مملكة معين يستخدم للأعياد والشعائر الدينية فكان

(1) **ديوانه**، 13.
(2) **ديوانه**، 252.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 212؛ مصطفى جواد وأحمد سوسة: **دليل خارطة بغداد**، 300.
(4) جواد علي: **المفصل**، 2/ 14، 34 ـ 53.
(5) م. س، 2/ 20، 388.
(6) م. س، 2/ 88.
(7) م. س، 2/ 206.

يخزن في خزائن المعبد، ثم يباع الفائض عبر القوافل التي تعود محملة بأثمانه، وقد أظهرت الكتابات المعينية التي عثر عليها بمصر إلى وجود تجارة لاستيراد البخور للمعابد المصرية في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، انسجامًا مع حركة التجارة التي انتعشت بين مملكة معين والعالم الشرقي بين عامي 350 ـ 50 ق.م، وقيل حتى سنة 600 ق.م[1]. واستولى الرومان في حروبهم ضد دولة الأنباط[*] على ما وقع في أيديهم من البخور والتوابل والطيب والفضة[2].

الصفقة

كانت العرب إذا تبايعوا فاتفقوا على البيع بالأيدي أو تصافقوا بأيمانهم؛ ولذلك قالوا: أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر، ثم سموا الحلف يمينًا على ذلك[3]. لذا سموا البيع صفقةً، وهو نوع من الطقس السحري الذي يرتبط بقصائدهم في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نهى عن الصفق والتصفير، لأنهما من المكان والتصدية[4]، قال الراجز:

أَخسِر بها صفقةً لم تستقل تبت يدًا صافقها ماذا فعل[5]

يعد العطر من البضائع المهمة في التجارة، وفي الصفقات التجارية، إذ مازالت لفظة صفقة مستعملة إلى الآن، ويوم الصفقة يوم معروف من أيام العرب انفذ عامل الفرس في اليمن لطيمة [تجارة عطر] إلى كسرى

(1) جواد علي، **المفصل**، 62 ـ 63، 88.

(*) مملكة عربية ثقافتها آرامية كانت في القرنين الأول والثاني للميلاد. م. س، 3/ 5 ـ 8.

(2) م.س، 3/ 15.

(3) النيجرمي، إبراهيم بن عبد الله (ت نحو 355هـ/ 966م): **أيمان العرب** (مط السلفية، القاهرة، 1334هـ)، 29.

(4) ابن منظور: **اللسان**، مادة، (صفق).

(5) الزبيدي: **التاج**، مادة، (تبب).

أبرويز(*) في خفارة هوذة بن علي الحنفي(**)؛ فلما قربوا الطرق خرجت إليهم بنو تميم، وفيهم ناجية بن عفان، فاخذوا اللطيمة بموضع يقال له (نَطاع)، فأرسل إليهم كسرى جيشًا، وكان ذلك في حصن المشقر(***)، فكان الرجل من بني تميم يدخل الحصن فيجرد من سلاحه، ويقتل ولم يدرِ به صحبه، حتى نُذر أحد بني تميم بذلك، فأخذ سيفه وقاتل به حتى نجا، فأصفق الباب على باقيهم فقتلوا فيه؛ لذلك سمي يوم الصفقة[1]. قال الأعشى يمدح هوذة بن علي الحنفي، ويهجو الفرس:

سائل تميمًا به أيام صفقـــــهم	لما أتوه أسارى كلهم ضرَعا
وسط المشقَّر في عيطاء مُظلمةٍ	لا يستطيعون فيها ثَمَّ ممتنعا
لو أطعموا المن والسلوى مكانهم	ما أبصر الناس طعمًا فيهم نجعا
بظلمهم، بنطاع، الملك ضاحية،	فقد حسوا بعدُ من أنفاسهم جرعا
أصابهم من عقاب الملك طائفة	كلّ تميمٍ بما في نفسه جُدعا[2]

ويقال: إن التجار إذا اشترى بعضهم من بعض تماسحوا بالأكف، أي أن البيع وجب[3]، وكان بيعهم الملامسة والهمهمة، وفي الإيماء يومن بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يكلمون حتى يتراضوا إيماءً، وأما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشتري أنه قد بدا له[4].

(*) أحد ملوك فارس. ينظر: الإحالات التالية.

(**) ينظر حول ترجمته موضع نطاع: ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 291.

(***) من أرض البحرين. الأصفهاني: **الأغاني**، 17/ 240.

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 16/ 17، 255/ 237؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 413 ـ 414؛ ابن الأثير: **الكامل**، 1/ 555؛ جواد علي: **المفصل**، 3/ 217.

(2) الأعشى: **شرح ديوانه**، 111 ـ 112.

(3) الأنباري، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 328هـ/ 939م): **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تح عبد السلام محمد هارون (دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1969م)، 31.

(4) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت 245هـ/ 859م): **المُحبَّر**، تحقيق ايليزه ليختن شتيتر (المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت)، 265.

اللطيمة

اللطيم واللطيمة: المسك، وقيل: كل طيب يحمل على الصدغ من الملطم الذي هو الخد وقيل: وعاء المسك أو سوقة، وقيل: كل سوف يجلب إليها ما يؤكل من حر الطيب والمتاع عِير الميرة[1]. قال ذو الرمة:

كـأنّـه بـيـت عـطـار يـضـمـنـه لطائم المسك يحويها وتنتهبُ[2]

واللطيمة هنا، هي الإبل التي تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك[3]. قال عبيد بن الابرص[*]:

كأنَّ الصَّبا جاءت بريحِ لطيمةٍ من المسك لا يسطاع بالثمن الغالي
وريـح خـزامـى مـن مُـذاب روضـةٍ جَلادٍ مَنها سار من المُرنِ هطال[4]

وقال امرؤ القيس:

اذا قـامـتـا تـضـوَّع الـمـسـك مـنـهـمـا برائحة من اللطيمة والقُطـر
كـأنَّ الـتـجـار أصـعـدوا بـسـبـيـئـةٍ من الخصِّ حتى أنزلوها على يسر[5]

وقال الشاعر جران العود النميري[**]:

وبـتـنـا كـأنَّـا بـيَّـتـنـا لـطـيـمـةٌ من المسك أو خَوّارة الريح قَرْقَفُ[6]

---

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (لطم)؛ ابن منظور **لسان العرب**، مادة (لطم).

(2) **ديوانه**، 1/ 85.

(3) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (285هـ/ 899م): **الكامل في اللغة والأدب**، ج2 (دار المعرفة، بيروت، د.ت)، 11.

(*) عبيد بن الأبرص الاسدي (ت555م) شاعر جاهلي هجا امرأ القيس في صراعه مع بني اسد، وعاصر دولة كندة، ترجمته: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 1/ 187.

(4) عبيد بن الأبرص (ت555م): **ديوانه**، تحقيق تشارل ليال، تقديم كرم البستاني (دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، 1384هـ/ 1964م)، 119.

(5) امرؤ القيس بن حجر (ت565م): **ديوانه**، (دار صادر، بيروت، د.ت)، 99.

(**) الحارث بن عامر النميري، شاعر مخضرم. بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، 1/ 116، 59.

(6) جران العود، الحارث بن عامر النميري: **ديوانه**، تح نوري حمودي القيسي (وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، 1982م)، 61.

وكان النعمان بن المنذر يبعث كل عام لطيمةً للتجارة إلى سوق عكاظ تباع له هناك، فدفع اللطيمة إلى عروة الرحال، فحصلت بسبب ذلك معركة معروفة. وعندما أجار عروة الرحال[1] لطيمة لكسرى قتله البرَّاض بن عتبة بن جعفر بن كلاب الكناني[*]؛ وسبب ذلك أن النعمان بن المنذر جهز لطيمة له فتنافس البَّراض مع عروة على إجارتها، فلما قُتِل عروة، فقال البَّراض في ذلك:

وداهيةٍ يُهال الناس منها شددت لها بني بكر ضلوعي
هتكت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالي بالضُّروعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ أفلَّ فخر كالجذعِ الصريعِ[2]

واللطيمة متصلة بالصفقة، لأنها قافلة العطر، والصفق يتعلق بالتجارة بشكل عام، وكان يوم الصفقة بسبب لطيمة لكسرى محملة بالمسك والعنبر والجوهر وغيره[3].

اسواق العطر

السوق، من سَوق الإبل وغيرها، يسوقها سوقًا سياقًا[4]. وأصبح فيما بعد المكان الذي تباع فيه البضائع، وكان للعرب في الجاهلية ثلاث

---

(1) ابن الاثير: **الكامل** 1/ 528 ـ 529.

(*) هو عمرو بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة، ينظر: ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ/ 859م): **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام**، تح عبدالسلام هارون، ضمن نوادر المخطوطات، ج2 (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1374هـ/ 1954م)، 241؛ الجاحظ: **البيان والتبيين**، تح عبد السلام هارون، ج1 (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1367هـ/ 1948م)، 132.

(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 64 ـ 65.

(3) ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/ 949م): **العقد الفريد**، ج5 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/ 949م)، 217.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سوق).

عشرة سوقًا[1]؛ مما يشير إلى كثرتها وأهميتها، ولعل لرحلة الشتاء والصيف التي كانت تقوم بها قريش علاقة حيوية بذلك، كما جاء في التنزيل ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[2]، وسميت قريش بذلك لأنهم كسابون بتجارتهم وضربهم في البلاد[3]، وقيل سميت بذلك من التقرش[4]. اشتقاقًا من القرش والتجارة. لقد كانت مكة مركزًا تجاريًا مهمًا بسبب موقعها الجغرافي، ومكانتها الدينية، وتوافد العرب عليها للحج والاعتمار والتجارة، وقضاء بعض المصالح الأخرى كالاحتكام إلى حكامها وسادتها. والسوق هي المحل الذي يتسوق منه، وهي أما سوق ثابتة طوال أيام السنة يبيع فيها الباعة، ويقصدها التجار للشراء، وأما موسمية تقصد في مواسم معينة، وإذا انتهى الموسم رفعت، وكذلك يقال للسوق القسيمة[5]. أما الأسواق الثابتة، فهي في القرى والمدن والمستوطنات أو بين الحضر، ويجلس الباعة الكبار في حوانيت وهي الدكاكين، يبيعون فيها سلعهم التي توضع فيها، ولها ابواب، فإذا انتهوا من البيع أغلقوها ليعودوا إليها في اليوم الثاني، وكذلك يقال للحانوت (المبيعة)[6].

سوق مكة[*]: ، لمكة أهمية دينية وحضارية في حياة العرب، فكانت العرب تتوافد إليها في مواسم الحج والعمرة وغيرها؛ فيشترون منها

---

(1) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد (ت241هـ/ 855م): **الأزمنة والأمكنة**، ج2 (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت)، 161.

(2) سورة قريش، الآيتان: 1 ـ 2.

(3) الزمخشري: محمود بن عمر الخوارزمي (ت538هـ/ 1144م): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل**، تح عبد الرزاق المهدي، ج1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، 87.

(4) ابن منظور: **اللسان**، مادة (قرش).

(5) الفيروزآبادي: **القاموس**، مادة (قسم)؛ الزبيدي: **التاج**، مادة (قسم)؛ جواد علي: **المفصل**، 7/ 281.

(6) جواد علي: **المفصل**، 7/ 281.

(*) بيت الله الحرام، وبكة اسم البيت. ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 181.

الطيب وما يشبه ذلك؛ فقد كان النّباح يحمل من مكة، وهو مناقف صغار تجعل في القلائد والوُشح[1]. وكان أهل هجر في سوق المشقر يتخفرون بقريش لأنها لا تُؤتى إلا في بلاد مضر[2]. ونتيجة للتنافس بين مكة والطائف فإن أهل الطائف نجحوا في استقطاب القوافل من اليمن إلى الحيرة عبر الطائف بعد أن استولى الفرس على اليمن؛ فكانت لطائم ملوك الحيرة تذهب إلى اليمن وتعود منها من طريق الطائف[3].

وكان العطارون في دار يعلى بن منبه التي كانت في فناء المسجد الحرام، وكانت مما يلي دار بني شيبة دخلت في المسجد الحرام[4] سنة 161هـ/ 777م؛ مما يعني أنَّ مكة كانت كثيرة الأسواق حتى تخصص العطارون في سوق خاص بهم، كما كان لها سوق للحناطين[5]، وكان هاشم بن عبد المطلب[*] تاجرًا، له تجارة مع بلاد الشام، وزعموا أنَّه أول من سن الرحلتين (رحلة الشتاء والصيف)[6]. ولعل شهرة مكة بعطورها إنما جاءت من العطور المستوردة التي تأتي إليها من اليمن، ومن أماكن أُخرى[7]. فقد كانت أسماء بنت مخرَّبة (أُم أبي جهل) تبيع العطر الذي يرسل إليها من اليمن، كما كانت تصنع العطور في القوارير وتزنها، وتبيع نقدًا أو دينًا، فإذا باعت نقدًا كتبت مقدار الدين في كتاب، وكانت ترسله إلى ابنها عياش بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فكانت تبيعه للأُعطية، وهي القائلة:

اليوم يبدو بعضه أو كلهُ   وما بدا منه فلا أُحِلهُ

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (نبح).
(2) ابن حبيب: **المحبر**، 265.
(3) جواد علي: **المفصل**، 4/ 115.
(4) الازرقي: **أخبار مكة**، 2/ 248.
(5) م. س 2/ 294.
(*) ترجمته: الطبري: **تاريخ**، 2/ 252.
(6) الطبري: **تاريخ**، 2/ 252.
(7) جواد علي: **المفصل**، 7/ 26

كم لبيب عاقلة يضله ... وناظر ينظر ما أعله

وهذا ما روته الربيع بنت معوذ[1]. قال المجنون:

فحسبتَ مكّةَ والمشاعر كلَّها ... وجبالها باتت بمسكٍ تَنفخُ[2]

ومن اشهر العطارين في مكة، كما يقال عطارة اسمها منشم، وهي امرأة عطارة من حمير أو همذان، إذا تطيبوا بطيبها اشتدت الحرب بينهم، فصارت مثلًا؛ وقيل: المشم حَبُّ من العطر الصغار شاق المدق[3]، وفي ذلك يقول الأعشى:

أراني وعَمرًا بيننا دق منشم ... فلم يبق إلا أن أُجنَّ ويَكلبا[4]

ويقال: النشم شجر الجبال تعمل منه القسي، وليس هذا منشم (بفتح الشين) للعطر[5] في قول زهير:

تداركتما عبسًا وذيبانَ بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشَمِ

مشيرًا إلى منشم العطارة التي اشترى قوم منها جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا، وجعلوا آية الحلف غسلهم أيديهم على قتاله، فقتلوا عن آخرهم؛ فضرب العرب بعطرها المثل[6]. لذا جاء في المثل: (أشأم من منشم)؛ فلما كثر هذا القول سار مثلًا، فتمثل به الشعراء من أمثال الأعشى وزهير بن أبي سلمى. وقيل انها عطارة بمكة، وكانت خزاعة وجرهم إذا ارادوا القتال تطيبوا من طيبها، وإذا فعلوا كثرت القتلى فيما بينهم، فقالوا: (أشأم من عطر منشم)، قال الأعشى:

فدع ذا ولكن لا ترى قول كاشحٍ ... يرى بيننا من جهله دق منشم[7]

---

(1) ابن سعد: **الطبقات**، 8/ 3؛ جواد علي: **المفصل**، 7/ 26.
(2) **ديوانه**، 123.
(3) الفراهيدي: **العين**، مادة (منشم).
(4) **ديوانه**، 12.
(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 210.
(6) الانباري: **شرح المعلقات**، 107.
(7) الأصمعي: **الأمثال**، 19.

وسبب انتعاش سوق مكة هو الصراع الروماني/ الفارسي فقد كان الطريق بين العراق والشام مفضلًا، وكانت أكثر تجارة الشمال والجنوب تهبط فيها، وكانت قوافلها تجوب الصحراء العربية إلى الجنوب في اليمن وحضرموت، والى الشرق في الحيرة، والى الشمال حيث تذهب إلى بُصرى في الشام، والى غزة ومصر[1].

سوق عكاظ، وعكاظ لفظ يشير إلى تعكظ الدواب أو حبسها حين ينظرون إلى انفسهم، وهو سوق من أسواق العرب بأعلى نجد، وكانوا يتاجرون به ويتفاخرون فيها وكانت القبائل تجتمع بعكاظ في كل سنة فيحضر شعراؤهم ويتناشدون[2]، فأصبح سوقًا مشهورة وكانت بها المنابر في الجاهلية، يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام إلى عام[3]، وكان بيعهم فيها السِّرار فإذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل من يريد الشراء، ولا يريده فله الشركة في الربح[4]. قال الشاعر:

نبئت أوسًا يكن ذا قرن إذا شربا   على عكاظ بكاءً عالٍ مجهودي[5]

ومن المحتمل أن العطور، كانت متداولة في هذه السوق.

سوق دومة الجندل، سوق تقع فيما بين الشام والحجاز والعراق، وفيها تكون المبايعة بإلقاء الحجارة، وربما اتفقوا فألقوا الحجارة جميعًا إذا كانوا عددًا، وكانت قريش تخرج قاصدة إليها من مكة؛ فان أخذت الحزن لم تتخفر بأحد العرب، وذلك ان مضر عامتهم لا تتعرض لتجار قريش[6].

سوق المشقر، وهي سوق يرتحل التجار إليها من دومة الجندل،

(1) شوقي ضيف: **العصر الإسلامي**، (دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت)، 50.
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (عكظ)؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 142.
(3) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 170.
(4) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 165؛ ابن حبيب: **المحبر**، 267.
(5) الأصفهاني: **الأغاني**، 10/ 18.
(6) ابن حبيب: **المحبر**، 364؛ المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 162؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 487 ـ 489.

وكانت ملوك فارس تستعملهم عليها، وكانوا يعشرونهم(*)، وكان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة. أما الملامسة بالإيماء يومئ بعضهم إلى بعض إيماء، وأما الهمهمة فكيلا يحلف احدهم على كذب ان زعم المشتري انه قد بدا له، وأصله حصن البحرين لعبد القيس، قال الشاعر:

تركت قريشًا ان أُجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر

وفيه حبس كسرى بني تميم في حادثة لطيمته[1]. وكانت لا يقدمها لطيمة إلا تتلف بها منهم ناس؛ فمن هناك صارت بهجر من كل حي من العرب وغيرهم[2].

سوق صُحار، وهي سوق بعُمان، يرحلون إليها بعد المشقر في غير خفارة، قال الشاعر:

الا أيُّها الركب اليمانون بلغوا تحيةً تاتي الدار لُقيتّمُ رُشدا
اذا ما حللتم في صُحار فالمموا بمسجد بشّار وجوزوا بهِ قصدا

وكان بيعهم بإلقاء الحجارة[3].

سوق دبا، سوق بعُمان يرتحل إليها من صُحار، وكانت احدى فرض العرب يجتمع بها تجار الهند والسند والصين واهل المشرق والمغرب، فيشترون وبيعهم المساومة، وكانوا يعشرون[4].

سوق الشحر، وإليها ينتقل التجار من سوق صُحار، وهي على

(*) أي دفع ضريبة العشر.

(1) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 162؛ ابن حبيب: **المحبر**، 265؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 134 ـ 135.

(2) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 163.

(3) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 163؛ ابن حبيب: **المحبر**، 265؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 394.

(4) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 63؛ ابن حبيب: **المحبر**، 266؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 435.

ساحل بحر الهند من جهة اليمن، وكانت المهرة تقوم بها، نسب إليها العنبر الشحري، ولم يكن بها عشور لأنها ليست بأرض مملكة، وكانت لجميع من يختلف إليها من العرب بالتجارة، وبيعها بإلقاء الحجارة[1]. والعنبر الشحري وهو ما يقذفه بحر الهند إلى ساحله من أرض اليمن، وهو اجود انواع العنبر وارفعه وافضله، واحسنه لونًا، واصفاه جوهرًا، واغلاه قيمة[2].

سوق عدن، ويرتحل إليه من سوق الشحر بالبحر، ولا يرتحل إليها إلا من بقي من بيعه شيء ولم يبعه، فيوافي الناس ومن بقي من تجار البحر، ولم يشهد الأسواق مثلها، وهي من حواضر اليمن في جنوبها، وكانت الأبناء تعشرهم بها، ولا تشتري في أسواقهم ولا تبيع. والأبناء هم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن[3]. ومن عدن يحمل الطيب إلى سائر الآفاق[4]. حتى ان تجار البحر لترجع بالطيب المعمول، تفخر به في السند والهند، وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم؛ [5] يشترون منها اللطائم وأنواع الطيب[6]، وبها يوزن الزعفران بالمن[7]. وكان هارون الرشيد يبعث قومًا إلى اليمن من قبله يبحثون عن العنبر[8].

سوق صنعاء، وصنعاء حاضرة اليمن، يرتحل إلى سوقها التجار من

(1) المرزوقي: **الأزمنة والامكنة**، 2/ 163؛ ابن حبيب: **المحبر**، 266؛ اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 239؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 327.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 10 ـ 11؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.
(3) المرزوقي: **الأزمنة والامكنة**، 2/ 164؛ ابن حبيب: **المحبر**، 269؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 89.
(4) اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 239.
(5) المرزوقي: **الأزمنة والامكنة**، 2/ 164.
(6) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 468.
(7) ابن أبي مخرمة، أبو عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت947هـ/ 1254): تاريخ ثغر عدن تحقيق علي حسن عبد الحميد (دار الجيل ـ دار عمار، بيروت ـ عمان، ط2، 1408هـ/ 1987)، 226.
(8) الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق**، 66.

عدن؛ فيأتون بالقطن والزعفران والأصباغ وأشباهها، وبيعهم الجس، أي جس اليد[1]. قال الشاعر:

ومن يَرَ صنعاء الجنود واهلها، وجنود حِمير قاطنين وحميرا
يعلم بأنَّ العيشَ قُسِّم بينهم، حلبوا الصفاء فانهلوا ما كدرا
ويرى مقامات عليها بهجةٌ يارجنَ هنديًا ومسكًا أذفرا

في إشارة إلى علاقة سوقها بالعطور[2]. وكانت التجارة بين اليمن والعراق منذ القدم مستمرة، قديمة ومواصلاتها متصلة؛ فقد أرسل ملوك سبأ الهدايا، كما فعل أهل مكة[3].

سوق رابية حضرموت، سوق بحضرموت، لم يكن أحد يصلها إلا بخفارة، لأنها لم تكن أرض مملكة، فكانت قريش تتخفر ببني آكل المرار[*] من كندة[4].

سوق ذي المجاز، سوق يرتحل إليها من عكاظ، وهي بمكة موضعها بعرفة، وكان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الاسواق، فسموا المحلون، وكان فيهم من ينكر ذلك فيسمون (الذادة المحرمون)[5]، قال المتوكل الليثي[**] يصفها:

(1) المرزوقي: **الأزمنة والامكنة**، 2/ 164؛ ابن حبيب: **المحبر**، 266؛ اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 239؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 426.
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 427.
(3) جواد علي: **المفصل**، 2/ 218.
(*) آل آكل المرار، ملوك كندة، وهم قوم امرئ القيس الشاعر، ابن حبيب: **المحبر**، 266.
(4) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 165؛ ابن حبيب: **المحبر**، 266؛ اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 240.
(5) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 165 ـ 166؛ ابن حبيب: المحبر، 267؛ اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 240؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 55.
(**) شاعر أموي، أبو جهنة المتوكل بن عبدالله (ت نحو 72هـ/ 691م). الزركلي: **الأعلام**، 5/ 275.

للغانيات بذي المجاز رسوم　　في بطن مكة عهدهن قديمُ
لا تنه عن خلقٍ، وتاتي مثله　　عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ[1]

سوق مجنة، سوق قريب من ذي المجاز[2]، وكانت مجنة بمرِّ الظهران، قرب جبل يقال له الأصفر، وهو بأسفل مكة على قدر بريدٍ منها، ويقوم بعد سوق عكاظ وبعدها ذي المجاز. قال أبو ذؤيب:

سُلافة راحٍ ضمنها إداوةٌ　　مقيَّرة ردف لمؤخرة الرَّحلِ
تزودها من أهل بصرى وغزة　　على جَسرة مرفوعة الذَّيلِ والكِفلِ
فوافى بها عُسفان ثم أتى بها　　مجنة تصفو في القُلال ولا تغلي[3]

في إشارة إلى شهرتها في تجارة الخمور، والعطور تقترن بتجارة الخمور والأدوية.

سوق بُصْرى، وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديمًا وحديثًا[4]، وكانت سوق قريش في رحلتهم إلى بلاد الشام، وعندما تقف قوافلهم وتحط رواحلهم يشترون ويبيعون ويمكثون حتى ينتهوا من تجارتهم، ثم يعودوا إلى مكة، وكان منهم من يصل إلى غزة، ويتاجر في أسواقها حيث تبيع أسواقها منتجات حوض البحر المتوسط، وما يرد إليها من (أوروبا) بالتجارة[5].

سوق الحيرة، الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، في موضع يقال له النجف[6]، وقد خرج الحكم بن العاص[*] يريد سوقها، ومعه عطر يتاجر به وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم الطائيين ربع

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 55.
(2) المرزوقي: **الأزمنة والامكنة**، 2/ 170.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 59.
(4) المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 2/ 169؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 169.
(5) جواد علي: **المفصل**، 7/ 225.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 328.
(*) عم الخليفة عثمان بن عفان. ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 2/ 96.

الطريق طعمه لهم، فمر بحاتم الطائي فسأله الجوار في أرض طئ حتى يصير إلى الحيرة فأجاره حاتم، فحدثت بسبب ذلك مماجدة بينهما[1]؛ مما يعني أن الحيرة كانت سوقًا مهمًا يجري فيه نقل العطر بين الشام واليمن والحجاز والعراق، واليها ترد القوافل فهي حاضرة العراق وسوقه التجاري، وعبرها ينقل العطر إلى مكة. وقد اقترن سوق الحيرة بالكثير من أسواق العرب مثل سوق الأُبلة، وسوق لقّة، وسوق الأنبار[2].

سوق المدينة المنورة، وهي التي كانت تسمى قبل الإسلام يثرب، وهي ذات علاقة حميمة بالعطر، حتى قيل عنها: أنها طيبة الريح، وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها[3]. وسميت طيبة لأن طيبها ينفي خبثها، ويتضوَّع طيبها في ريح ثراها، وعَرف تُرابها، ونسيم هوائها؛ وبها العطر والبخور والنضوح، من الرائحة الطيبة أضعاف ما يوجد روائحه في سائر البلدان، وان كان العطر أفخر، والبخور أثمن[4]. وكانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة، فقالت لرُبيع بنت مسعود بن عفراء[*] الأنصارية: حرام عليَّ أن أبيعك من عطري شيئًا، فردت عليها: وحرام عليَّ أن أشتري منه شيئًا، فما وجدت لعطرٍ نتنًا غير عطرك، وكان عطر طيبا ولكنها عابت لتغيظها[5].

سوق دارين، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسب إليها داري[6]. وكان تميم الداري يبيع العطر في الجاهلية، وهو لخمي من قبائل حمير، اتفق له بعض الوقت أن حاول الاتصال بقريش حينما خطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليتهم فماكسهم [أي حاول ان ينقص] في

(1) الأصفهاني: **الاغاني**، 17/ 283.
(2) الجاحظ: **الحيوان**، 4/ 369.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 87.
(4) الثعالبي: **لطائف المعارف**، 155.
(*) سيتردد ذكرهما لاحقا.
(5) الأصفهاني: **الاغاني**، 1/ 74.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 432؛ ابن منظور: **اللسان**، مادة (دارين).

المهر، فلم يزوجوه، فلما جاء الإسلام جاء بعطر يبيعه، فساومته أسماء فقالت له: طالما ضرك مكاسك، فلما عرفها استحيا، وسامحها في بيعه[1]. والداري هو العطار أو بائع المسك، قال الفرزدق:

وإني لمن قوم يكون غسولهم   قره فارة الداري تضرب في الغسل[2]

وللمسك الداري شهرة واسعة في انحاء الجزيرة كافةً، فقد كان يصدَّر إلى البصرة، وشرقي الجزيرة، وكان لهم بالمدينة جالية تجارية بنحو أربعمائة عطار[3].

قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

ذكرتنا مسك داري له أرجٌ   وبالمصي خزامى طلها الرّهم[4]

وسبب شهره دارين بالمسك دون غيرها، يعود إلى وقوعها في جزيرة؛ مما جعلها تصلح لاستقبال السفن الشراعية الآتية من الهند[5]. ومن هذا المنطلق سمي العطار بالداري، كما نسب تميم الداري إلى دارين لبيعه العطر. قال الأعشى يصف الخمر:

سلاف كأنَّ الزعفران، وعَنْدمًا   يصفَّق في ناجودها ثم تقطبُ
لها أرجٌ في البيت عالٍ كأنما   ألمَّ بهِ من تُجْرِ دارين أركبُ[6]

التجارة المحلية

وهي من تجر يتجر تجرًا: باع وشرى، وكذلك أتجر، وهو افتعل، وقد غلب على الخمار. قال الأعشى:

---

(1) الآبي: نثر الدر، 4/ 92.
(2) أبو عبيده، معمر بن المثنى التيمي (ت 209هـ/ 824م): **النقائض**، تح اشلي ايفان، ج1 (مط بريل، ليدن، 1905م)، 132.
(3) البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4 ق2/ 43.
(4) جرير: **ديوانه**، 414.
(5) النجم، عبد الرحمن عبد الرزاق: **البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج** (دار الحرية للطباعة، وزارة الأعلام بغداد، 1393هـ/ 1973م)، 88.
(6) الأعشى: **ديوانه**، 14.

ولقد شهدت التاجر الـ أمَّان موروذًا شرابةُ
وفي الحديث: مِنْ يتَّجرُ على هذا فيصلي[1].

وكان الطيب من أهم المواد التي تاجر بها عرب الجنوب، فقد قاموا بتصديره إلى خارج جزيرة العرب كالعراق وبلاد الشام ومصر. وتاجروا به في الداخل، أي إلى أصقاع العرب الجنوبية، وفي مواضع أُخرى من جزيرة العرب، فقد اشتقت كلمة (الطيب) من (طب، طيب) في لغة المسند، ويستخرج الطيب من أنواع متعددة من الأشجار، ويجلب بعضه من الخارج كالهند وافريقيا، ويصدر إلى مصر وأسواق بلاد الشام والعراق[2].

وكانت الحاجة إلى العطر تقوم على الاستفادة منه في الاستخدام الاعتيادي للطيب، والخضاب، وحنوط الموتى، وفي اقامة الشعائر والطقوس الدينية، والممارسات العبادية في مكة ومعابد العرب القديمة؛ فقد كانت في المعابد مخازن خاصة تجمع فيها أصناف الطيب والبخور عبر حركتي البيع والتصدير، وكانت الأسواق تقوم بمهمة التوسط في البيع والشراء، وتبيع ما تجلبه على عمولة تستفيده منها، فتدر لها أرباحًا طائلة جدًا، تثري منها. وهكذا نجد المعابد، وهي تكاد تحتكر تلك المواد، وتنفرد بها ببيعها إلى التجار[3].

وكانت حركة تجارة العطر بين مكة واليمن قائمة على قدم وساق، لاتصال اليمن بالحبشة والهند ومصر وبلاد فارس؛ لهذا كان تجار مكة يستوردون الطيب منها حتى ينقل أو يستهلك بمكة، فقد كان عياش بن عبد الله بن أبي ربيعة يبعث بالعطر من اليمن إلى امه بمكة، فتبيعه نقدًا أو ديناً[4].

---

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (تجر).
(2) جواد علي: **المفصل**، 7/ 182.
(3) جواد علي: **المفصل**، 7/ 184.
(4) ابن سعد: **الطبقات**، 8/ 300؛ ابن حجر: **الإصابة**، ج7 (دار الجيل، بيروت 1412هـ/ 1992م)، 491 ـ 492.

وكان نقل البضائع يجري بطريقتين:

الأولى، استخدام الدواب ولاسيما الجمال في نقل التجارة، ولم تكن العربات مستخدمة في الأغراض التجارية في جزيرة العرب، ولم ترد اشارات إليها في نصوص المسند، وقد ظل اعتماد التجار وأصحاب القوافل على الحيوانات طوال العهود الإسلامية إلى أواخر القرن التاسع للميلاد[1]. وفي الطرق البرية الصحراوية اقتضت مصالح قريش إلى عقد معاهدات تجارية مع البلدان المجاورة لتأمين خطوط البضائع إلى مكة، شملت اليمن وبلاد الشام والعراق[2]؛ مما منح موقعها وتجارتها قوة حقيقية جعلها تمثل المركز التجاري للتجارتين، الداخلية والخارجية لجزيرة العرب، التي كانت تتم مع بلاد الشام والعراق، أي خارج حدود جزيرة العرب في اصطلاح الجغرافيين المسلمين[3].

وتدعم هذه التجارة البرية شبكة من المواصلات (الطرق) لنقل شتى المتاجر، عبر اتجاهين:

1 - طريق حضرموت إلى البحرين، ثم إلى صور.

2 - من حظرموت إلى الشمال موازيًا للبحر الاحمر، متجنبًا صحراء نجد اللافحة وهضاب الشاطئ الوعرة، وعلى هذا الطريق مكة[4].

لذا كانت التجارة البرية عماد التجارة العربية، وبالذات تجارة العطر بشكل خاص.

الثانية، استخدام البحر، فقد كانت جزيرة العرب محاطة بالبحار من جهاتها الثلاث؛ أما حدها الشمالي فهو أرض تتصل بالعراق وببلاد الشام،

(1) جواد علي: **المفصل،** 7/ 186.

(2) الحوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي** (دار القلم، بيروت، ط5، 1972م)، 66.

(3) جواد علي: **المفصل** 7/178.

(4) الحوفي: **الحياة العربية،** 97.

وقد عرف أهل السواحل وعركوه، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقتهم، وتعاملوا مع أهل السفن التي كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة. وركب بعضهم السفن للاتجار مع السواحل المقابلة لهم، فباعوا في أسواقهم واشتروا، وقد أظهر أهل السواحل العربية الجنوبية والشرقية نشاطًا في ركوب البحر، لا نجده عند أهل السواحل الغربية[1]. ونتيجة لخشية العرب من ركوب البحار؛ فانهم كانوا يسيِّرون سفنهم بالقرب من ساحل البحرين، أو ينزلون السلع في البحرين، ثم يسلكون بها الطريق البري، وقد لعب سكان البحرين وخصوصًا الداريين دورًا مهمًا في التجارة البحرية إلى الهند، مع العلم أن الدولة الساسانية كانت تشكل مصدر قلق كبيرًا لهم[2]، وفي هذا الشان يقول طرفة بن العبد:

عدوليةٌ من سفين ابن يامنٍ   يجور بها الملاح طورًا ويهتدي

وعدول، قبيلة من أهل اليمن[3]، وقيل عدولي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن[4]. وابن يامن، يهودي من أهل هجر كان يمتلك عددًا من السفن التي تبحر في الخليج العربي آنذاك[5]. ونتيجة لذلك اشتهرت دارين لأنها تصلح لاستقبال السفن الشراعية الآتية من الهند[6]. وبعد أن استقرت الدولة العربية الإسلامية نشأ التخصص التجاري، فكان أصحاب كل مهنة يبيع بضاعته مع آخرين في سوق خاص داخل السوق الكبير، فنشأ سوق خاص للعطارين سمي بسوق العطارين[7]؛ كما هي حال البصرة في سنواتها

(1) جواد علي: **المفصل**، 7/ 187.
(2) النجم، **البحرين في صدر الإسلام**، 88.
(3) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت275هـ/ 888م): **شرح المعلقات السبع** (دار القاموس الجديد، بيروت، د.ت)، 62.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 90.
(5) النجم: **البحرين في صدر الإسلام**، 84.
(6) م. س، 88.
(7) الطبري: **تاريخ**، 5/ 506؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد: **أسواق العرب التجارية** (هيئة كتابة التاريخ، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1989م)، 39.

الأولى التي نشأ فيها سوق العطارين، في دار كانت لعون بن خلف[1]؛ مما يشير إلى تطور تجارة العطر وحاجة العطارين إلى نوع من التخصص لإبراز سلعهم، وسهولة تبادلها، وتيسيرها للمستهلكين، لأن العطر كان مادة أساسية في حياة المسلمين الدينية والدنيوية.

مكة، تستحوذ مكة على مكانة تجارية مهمة في تجارة العطور، لكونها مركزًا تجاريًا ودينيًا، يفد إليها التجار، وتنتشر عبادة الاصنام فيها قبل الإسلام، وسكانها قريش لهم صله بالتجارة والتقرش، فأصبحت مركزًا ماليًا خطيرًا، وسوقًا لتبادل السلع، ولم تستورد قريش التجارة لتخزينها في مكة، أو لتصريفها في أسواق مكة وحدها؛ فمكة وحدها بلدة صغيرة لا تستوعب أسواقها هذه التجارة، وإنما كانت تستوردها من الشمال والجنوب لتصرّف ما يمكن بيعه في أسواق مكة، وهو قليل، وتصدر ـ وهو الغالب ـ ما استوردته من الجنوب إلى الشمال (الشام)، وتصدر ما استوردته من بلاد الشام إلى اليمن، ومنها إلى بقية المناطق العربية وسواحل افريقيا المقابلة، فتربح من هذه الصفقات ربحًا حسنًا[2]، حتى كان العطر ينقل إلى مكة من الحيرة[3]، ويبدو أن تجارة العطر سابقًا لم تكن بمكة، ولكن تجار عدن وجنوب الجزيرة أجبروا على الانتقال إلى مكة بسبب خسارة سماسرتهم مع الهند، وانهيار تجارة البخور، وكره العرب الاتجار مع بلاد كانت بحاجة لواردات بديلة[4].

وكان استعمال العطر من مستحسنات العرب، حتى أن استعماله يعد دليلًا على الفرح، وتركه يعد دليلَ حزنٍ وغمٍ، وكان الاقبال على العطور شديدًا أيام الاعياد والافراح، وكان العرب يقدمونه كنذر لتطيّب المعابد والاصنام[5]. ولمكة مكانة سامية في نفوس العرب، وهي تلتقي مع الهند في

(1) ابن سعد: **الطبقات**، 2/ 30؛ الكبيسي: **أسواق العرب**، 39.
(2) جواد علي: **المفصل**، 8/ 224.
(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 17/ 283.
(4) دي غوري: **حكام مكة**، 27.
(5) جواد علي: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، 8/ 93 ـ 96.

هذه المكانة التي تمد بإرثها إلى آدم ﷺ حتى عن علي بن أبي طالب ﷺ أن الناس خيروا بين وادي مكة، ووادي الهند الذي هبط به آدم ﷺ، ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي يتطيبون به[1]، ولعل هذا الموقف كان وراء اتخاذ لحاء شجر الحرم قلادة في عنق البدن وغيرها؛ فكان العربي إذا حج في الجاهلية وقضى حجة تقلّد قلادة من (إذْخِر) والإذخر نبات زكي، وأن الرجل منهم يقلِّد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء الشجر، فلا يخاف أحدًا، ولا يتعرض له أحد[2]. لهذا كثر تجار العطور في مكة من أمثال أبي طالب بن عبدالمطلب الذي كان يبيع العطور[3]، حتى قيل: أنه أول من خضب بالوسمة فساروا عليه بالخضاب، فغير شعره بالحناء، ثم علاه بالوسمة، فقال:

لو دام لي هذا السواد حمدته   فكان بديلاً من شباب

وكذلك شاع استخدام العطور خلال اداء الفروض في معابد الاصنام؛ قد انصرم.

تمتعت منه والحياة قصيرة،   ولا بد موت يبتليه أو هرم
وماذا الذي يجدي على المرء خِفضه   ونعمته يومًا إذا عرشه انهدم[4]

فقد كان الناس يأتون بالمجامر ليجمروا بها الكعبة تقربًا بعملهم هذا إلى الاصنام[5]، وفي سيادة الوليد بن المغيرة، أحد سادات قريش بمكة، وقت ما بلغ النبي ﷺ الحلم أجمرت امرأة من قريش الكعبة، فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة، فاحترقت فوهى البيت للحريق الذي أصابه، فتشاغلت قريش في هدم الكعبة فهابوا هدمها، فتقدم الوليد بن المغيرة لذلك[6].

---

(1) الازرقي: **اخبار مكة**، 2/ 50.
(2) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 2/ 289؛ جواد علي: **المفصل**، 6/ 308.
(3) الثعالبي: **لطائف المعارف**، 127.
(4) البلاذري: **أنساب الاشراف**، 1/ 66.
(5) جواد علي: **المفصل**، 6/ 332
(6) الازرقي: **اخبار مكة**، 1/ 158.

وللبخور بشكل خاص والطيب بشكل عام، مكانة عالية دينية واقتصادية، وظل تداوله مستمرًا بمكة بعد الإسلام، وكان قبائل العرب من الحلة [وهم خزاعة وما جاور مكة] إذا سكنوا لا يسلئون سمنًا، ولا يدخرون لبنًا، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى تعافه، ولم يجزّوا شعرًا ولا ظفرا، ولم يدهنوا، ولم يمسوا النساء، ولا الطيب، ولم يأكلوا لحمًا، ولم يلبسوا في حجهم وبرًا ولا صوفًا[1]. وانتقل هذا الاهتمام بالطيب إلى إقامة العهود والمواثيق في محاولة لدمج الحياة الدينية في الحياة الاقتصادية؛ فلما تحالف المطيبون، وهم بنو عبد مناف وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء؛ فصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيًا فغمسوا أيديهم فيه[2]. ومن المحتمل أن اسم عاتكة جاء لاحقًا، لأن العاتكة هي المتضمخة بالطيب[3]. وفي رواية أخرى أن الطيب كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي توأم عبد الله والد رسول الله ﷺ[4]؛ مما يعني أن عاتكة هي أم البيضاء، وإنما لحقها هذا الاسم لصناعتها الطيب في مكة حينما أخرجت بنو عبد مناف ومن صار معهم جفة (وعاء) مملوءة طيبًا، فوضعوها حول الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبة توكيدًا على أنفسهم، فسموا المطيبين[5]. وقد اعتمد الروم على تجار مكة في حاجاتهم من العطر[6]. ولعل العطر كان إحدى بضائعهم إليهم.

وكان الذرور معروفًا بمكة، يجاء به من الهند كالذريرة، وهو ما انتجت من قصب الطيب، وقيل هو نوع من الطيب مجموع من أخلاط،

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 226.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، 2/ 13.
(3) ابن منظور: **اللسان**، مادة (عتك).
(4) اليعقوبي: **تاريخ**، 2/ 13.
(5) ابن سعد: **الطبقات**، 1/ 77.
(6) الحوفي: **الحياة العربية**، 101.

وبه فسر حديث عائشة ﵂: «طيبت رسول الله ﷺ لإحرامه بذريرة»[1].

ولم يكن الاهتمام بتخليق الكعبة في العصر الإسلامي جاريًا بصورة مطردة؛ وذلك بسبب بعد مكة عن المدينة، وحرص المسلمين على نسخ عادات الجاهلية التي كانت تقترن بالطيب وغيره، فلما نسيت عادت سلطة قريش تضرب أطنابها في مكة بعد أن تولى معاوية ابن أبي سفيان (ت60هـ/ 679م)، فكان أول من طيَّب الكعبة بالخلوق والمجمر، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال[2]؛ فأصبحت سُنةً لدى أولي الأمر في ذلك، ثم تصاعد ذلك في العصر العباسي. وهذا يدلل على أهمية الطيب كمادة اقتصادية مهمة يجري صرفها من بيت مال المسلمين.

وخلال ولاية عبد الله بن الزبير (ت73هـ/ 692م) على مكة وتعميره لها لطخ جدرانها، وخلَّق جوفها بالعنبر والمسك، ولطخ جدرانها من الخارج بالمسك وسترها بالديباج[3]؛ فكان هذا طقسًا احتفاليًا بتمام عمله، وهو ما يشير إلى أهمية الطيب في حياة أهل مكة قبل الإسلام وبعده، بحيث اندمجت قدسية المكان بالقيمة النفسية للطيب، والقيمة المادية والتجارية؛ لذا استمر هذا الاهتمام بالطيب لدى أهل مكة إلى الآن، ولكن في المراحل التالية أصبح البخور ـ الذي يضرب بأطنابه إلى الحضارات القديمة في العراق ومصر والشام وافريقيا والهند ـ مدار اهتمام المسلمين أيام الحج والعمرة والاعياد وصلوات الجمع والجماعة.

وحين كان المهدي العباسي سنة 160هـ/ 776م خليفة حج، فجرد الكعبة، وطلى جدرانها من خارج بالغالية والعنبر، حتى صعدوا على ظهر الكعبة بقوارير من الغالية يفرغونها على جدران الكعبة من خارج جوانبها

---

(1) الزبيدي: **التاج**، مادة (ذر)؛ جواد علي: **المفصل**، 7/ 237.

(2) الازرقي: **أخبار مكة**، 1/ 254.

(3) الازرقي: أخبار مكة، 1/ 219، 216.

كلها، وعبيد الكعبة قد تعلقوا بالبكرات التي تخاط عليها الثياب، ويطلون بالغالية جدرانه من أسفلها إلى أعلاها[1].

المدينة المنورة

بعد هجرة المسلمين أصبحت للمدينة مكانة خاصة، دينية وسياسية واقتصادية، حتى وصفوا ترابها وهواءها بأنه أطيب ريحًا من ريح الأفاويه بسائر البلدان[2]. وكان بها قبل ذلك عطاران يهوديان أسلم أحدهما، وخرج الآخر فنزل العراق فالتقيا ذات يوم؛ فقال اليهودي للمسلم: كيف رأيت الإسلام؟ قال خير دين الّا أنهم لا يدعوننا نفسوا في الصلاة كما كنا نصنع ونحن يهود، فقال له اليهودي: ويلك إفس وهم لا يعلمون[3].

وكان العطر متداولًا للتجارة فيها قبل الإسلام بسبب عناية أهلها بالطيب، كما أن سكانها من اليهود كانوا يهتمون بالطيب؛ والى المدينة ينسب دهن البان المديني الذي يطبخونه بالأفاويه الطيبة، الّا أنه لا يصلح للغوالي، لأنه على روائح العنبر والمسك بروائح الأفاويه وحدتها، فلا تستعمله الملوك[4].

وجاء اهتمام الحديث النبوي الشريف بالطيب، مدعاة لتنشيط تجارته فيها، كما في قوله ﷺ: (أربع من سنن المرسلين: النكاح، السواك، التعطر، الحناء)[5]. وكذلك قوله: (من عرض عليه ريحان، فلا يرده فانه، طيب الريح، خفيف الحمل) وقوله أيضًا: (ان الله طيب يحبّ الطيب، نظيف يحب النظافة)[6]. وقال: (حُبب اليَّ الطِّيب والنساء، وجعلت قرة

(1) الازرقي: **أخبار مكة**، 1/ 262 ـ 263؛ مغلطاي: **المختصر**، 55.
(2) ابن الفقيه: **مختصر البلدان**، 27.
(3) ابن الجوزي: **أخبار الظراف**، 90.
(4) اليعقوبي: **البلدان**، 216؛ ابن الفقيه: **مختصر البلدان**، 215.
(5) ابن القيم: **الطب النبوي**، 196.
(6) الغزالي: **الإحياء**، 1/ 32.

عيني في الصلاة)[1]. وكان يتطيب حتى يصبغ الطيب رداءه، من موضع رأسه وحتى يرى وميض المسك من مفرقه، وحتى يعرف مجيئه بطيب رائحته من بعيد قبل ان يرى، وكان يقول: أطيب الطيب المسك، وكان لا يعرض عليه طيب إلا تطيب منه[2]. وكان ريح عرفه أطيب من المسك[3].

وقال الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بشأن العطر: لو كنت تاجرًا ما اخترت غير المسك إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه[4]. ولعل هذه الافكار تسربت إلى أهل المدينة من مهاجري مكة الذين حملوا معهم اهتمام أهلها بالعطر؛ فازدادت أهميته أكثر حتى ان معركة بدر نشبت بين المسلمين ومشركي قريش سنة 2هـ/ 623م، بسبب لطيمة [قافلة] عطر، فقد وصل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى بطن الوادي (وادي مكة) واقفًا على بعيره، وقد جدع بعيره، وحوَّل رحله، وشقَّ قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد وأصحابه[5].

وفي سنة 28هـ/ 649م بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﵄ إلى مَلكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش النساء، ودسته إلى البريد[6]؛ مما يعني أن طيب المدينة كان أفضل حظًا من الطيب الرومي، وصناعته أجود؛ فضلًا عن كون هذه الهدية كانت إيذانًا بوجود علاقة طيبة بين بلاد الروم والمسلمين في هذه المرحلة، وان المرأة أخذت سبيلها في الإعلان عن نفسها، وممارسة دورها في الحياة السياسية، وهو ما سيتكلل لاحقًا في حرب الجمل، حيث خرجت السيدة عائشة ﵄ في معركة الجمل حتى قال أصحابها: بعر جمل أُمنا ريحه ريح المسك[7].

---

(1) ابن القيم: **الطب النبوي**، 216.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، 2/ 77.
(3) الطبري: **تاريخ**، 3/ 180.
(4) الغزولي: **مطالع البدور**، 1/ 62.
(5) الأصفهاني: **الاغاني**، 4/ 178.
(6) الطبري: **تاريخ**، 4/ 260.
(7) م. س، 4/ 523.

العراق وما حوله، امتلكت الحيرة حاضرة العراق أهمية تجارية خاصة لمكانتها الاقتصادية والسياسية، ولوقوعها حلقة وصل بين العراق والشام والحجاز واليمن وبلاد فارس؛ فضلًا عن انتشار الديانة النصرانية في العراق، وانتشار الأديرة فيها، مما له أثره في تشجيع حركة التجارة، وتوفير الثقة والأمان، لمرور القوافل عبرها. ونتيجة شيوع شرب الخمر وصناعتها فيها، فإن شعراءها أكثروا من وصفها، فقد شبّه عدي بن زيد العبادي(*) ريح الخمر بريح المسك، فقال:

كان ريح المسك من كاسها إذا مزجناها اليوم أنْ تَنْعَما[1]

ووصف النابغة الذبياني(**) النصارى بأنهم يحيون بالريحان يوم السَّباسبِ، وهو عيد نصراني لقوم من العرب في الجاهلية[2]، فقال:

رقاقُ النِّعالِ طَيِّبٌ حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السَّباسبِ[3]

أما الأعشى، وهو من شعراء العراق الذين يترددون إلى الحيرة، فيقول:

وعَلالٍ وظلال بارد، وفليح المسك والشاهسفران[4]

وقال عبيد بن الابرص، وهو ممن كانوا يفدون إلى الحيرة:

وبيت يقوم المسك من حُجُراته تَسدِّيته من سرٍّ ومخطوبِ[5]

ومنذ القدم اهتمت الحيرة بالطيب، فقد كان جذيمة الأبرش أول من ملك قضاعة، وهو من الازد بالحيرة، واول من حذا النعال، وادلج من

(*) ترجمته: الأصفهاني: **الاغاني**، 2/ 91.

(1) العبادي، عدي بن زيد (ت590م): **ديوانه**، تح محمد جبار المعيبد (وزارة الثقافة والارشاد، مديرية الثقافة العامة ـ دار الجمهورية للنشر، بغداد 1965م)، 71.

(**) هو زياد بن معاوية، من بني ذبيان (ت نحو 604م). الزركلي: **الأعلام**، 3/ 54.

(2) ياقوت، **معجم البلدان**، 2/ 524.

(3) النابغة: **ديوانه**، شرح حمدو طماس (دار المعرفة، بيروت، 1424هـ/ 2003م)، 16.

(4) الأعشى: **ديوانه**، 217.

(5) عبيد بن الابرص: **ديوانه**، 37.

الملوك، ورفع له الشمع، فسقه اخته رقاش الخمر لتتزوج من عدي، وأوصته: إذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرفًا، فإذا اخذت منه الخمر، فاخطبني إليه، فانه يزوجنك واشهد القوم عليه، فعرس بها، فلما أصبح عدي، وغدا مضرجًا بالخلوق، قال له جذيمة: ما هذه الآثار يا عدي؟ قال: آثار عرس، قال: أي عرس. قال: عرس رقاش، فهرب عدي وطلبه جذيمة فلم يتحسسه. وقيل انه قتله، وكتب إلى اخته:

حدثيني رقاش لا تكذبيني أبحرٍّ زينت أم بهجينِ
ام بعبدٍ فأنت أهل لعبدٍ أم بدونٍ فأنت لدونِ

قالت: بل زوجتني امرءًا عربيًا، فنقلها جذيمة إليه وحصنها في قصره واشتملت، فولدت له عمرًا وربته، فلما ترعرع حلَّته وعطَّرته وألبسته كسوة مثله، ثم زارت خاله فأُعجب به فالتزمه جذيمة وقربه[1]. مما يعني أن الطيب كان أثيرًا لدى أهل الحيرة، كبارًا وصبيانًا، وانه كان تعبيرًا عن الفرح والبهجة، وربما كان طقسًا من طقوسها. وكان العراق وقتها تحت سلطة الدولة الساسانية اقتصاديًا وسياسيًا، تتصرف به الدهاقين، قال بعثر بن لقيط الفقعسي:

كأن به عِيرًا من المِسك حلَّها دهاقين ملك تجتبي ومرازبه[2]

وقال أعرابي في فيوم العراق:

عجبت لعطَّارٍ أتانا يسومنا بعد سكرة الفيوم دُهن البنفسج
فويحك يا عطَّار!هلاَّ أتيتنا بِضغث خُزامى أو بخوصةِ عرفج[3]

ويقال إنَّ العرب اتصلوا بالفرس قبل أن تنشأ امارة الحيرة بزمن طويل، وانهم أدوا الجزية للملك الفارسي كورش (550ق.م) بخورًا ولبانًا، ألف وزنة كل سنة، وكانوا أعوانًا لقمبيز في فتحه لمصر سنة (525ق.م) يعدون له الماء في البادية، وكانوا في حملة الفرس على

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 15/ 250 ـ 251.
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 408.
(3) نفسه، 40/ 288.

اليونان سنة 492ق.م يساعدون الفرس، وهم في الجيش لئلا تجفل ابلهم؛ [1] مما يشير إلى أهمية العطور في التعامل الاقتصادي والسياسي وارتفاع أثمانه، وشهرة العرب باقتنائه واستيراده والمتاجرة به بين الهند والشام، وغيرها من اصقاع العرب وما حولهم، كما كانت علاقات البصرة قائمةً مع الهند في جلب العطور حتى أحد أنواع العود سمي المُحرَّم، لأنه نزلها، ثم نزل وريثتها البصرة فيما بعد، فشك الناس في أمره فحرَّمه السلطان، وهو أدنى أنواع الطيب[2].

وتشير أحداث يوم الصَّفقة بالمشقّر بالبحرين إلى أن عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عِيرًا تحمل ثيابًا من ثياب اليمن، ومسكًا وعنبرًا وخرجين فيهما مناطق مُحَلّاة، وخفراء من بني الجعيد المراديين، فساروا من اليمن فأغار عليهم بنو تميم، وهي في طريقها إلى النعمان حتى يدفعها إلى هوذة بن علي الحنفي، فحبس عنهم الأسواق سنة كاملة ليستدرجهم للقتل[3]؛ في اشارة إلى أن الطيب كان ينقل من اليمن عبر البحرين إلى العراق، ثم إلى بلاد فارس، وأن اليمن ـ ربما ـ كانت تنتج الطيب وتصدره، ولعله هو الشحري الذي يجمع من سواحل البحر، ويرسل إلى باقي البلدان، كما أن البحرين كانت تستورد بعض البضائع الهندية، كالمسك والقنا، ثم تصدره إلى بقية أنحاء الجزيرة العربية فتباع هناك[4]، فقد كان المسك التبتي والصيني يصلان إلى الأُبلة حتى ترتفع رائحته، فلا يستطيع التاجر أن يستره من العشارين، فإذا خرج من المركب جادت رائحته[5].

وفي معركة القادسية التي حصلت فيها المعركة الفاصلة بين العرب المسلمين والفرس، قال الشاعر الذَّيان بن جندل:

إن كنت ساقيةً علـــــــى كرم فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا

(1) الحوفي: **الحياة العربية**، 106.
(2) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 137.
(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 16/ 255، 17/ 237 ـ 240.
(4) النجم: **البحرين في صدر الإسلام**، 85.
(5) البلاذري: **الفتوح**، 341؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8.

واسقِ فوارس حاموا عن ديارهم واعلي مفارقهم مسكًا وريحانا[1]

في اشارة إلى اهتمام بني شيبان بالطيب ـ على مقربة من الحيرة ـ حتى أن مفارقهم كان يعلوها المسك والريحان، كما أن العراق شهد حركة تجارية في نقل وبيع العطور بعد فتح المدائن سنة 16هـ/ 637م؛ فقالوا: أتينا على كافور كثير، فما حسبناه إلا ملحًا، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز[2]. وحين تولى عتبة بن غزوان سار، ومن معه بالمربد[3]، وهي سوق تجارية معروفة.

اليمن والبحرين، اليمن، بلاد معروفة في جزيرة العرب حاضرتها صنعاء، ومنها بلاد الشحر التي اشتهرت بإنتاج العنبر الشحري المعروف[4]. والبحرين ساحلها على البحر، وقصبتها هجر، فقد كانت البحرين تستورد بعض البضائع الهندية، كالمسك والقلشم، وتصدره إلى بقية انحاء الجزيرة العربية فيباع هناك[5].

وكان يوم الصفقة بسبب لطيمة (قافلة للعطر) أُرسلت إلى كسرى من اليمن مرورًا بالعراق، كما ارتبط يوم حليمة الذي قتل فيه الحارث بن أبي شمر الغساني بالخلوق، والتي كانت بعين أُباغ. إذ سار الجيش من العراق إلى أطراف الشام[6]، والى عمان كان يخرج العطر كله حتى المسك والزعفران[7].

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 23/ 135.
(2) الطبري: **تاريخ**، 4/ 17.
(3) ابن الاثير: **الكامل**، 2/ 317.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 447.
(5) م. س، 2/ 347.
(6) العاني، عبد الرحمن عبد الكريم: **البحرين في صدر الإسلام** (الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1421هـ/ 2000م)، 117.
(7) المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت380هـ/ 990م): **احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح محمد امين الضناوي (دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2002م)، 108؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 196.

ويجلب من اليمن العنبر، وخصوصًا العنبر الشحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن، وزعموا انه يخرج من البحر في خلقه البعير أو الصخرة الكبيرة[1]. أما المسك الصفدي (من خراسان)، وهو ما تشتريه خراسان من التبت، فيحمل على الظهر إلى خراسان، ثم يحمل من خراسان إلى الآفاق. ويتلوه بالجودة المسك الهندي، وهو ما وقع من التبت إلى أرض الهند، ثم يحمل إلى الدبيل، ثم يحمل في البحر إلى سيراف وعدن[*] وعُمان وغيرها من النواحي[2]. وأفضله ما يؤتى به من سيراف إلى عدن، ولونه البياض[3].أما المسك فإن بعضه ينسب إلى دارين؛ فيسمى الداري، وهي جزيرة معدودة من بلاد البحرين ترسو إليها مراكب تجار الهند، ويحمل منها إلى الاقطار، وليست بمعدنٍ للمسك[4].

ويؤتى بالعنبر الزنجي إلى عدن[5]. بوصفها مدينة مجاورة للبحر، وكان يعمل لصاحب اليمن الأسرة من نبات الصندل، فقد كان يأمر بقطع ما يحمل عنه من اليمن إلى غيرها من البلاد قطعًا صغارًا حتى لا يكون منها ما يعمل سريرًا لغيره من الملوك[6]. وكان التجار ينزلون عدن من اليمن فيشترون اللطائم وأنواع الطيب[7] وحين بنى أبرهة الاشرم بيتًا [كعبة]، وسماها (القليس) ليصرف العرب عن كعبتهم، كان يوقد بالمندل ويلطخ جدره بالمسك؛ فيسوِّده حتى يغيب الجوهر[8].مما يشير إلى اهتمام اليمن بالطيب واستعماله للأغراض الدينية.

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 10؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.

(*) سيراف، مدينة على ساحل بحر فارس كانت قديما فرضة الهند. ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 294. وعدن، مدينة مشهورة، على ساحل من جهة اليمن. م. س، 4/ 89.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 211؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.

(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 5 ـ 6؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131.

(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 130.

(5) النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 11.

(6) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 138.

(7) م. س، 1/ 468.

(8) الطبري: **تاريخ**، 2/ 137.

التجارة الخارجية

كانت غالبية تجارة العطور الخارجية مع الهند والصين، عبر البحار، ومع افريقيا وبلاد الروم من جهة (انطاكيا)، ومع بلاد ما وراء النهر، أي مع بلاد الصغد (خراسان) واذربيجان، والتي أصبحت فيما بعد في حوزة المسلمين بعد الفتح الإسلامي، وهذا يجعل محور التجارة الخارجية ينحصر على ثلاث جهات:

الأولى: الهند، وهي التي تشكل القسم الاكبر.

الثانية: الصين، وهي تشكل القسم الثاني.

الثالثة : بلدان العالم الأخرى التي يستورد منها العرب العطر.

وهي تتوزع بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، وخصوصًا بعد فتح الاندلس، ودخول العرب إلى أوروبا، ولكن العرب تعارفوا فيما بينهم على أن الهند هي المصدر الرئيس للعطر إلى العرب، وان تاريخ العطر هو الذي يكشف عن هذه العلاقة الحميمة؛ لان العطر مادة سريعة الاتصال طيبة الريح، كان لها أثرها في تعميق الصلات التجارية، والثقافية بين العرب والقارة الهندية بشكل خاص.

الهند، كانت الأُبلة، مرفأ البصرة قبل تأسيسها تسمى أرض الهند[1]؛ ولعل هذا الاعتقاد قد نشأ بسبب اقتصار تجارتها على الهند، وأن الاتصال التجاري مع الهند كان كبيرًا، وبالذات تجارة العطر حتى قيل إن كلمة مسك أصلها هندي[2]، لاقتران اسمها بالهند، قال الأُقيشر الأسدي[*]:

ومُقعد قومٍ قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناهُ ثلاثًا فابصرا

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 432.

(2) الحوفي: **الحياة العربية**، 12.

(*) اسمه المغيرة بن عبد الله (ت80هـ/ 700م). ابن حجر: **الإصابة**، 3/ 1028.

شرابًا كريح العنبر الورد ريحه ومسحوق هندي من المسك أذفرا[1]

وقال سُحيم عبد بني الحسحاس:

كان القرنفل والزنجبيـ ـل والمسك خالط جفنًا قطافا
يخالط ريقها قهوةً سباها الذي يستبيها سُلافا
وبعودِ الهند عند التجا رِ غال يخالط مسكًا مدافا[2]

كما اقترن اسم التاجر الهندي بالطيب وانواعه، قال الشاعر:

اذا التاجر الهندي وافى بفأرة من المسك أضحت في مفارقهم تجري[3]

وذلك لان الهند عرفت عند العرب بالطيب وتجارته، وخصوصًا المسك والعودي، ورووا في ذلك روايات تتعلق بهبوط آدم ﷺ من الجنة إلى الهند حاملًا معه بذرة الطيب؛ فكان ذلك أصل الطيب كله، وكل فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند، أو لأنه عَلقَ به بعض أشجار الطيب[4]. وقيل على رأسه اكليل من شجر الجنة، فلما صار إلى الأرض ويبس الاكليل تحاتَّ ورقه، نبتت منه أنواع الطيب[5]؛ وذلك لان آدم لما علم أن الله ﷻ، مُهبطه إلى الأرض جعل لا يمر بشجر من شجر الجنة إلا أخذ غصنًا من أغصانها معه، فلما يبس ورقها تحاتَّ؛ فكان ذلك الطيب، وانه نزل بالهند فنبت ذلك الطيب. وهكذا اخترعت العرب لذلك حكاية منذ بدء البشرية حتى يصبح تأثيرها، وتقلبها أكثر قوة، وربطوها بالعطر. ففي سرنديب[*] وعلى جبالها ينبت العود والفلفل والعطر والأفواه ودابة المسك ودابة الزباد[6]. ومنها يجلب العود، لأن فيها ينبت طيب الريح لا يوجد بغيرها، ولهم في ذلك أعراف وتقاليد حتى رووا أن ملكهم إذا مات قطع أربع

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 1/ 244.
(2) ديوانه، 44.
(3) البغدادي: **خزانة الأدب**، 3/ 344.
(4) الطبري: **تاريخ**، 1/ 126 ـ 127.
(5) م.س، 1/ 125 ـ 126.
(*) سرنديب، هي جزيرة سيلان حاليًا.
(6) ابن خرداذبة: **المسلك**، 640؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 14.

قطع، وجعل كل قطعة في صندوق من صندل والعود؛ فيحرقونه بالنار وامرأته أيضًا تتهافت بنفسها على النار حتى تحترق معه[1]. في إشارة إلى اعتقادات بعض طوائفهم، وحرقهم للأموات خشية التعفن، وعبادة بعضهم الآخر النار. ومن جزيرة سرنديب هذه (سيلان حاليًا) يجلب الأفاويه الطيبة، كالصندل البسباسة[2]. ومن الهند يستورد الطيب الداري، الذي نسب إلى دارين من بلاد البحرين، ترسو إليها مراكب تجار الهند، ويحمل منها إلى الاقطار وليست بمعدن المسك[3].

أما مَندل فهي بلد الهند، يجلب منه العود الفائق الذي يقال له (المندلي)، وانشدوا فيه:

اذا ما مَشت نادى بما في ثيابها ذكيّ الشَّذا والمندلي المطير[4]

وقد اقترن المندلي لدى العرب ـ لكثيرة استعماله ـ بنار القرى، وهي نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل، وكانوا يعقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر، وهذه النار من أجل نيران العرب[5]. وبعض أنواع المند غير الهندية، كالشحري والزنجي[6]. وغيرهما لكن العرب يفضلون الهندي حتى أنهم إذا أشاروا إليه، قالوا العود الهندي فقط؛ وهو نفسه وأجله، وسمي المندلي نسبة إلى مندل من بلاد الهند، ويجلب من ثلاثة مواضع منها، فأفضل ذلك القاميروني، وهو ما يجلب من القامرون، والقامرون مكان مرتفع في الهند[7]. ومن الهند يجلب المسك

(1) ياقوت: معجم البلدان، 3/ 216؛ النويري: نهاية الأرب، 12/ 14.
(2) ابن الفقيه: مختصر البلدان، 27.
(3) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 130.
(4) ياقوت: معجم البلدان، 5/ 209.
(5) الآلوسي: بلوغ الأرب، 1/ 69 ـ 70.
(6) النويري: نهاية الأرب، 12/ 13.
(7) اليعقوبي: البلدان، 209؛ النويري: نهاية الأرب، 12/ 15؛ القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 134 ـ 135.

القصاري، نسبة إلى قصار بين الهند والصين[1]. والهندي هو العطر الذي يحمل من التبت إلى الهند، ثم يحمل إلى الديبل، ثم يحمل في البحر إلى سيراف في بلاد العجم، وعمان من البحرين، وعدن من اليمن وغيرها من النواحي[2]. ويحمل إلى البصرة الكرك بألوس، يؤتى به إلى قرب عمان تشتريه منهم أصحاب المراكب[3]. وكذلك يحمل المسك الجبلي، من السند من أرض المولیان[*] وهو كبير النوافج، حسن اللون إلا أنه ضعيف الرائحة[4]. ويحمل القاقلي، والسلاهطي، والعولاتي، واللوقين، ويؤتي بالصندل من سُفالة الهند[5]، ويعتقد أحد الباحثين أن التجارة مع الهند تعرضت في العهد الساساني إلى شيء من الضغوط، نظرًا لتشجيع خصومهم البيزنطيين لها عبر البحر الأحمر[6].

ومن الهند تستورد أنواع أخرى من العطر أو الطيب، وأبرزها السنبل الهندي وأجوده العصافير الحمر اللون، وأصله حشيشة تنبت بأرض الهند، وهو نوعان؛ وكان بعض الخلفاء يأمر بأن يوكل بالمراكب التي تأتي من بلد الهند إلى الأُبلة، وغيرها من الفرض، من يكشف لهم السنبل، ويعتبره، فيخرج منه البِيش[**] من أجل تنقيته، وتحضيره، وإبعاد سموم الأفاعي

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 6 ـ 5؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 121.
(2) اليعقوبي: **البلدان**، 122؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 5 ـ 6؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 12 ـ 13؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131 ـ 132.
(*) هي مدينة بالهند ذكرها ياقوت باسم (مولتان): **معجم البلدان**، 5/ 227.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 109.
(5) اليعقوبي: **البلدان**، 209 ـ 211؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 11 ـ 12؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 135 ـ 137.
(6) النجم: **البحرين في صدر الإسلام**، 87.
(**) البِيش، نبات هندي وصيني يكون بكابل وهلاهل وأطراف السند. الانطاكي: **التذكرة**، 1/ 126.

عنه، والنباتات السامة التي تنبت معه[1]. ويستورد من الهند القسط المر، وهو الهندي لأنه يجلب من أرض الهند، وأجوده ما ابيض ورزن، وحين يستعمل للأدوية، يعمل منه دهن القسط[2].

الصين، بلد كبير معروف، وهي بلاد تعرف بجاوة على سواحل شبيهة ببلاد الهند، يجلب منها العود والكافور والسنبل والقرنفل والبسباسة والعقاقير الصينية[3]. وعندهم مسك جيد مادام في بلدهم، فإذا حمل منه تغير واستحال[4]، وفي قصر ملك الصين نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين[5]. ونسبة إلى الصين سمي أمين خزانة الطيب، وكان خادمًا يلي خزانة الطيب؛ فقال له المقتدر: كم عندك من الغالية؟ فقال: نيف وثلاثون حِبًا صينيًا مما عمله عدة من الخلفاء. قال: فأيها أطيب؟ قال: ما عمله الواثق. قال: فاحضرنيه، فأحضره حبًا عظيمًا يحمله خدم عدة، ففتح فإذا بغالية قد ابيضت من التشعيب على الحب، ثم رفع ومضت الأيام، فجلس المكتفي للشرب، فسال فأجيب بمثل ما أجيب به[6].

ويجلب من الصين المسك، وأفضله التبتي، نسبة إلى التبت من موضع يقال له (ذو سمت) بينه وبين التبت مسيرة شهرين، فيصار به إلى التبت، ثم يحمل إلى خراسان. وكذلك الكدهسي، الذي تتغذى غزلانه بحشيشة (الكندهسة)، وإذا قربت من بلده ارتفعت رائحته فلا يمكن التجار أن يستروه من العشارين، فإذا خرج من المركب جاءت رائحته، وذهبت عنه رائحة البحر؛ ويؤتى بالقنباري، وهو ينبت بين الصين والتبت، وربما

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 24 ـ 25.
(2) م. س، 12/ 28 ـ 29.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 440.
(4) م. س، 3/ 443.
(5) المسعودي: **مروج الذهب**، 3/ 307.
(6) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 7/ 217.

نما لونه فتنسبوه إلى التبت. وكذلك يؤتى بالمسك القصاري والجرجري والعصماري[1]. ويقال إن أفضل المسك هو التبتي، ثم بعد المسك الصيني، ثم الصيني، وأفضل الصيني ما يؤتى به من بلد خانقو[*]، وهي المدينة العظمى التي هي مرفأ الصين التي ترسي بها مراكب تجار المسلمين، ثم مجمل في البحر إلى الزقاق، فإذا قرب من بلد الأُبلة ارتفعت رائحته. أما القنباري فهو مسك جيد إلا انه دون التبتي في القيمة والجوهر واللون والرائحة، يؤتى به من قنبار بين الصين والتبت، وربما غالطوا به فنسبوه إلى التبت[2]. والتبتي يفضل على الصيني؛ لجهتين: إحداهما، أن ظباء التبت ترى سنبل الطيب على ما هو عليه، وأهل الصين ترعى الحشيش. والجهة الثانية، أنهم لا يخرجونه من نوافجه ويتركونه على ما هو عليه، وأهل الصين يخرجونه فيلحقه الغِش، فيخرج من ظبائه بعد بلوغه النهاية في النضج[3]. بينما كان أهل الصين يجمعون من المسك ما قرب منهم، وكذلك أهل التبت[4].

ويعد نشاط حركة التجارة مع الصين دليلًا على توسيع تجارة العرب، منذ القدم معها على الرغم من سعة التعامل مع الهند، وشيوع استخدام العطر الهندي حتى انهم لا يسمونه الطيب؛ كما استوردوا منها السيوف، فسموا ما استوردوه منها بالهندي والهنداوي؛ مثلما سموا ما استوردوه من الفخار والطيب من الصين بالصيني.

ولم تقتصر تجارة العرب الخارجية مع الصين على المسك وحده، وإنما شملت جميع العطور والغضار والعقاقير؛ فقد استوردوا منها العود

---

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 209 ـ 210؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8 ـ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128 ـ 130.

(*) بلدة شرقي نهر حمدان. القلقشندي: **صبح الأعشى**، 4/ 480.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 128 ـ 129.

(3) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 89.

(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 7.

الغماري، والقاقلي، والعود الصنفي المنسوب إلى (الصنف)[*] بناحية الصين، بينها وبين الصين جبل لا يسلك، وهو أجل أنواع الأعواد وأبقاها في الثياب، ومنهم من يفضله على القاقلي، ومنه صف يسمى القثور رطب أزرق، وهو أعذب رائحة من القطيعي ودونه، في القيمة. وأفضل الصيني نوع يسمى القطيعي، ومن الصيني أصناف منها المنطاوي، قطعة كبار، مَلِس سود لا عقد فيها ليست روائحها محمودة تصلح للأدوية، والسفوفات، والجورشنات. ومنه صنف يعرف بالجلاوي؛ هذا فضلًا عن العود الصندفوري[**] الصيني، وهو عود حسن اللون يشاكل الهندي في رائحته[1].

ومن الصين يستورد العود الذي سمي بالصيني نسبة إلى الصين؛ لأنه يؤتى به من الصين. والقطعي، وهو نوع من الصيني، والعطكي الذي يؤتى به من الصين، وهو عود صلب خفيف حسن المنظر إلا أنه قليل الصبر على النار. والأفليق، وهو أيضًا عود صيني، ويكون في العِظَم مثل الخشب الرانجي الغِلاظ، يباع المَن منه بدينار. والعود الطيب الريح في قشوره، وداخله خشب خفيف مثل الخلاف [شجر الصفصاف]؛ فإذا وضع على الجمر وجد له في أوَّله رائحة حلوة طيبة، فإذا أخذت النار منه، ظهرت منه رائحة رديئة كرائحة الشعر[2].

ومن الصين يستورد العود القامروني، وهو عود رطب، يعرف أحيانًا بالمندل، منسوب إلى مدينة يقال لها (قماريان)، واليها ينسب العود القماري، والصنفي، وكذلك الصيموري (نسبة إلى صيمور)[3]. ويحمل من

(*) الصنف، موضع بين الهند والصين، ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 430.

(**) الصندفوري، بلد في الصين. القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 135.

(1) اليعقوبي: **البلدان**، 211 ـ 212؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 18 ـ 19؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 135 ـ 136.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 19 ـ 20؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 136 ـ 137.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 425.

بحر الصنف الكافور، والعود، والقرنفل الصندل، والجوز، والبسباسة، والقافلة، والكبابة، وغير ذلك[1].

وفي الصين ينبت السنبل التبتي، نسبة إلى أرض التبت[2]؛ ولعل غلبة النوع الهندي جعل العرب تهمله، ولا تقيم له وزنًا. ولهذا فإن التجارة مع الصين كانت متصدعة بسبب الصراعات الدولية القائمة بين فارس والروم والحبشة، وتأثيرها في طرق المواصلات البحرية والبرية، لبعد الصين في خط المواصلات البري عن جزيرة العرب، إلا بعد الفتوحات الإسلامية حيث توسع العرب، وأصبحت حدودهم تلتصق بالصين والهند، خصوصًا في بلاد ما وراء النهر والصغد، ودخولهم أرض السند، ووصولهم إلى مياهه؛ وهذا يعني أن حركة التجارة الخارجية مع بلد واسع متعدد المحاصيل، والاقتصاديات، لابد أن يؤثر بشكل إيجابي في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية لدى العرب، مثلما أثرت الهند في علاقاتها، وأصبح التعامل معها مقبولًا، نتيجة التوافق الديني بين بلاد فارس والهند، حيث انتشرت المجوسية بين البلدين، وقدس الشعبان النار منذ أقدم العصور، كما كان العامل الديني مؤثرًا في انحسار العلاقات التجارية الاقتصادية مع الصين.

بلدان أُخرى

للعرب علاقات تجارية معروفة بالهند، والصين، وبعض البلدان الأخرى ـ شرقًا وغربًا ـ لاستكمال حاجاتهم منها، وحاجات المدن المتاخمة لهم، وخصوصًا تجارة العطور التي كانت الحاجة إليها مزدوجة دينية ودنيوية؛ فضلًا عن غلاء أسعارها، وجمال طيبها، ورغبة التجار في توسيع مصالحهم، وتطويرها من أجل زيادة الأرباح، لإرضاء طموحهم في حب الاستطلاع، واكتشاف أسرار البلدان، في زمن كثرت فيه الحكايات عنها، فأكثر الناس في وصف أجوائها، واعتدال ريحها،

(1) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 182.

(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 24.

وخصوصًا وأن جزيرة العرب بلد صحراوي لا يلبي راحة النفس صيفًا وشتاءً؛ لهذا رغبوا في رحلتي الشتاء والصيف ـ استجمامًا وتجارة ـ وخصوصًا، وأن «معظم التجار يشتغلون بالتجارة لحسابهم الخاص ويقومون بأعمالهم بأنفسهم وحدهم، وقد يقيمون في المنطقة فيشترون البضائع من المستوردين ويبيعونها، كما هو الحال بالنسبة للجالية الدارينية في المدينة المنورة»[(1)]. وهذا دليل على شمول تجارة العرب بلدانًا كثيرةً في تعاملهم.

لقد استورد العرب المسك الصغدي، وهو ما اشتراه تجار خراسان من التبت، وحملوه على الظهر إلى خراسان، ثم يحمل من خراسان إلى الآفاق[(2)]، والصغد كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وهي قرى متصلة الأشجار والبساتين، وهي أطيب أرض الله، غزيرة الأنهار، متجاوبة الأطيار[(3)]. وكذلك يستورد المسك الطُّغُرغُزي، نسبة إلى الطُّغُرغُز من أرض الترك، وهو مسك رزين يضرب إلى السواد، بطيء السحق، ولا يسلم من الخشونة إلا انهم ربما غالطوا به أيضًا[(4)]. كما يؤتى بالمسك القصاري من بلد بين الهند والصين، كما يؤتى بالمسك الجبلي من بلاد السند من أرض المولیان، وهو كبير النوافج من اللون إلا أنه ضعيف الرائحة[(5)]. كما يستورد المسك من أرض خوارزم، وقصب الطيب[(6)]، ومن مصر الطيب وعجائب الرياحين[(7)].

أما العنبر فإن بعضه ينتج في بلاد الشَّحر من أرض اليمن، وبعضه

(1) النجم: **البحرين في صدر الإسلام**، 88 ـ 89.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 5؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 127 ـ 128.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 409؛ النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 340.
(4) اليعقوبي: **البلدان**، 209؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8 ـ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 129.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 8 ـ 9؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 129.
(6) الجاحظ: **التبصرة بالتجارة**، 28.
(7) المسعودي: **مروج الذهب**، 2/ 79.

الآخر يستورد من سواحل الزنج (من أرض البربر) في أفريقيا فيسمى الزنجي، وهو الأبيض المدور والأزرق النادر، ولأهل هذه النواحي نُجُبٌ [ابل قوية] يركبون عليها في ليالي القمر على سواحلهم، وهذه النُّجُب تعرف العنبر، فإذا رأته بركت، فينزل صاحبه فيأخذه، فيؤدي به من بلاد الزنج [شمال افريقيا حاليًا] إلى عدن، وهو عنبر أبيض، وهو نظير الشَّحري[1]. وبعض المؤرخين يسميه الزانج، في إشارة إلى أنه ينبت في قعر البحر، ويتكون مثل الفِطر من الأبيض والأسود والكمأ ونحوه، فإذا خبث البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقِطَع العنبر[2].

ويستورد أيضًا العود المانطاي الذي يجلب من جزيرة (مانطاء)[*]، وهو ليس ذا قيمة مهمة، لأنه خفيف ليس بالحسن وقطعة كبار[3]. ويجلب الصندل الجوزي من (الجوز)، وهي جبال لبني صاهلة من أودية تهامة[**]، يضرب لونه إلى السمرة[4]، إلا أنه أضعف رائحة من المقاصيري، وبعضهم يسميه الجوري[5]، فينسبه إلى مدينة جور ببلاد فارس[6]؛ وهذا يشير إلى اضطراب البلدان التي تنتجه، وتتاجر به، ولعل اضطراب إنتاجه بين تهامة من أرض العرب، وبلاد فارس جاء بسبب نقله من تهامة إلى جور؛ فاختلط اسم جور باسم جوز، وخلف هذا الارتباك.

وكذلك كان يتوفر بلاد الروم عطر (الميعة) والمصطكى[7]، ولعله سمي بذلك لرطوبته، وقرب انتاجه من سواحل البحر المتوسط الذي تنتشر

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 11؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 131 ـ 132.
(2) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 79.
(*) مانطاء: جزيرة يجلب منها العنبر. القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 136.
(3) اليعقوبي: **البلدان**، 211 ـ 212؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 19؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 136.
(**) في جزيرة العرب. ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 63.
(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 138.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 22.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 181.
(7) ابن الفقيه: **مختصر البلدان**، 138.

فيه الأبخرة، حتى قيل عن انطاكية أن الطيب الفاخر فيها يتغيَّر حتى لا ينتفع به[1].

ويحمل من بلاد الأندلس الزعفران، وعروق الزنجبيل، وأصول الطيب خمسة أصناف: المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران، كلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها، إلا الزعفران والعنبر فيوجد بأرض الزنج والشحر والاندلس، وأنواع الأفاويه خمسة وعشرون صنفًا، وهي: السنبل والقرنفل والصندل والجوزيّوا والورد والسليخة والزرنب والقرفة والقرنوة والقاقلة والكبابة والهاليوا وحب المنشم والفاغيرة والمحلب والورس والقسط والأظفار والبُرنك والضرو والأذن والميعة والقنبل وقصب الذريرة والزبادة[2].

رحلة معاكسة

وبعد استقرار الدولة العربية الإسلامية أصبحت بعض الأمصار تصنع العطور، وتعيد تصديرها إلى البلدان التي أنتجتها؛ فقد كان يحمل زهرة الورد المزي إلى الهند، والى بلاد السند، والى الصين، والى وراء ذلك فيسمى هناك الزهر[3]. والمزة، قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق[4]؛ مما يشير إلى أن رحلة العطر من الشام إلى تلك البلدان بدأت بعد تطور صناعة العطور، ونشوء أساليب التقطير في صناعتها، وكذلك كانت بغداد مشهورة بالعطور، وأسواق العطور، فقد كان بالجانب الشرقي من بغداد ثمة سوق يسمى سوق العطارين، وعدد دكاكينه (43) دكانًا[5].

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 268.
(2) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 194 ـ 195.
(3) محمد كرد علي: **خطط الشام**، 4/ 173.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 122.
(5) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 212؛ مصطفى جواد وأحمد سوسة: **دليل خارطة بغداد**، 300.

الباب الثالث

الجوانب الاحتفالية والفكرية

الفصل الأول

الجوانب الاحتفالية والجسدية

توطئة

الحفل يعني الاجتماع والاحتشاد، والحفالة: ما رقَّ من الطيب من عكر الدهن والطيب[1]. فثمة صلة واضحة بين الاحتفال والطيب، تجعله يقترب من الاحتفال الطقسي؛ وذلك لأن الطقس لغة شعائرية لها قالب رمزي (شفري) بالكامل (يتعلق بالحركات أو الألفاظ)، كما أن تعاقب مفرداتها قابل للتنبؤ[2]. مما يجعل الطقس مرتبطًا بالاحتفال، لتصبح لدينا دورة من الطقوس ذات طبيعة احتفالية مرتبطة بالطيب؛ لذا فإنه «يشكل جانبًا حسيًا وماديًا في توكيد الجانب الروحي والنفسي عند العربي ويؤكد العواطف واتصال الهواجس وتفاعل الاواصر بنفس خلّاب وبهجة تجعل اللطم والصنف نوعًا من الطقوس والتواصلات التي تدخل في عمق الإرث الديني والإنساني عند العرب»[3].

من هذا المنطلق أصبح الطيب يدخل في الكثير من الطقوس والاحتفالات، كالأعياد وحفلات الزواج، وتوديع الموتى أو دفنهم لأسباب عديدة، بعضها أسباب تختص بطلب المغفرة والمحبة من الآلهة، وبعضها يختص بجلب الحظ أو الفأل الحسن، وبعضها له علاقة بالطمأنينة النفسية

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (حفل).

(2) بورديو، بيير: **أسئلة علم الاجتماع، حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي**، ترجمة إبراهيم فتحي (دار العالم الثالث، القاهرة، 1995م)، 118.

(3) الجنابي: قيس كاظم: **الطيب والطقوس السحرية**، مجلة التراث الشعبي، ع2، س32 (بغداد، 2001م)، 23.

من خلال العلاقة الخفية بين الأزهار والورود التي هي أصل الطيب بالراحة النفسية والجسدية؛ فقديمًا كانوا يرون أن النفس تهيج «بمطالعة الأزهار الأنيقة، وحسن نضارة الرياض الأريضة، فتنجلي بها همومها وتنصرف عنها شجونها، وليس ذلك إلا لما بها من آثار هذا الجمال الذي وهبها خالقها وأفاضه عليها من محل الجمال العلوي»[1]. وأحيانًا تمثل الرياحين طقسًا احتفاليا بكل ما هو جديد، كما يفعل أهل بلاد (نوبهار) الذين كان من سنتهم إذا بنوا بناءً حسنًا أو عقدوا بابًا أو طاقًا كللوه بالريحان؛ وتوخوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت[2]، في إشارة إلى أهمية البكارة والحداثة، وأحيانًا لزيادة الأبهة، وإدامة الانبهار بالسلطة، فقد شوهد سيف بن ذي يزن، وهو متضمخ بالعنبر يلصف وميض المسك من مفرقه إلى قدمه[3]. وأحيانًا للتعبير عن العطاء، ودعوة الآخر للقرى، وكأن الطيب هو احتفال بالكرم والبذل والسخاء، كما كانوا يفعلون حين يوقدون نار القرى، أي نار الضيافة التي توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل، فكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر، وربما أوقدوها بالمندل الرطب، وهو عطر ينسب إلى مندل، وهي بلدة من بلاد الهند ونحوه، مما يتبخر به ليهتدي إليه العميان، وهذه النار عندهم أجل سائر نيرانهم[4]. ولعل تفسير وضع العطر بهذه النيران، لكي يستدل بها العميان، هو من باب التفسير المتأخر، وإنما هو طقس احتفالي بالكرم.

العطر والأعياد

العيد، سمي عيدًا، لأنه يعود كل سنة[5]. من هنا اعتبر العرب

(1) ابن الدباغ، عبد الرحمن بن محمد القيرواني (ت696هـ/ 1296م): **مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب**، تح هـ. ريتر (دار صادر، بيروت د.ت)، 111.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 307.

(3) الازرقي: **اخبار مكة**، 1/ 150.

(4) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 1/ 69 ـ 70.

(5) ابن منظور: **اللسان**، مادة (عاد).

استعمال العطور دليل فرح، وتركها دليل حزنٍ وغمٍّ، وكان الاقبال على العطور شديدًا أيام الأعياد والأفراح، وكان العرب يقدمونه كنذر لتطييب المعابد والأصنام[1] وتعد الأعياد من جملة مظاهر الأديان وشعائرها، وكان الحج في ذاته عيدًا جاهليًا ثم إسلاميًا؛ لذا كانت أعياد العرب مرتبطة بآلهتهم وأصنامهم[2].

لقد تأثر العرب بأعياد الذين حولهم من الأقوام الأخرى كالهنود والفرس من أصحاب الديانات القديمة، وكذلك بأعياد اليهود والنصارى من أصحاب الديانات السماوية التي وفدت إليهم من البلدان التي حولهم، وكان نصيب الطيب في هذه الأعياد والاحتفالات كبيرًا.

وللعطر أهمية خاصة، وبالذات البخور من حيث الاتصال الروحي والجسدي، لأنه يعد من المواد الثمينة ذات الأثمان العالية، والقيمة الجمالية والنفسية المتميزة؛ لهذا يدخل في الكثير من الاحتفالات الدينية التي تعبر عن الابتهاج، أو عمليات التكهن عند العراقيين القدماء حيث يجري احراق البخور[3]. ففي مدائح (ننورتا) يحتفل المؤمن ببعض الصلوات ويقول: أقدم لك بخورًا زكي الرائحة[4]. ويعتقد سكان العراق القدماء بأن البخور يطهر الأجواء ويبعد الأرواح الشريرة، لذا يجري احراق البخور وسكب السوائل كالماء والزيت والحرق والاغتسال، وكان طقس احراق البخور يجري يوميًا في المعبد من قبل كهنة خاصين، كما كان احراق البخور يلازم عملية التعزيم؛ وذلك لاعتقادهم بأن مادة البخور (خصوصًا الحرمل) كانت تقوم بطرد الأرواح الشريرة، لأن مادة البخور عندما تملأ المكان، فإنها تحاصر هذه الأرواح وتضطرها إلى الخروج من الأبواب والشبابيك، فكان لكل معبد مذبح بخور، هو عبارة عن دكة عالية

(1) جواد علي: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، 8/ 93 ـ 96.
(2) جواد علي: **المفصل**، 6/ 310.
(3) لابات: **المعتقدات الدينية**، 192.
(4) شمار: **المسؤولية الجزائية**، 248.

يوضع عليها ما يشبه الموقد، وفي هذا الموقد تطرح مادة البخور كطقس يومي (او احتفال يومي)، أو مرافقة لطقوس أخرى، أو أنهم يستعملون الموقد المقدس، كما كان هناك أوعية خاصة بالبخور يمسكها الكهنة بأيديهم عندما يقومون بعملية التعزيم[1]؛ لذا كانت المبخرة شائعة جدًا في طقوس المعبد، ويمكن ان يقوم حرق الأخشاب العطرية كطقس تطهيري أو كصلاة للإله، لأن الآلهة تبتهج بالروائح العطرة[2]. أي أن العطر كان وسيلة لاسترضاء الآلهة، وكسب ثقتها حتى أن ننسون ام كلكامش أحرقت البخور وقدمت القرابين للإله شمس وناشدته قائلة: [3]

لِم أعطيت ولدي جلجامش قلبًا

لا يعرف السكون والاستقرار

والآن وقد حثثته فاعتزم سفرًا بعيدًا

وثمة حكاية تحاول أن تضفي نوعًا من القداسة على شخصية سرجون الاكدي[*] تقول انه ولد في مدينة على الفرات تدعى أزوبيرانو (مدينة الزعفران)، وهي مركز قديم لقطف مباسم صغيرة برتقالية، يصنع منها الزعفران[4]، تأكيدًا للجانب الاحتفالي في شخصيته، وفي الهند عيد يسمى (بهند) وهو عيد للنساء يأخذن فيه الزينة، ويفرضن على أزواجهن الهدايا، ويقربن الطيب، ولا يأكلن، وفي العاشر من (بيشاك) يبرز من البراهمة من

(1) الاسود: **ادب الغزل**، 292.

(2) لويد: **آثار بلاد الرافدين**، 48.

(3) فاضل عبد الواحد علي: **سومر أسطورة وملحمة** (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1997م)، 200.

(*) سرجون الاكدي، ملك من ملوك أكد الأقوياء (2234 ـ 2279/ 2371 ـ 2316ق.م). طه باقر: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1 (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986م)، 361.

(4) ميدر، بتي دي شونك، **صلوات انهيدوانا**، ترجمة كامل جابر (دار الجمل، بغداد ـ بيروت، 2009م)، 73.

استحضره ملوكهم للصحارى، ويوقدون النيران العظيمة للقرابين خمسة أيام[1]، وفي مصر أُدخل التطيب في الشعائر كرمز للتطهير، فلم يغسلوا التماثيل فقط، بل كانوا يطيبونها أيضًا، وتقول إحدى الترنيمات: (يمزج الزيت والشمع مع المر حتى يغلى الطيب المخصص لأطرافك)، ويحتاج المتوفى كذلك للطيب من أجل التطهير؛ وبسبب رائحته النفاذة، فإن له دلالة أخرى، أي بمعنى أن يستنشقه المتوفى برقة مثل الإله، ويعني ذلك أن يشارك المتوفى في الصلاة المقدسة[2].ان هذه الطقوس تقترن بالطيب، بوصفه مادة مطهرة، وقادرة على طرد الأرواح الشريرة، لذا فإن استعمال العطر هو استخدام احتفالي ومحاولة في جعل الطقوس احتفالات دينية يومية لها أهميتها في حياة الانسان لأسباب عدة منها:

1 ـ طرد الخوف عنه، ودفعه للشعور بأن الأرواح الشريرة قد هربت بعد حرق البخور، وان المكان أصبح آمنًا.

2 ـ منح النفس البشرية حالةً من الهدوء، تنبع من طيب العطر ونفاذه إلى النفس من خلال حاسة الشم.

3 ـ اداء واجب ديني احتفالي/طقسي يهيئ لاستخدام الأدعية، وطلب العون من الآلهة.

أما بالنسبة إلى اليهود، فقد دلت نصوص التوراة أن الطيب أو البخور اقترن بالموت أكثر من الأعياد والاحتفالات، واهتمت التوراة بصناعة، واستعمال الحنوط، وهذا يؤشر بأن الحزن لديهم له تأثير واضح في استخدام العطر، فكان لهم تأثيرهم في النصارى والمسلمين في اقامة بعض الاحتفالات أو الطقوس الدينية؛ ففي حلب باب يسمى باب اليهود حجرٌ على الطريق ينذر له، ويصب عليه ماء الورد والطيب، ويشترك المسلمون واليهود والنصارى في زيارته، يقال ان تحته قبر بعض الأنبياء[3]. وكان

(1) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ/ 1958م): **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذولة** (حيدر آباد الدكن، 1377هـ/ 1958م)، 487.

(2) لوركر: **معجم المعبودات**، 87 ـ 88.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 284.

للبخور شأن كبير لدى العرب قبل الإسلام في أداء الفروض في المعابد أيام الجاهلية، إذ لابد من حرق البخور فيها فيبخر بها المذبح والأصنام، كما يبخر القائمون بأداء تلك الفروض، وتسمى المبخرة (مسلم ومقطر)، والمجمرة، والمحمَّرة الموضع الذي يوضع فيه الجمر بالدخنة للتجمير[1].

أما الأعياد والاحتفالات النصرانية فقد اقترنت بالطيب، حتى ان ابرهة الأشرم[*] حين بنى كعبة القليس ليصرف العرب عن كعبتهم، كان يوقد بالمندل ويلطخ جدره بالمندل، فيسوِّده حتى يغيب الجوهر[2]. كما كان نصارى العرب إذا حييوا يقدمون مع التحية الرَّيحان، وكذلك يفعلون يوم السباسب[3]. لذا قال النابغة:

رِقاق النعال، طيب حُجزاتهم يُحيُّون بالرَّيحان يوم السَّباسب[4]

كما كان ملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج، يستهدون دهن البلسان صاحب مصر ويهادونه بسببه، لما يعتقدونه من أثر السيد المسيح ﷺ عليه في البئر[5]، ويسمى شجر البشام، وينبت في قرية، المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي منه الدهن، والخاصية في البئر الذي يقال إن السيد المسيح اغتسل فيها، والبلسان يشبَّه بشجر الحناء والرمان، ولها قوم يجرحونها ويستقطرون ماءها، ويسوقونها في آنية لطيفة من زجاج يجمعونه بجد واجتهاد عظيم، وهناك رجل نصراني يطبخه بصناعة لا يطلع عليه أحد[6]. ولعله هو سبت النور، وهو قبل عيد الفصح بيوم، وفيه يدهنون بدهن البلسان والزنبق؛ فاذا

(1) جواد علي: **المفصل**، 6/ 331.
(*) أحد ملوك الحبشة، حاول غزو مكة، وذلك في عام الفيل. الطبري: **تاريخ**، 2/ 137.
(2) الطبري: **تاريخ**، 2/ 137.
(3) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 1/ 348.
(4) **ديوانه**، 16.
(5) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 3/ 312.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 149.

صلوا، وحان الزوال فتحوا المذبح فدخل الناس إليه، وقد اشعلت الشموع[1]. وسمي العُمر الذي بنصيبين(*)، بعُمر الزعفران، لأنه أحد متنزهات الدنيا[2]. وفي أعياد النصارى يقول مدرك الشيباني(**) مخاطبًا شابًا نصرانيًا كان يهواه اسمه عمرو:

بحق أعياد الصليب الزُّهرِ وعيد شمعون وعيد الفطرِ
وبالشعانين العظيم القدر، وعيد مَرمَاري الرَّفيع الذِّكرِ
وعيد أشعيا، وبالهياكل، والدُّخُنِ اللَّاتي بكفِّ الحاملِ
يشفي بها من خبل كلِّ خابلِ ومن دَخيلِ السُّقم في المفاصلِ[3]

وفي عيد السعانين (الشعانين) يقول الشاعر العباسي:

الا أصبحاني يوم السعانين من قهوة عُتِّقت بِكُركينِ

كما اشار إلى هذا العيد، في نصرانية كان يهواها:

حبَّذا يومَ السعانين وما نِلْتُ فيهِ من نعيم لو يَدوم[4]

وهو أحد أعياد النصارى، وفي الحديث: ولا يخرجوا سعانين، وهو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سرياني معرب، جمع واحده سعنون[5]، وتفسيره التسبيح، ويعلمونه في سابع أحد من صومهم، وسنتهم أن يخرجوا بسعف النخيل من الكنيسة[6]. ويقام في أكثر من الأديرة في وقته، وهو في دير الأعلى في الموصل المطل على دجلة، حسن يخرج إليه الناس، فيقيمون فيه لأيام، ويشربون، قال الثرواني(***):

---

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 182؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 456.
(*) مدينة في بلاد الروم: ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 228.
(2) الشابشتي: **الديارات**، 191؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 512.
(**) شاعر معروف، ولد بالبصرة. الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 13/ 273.
(3) السراج القارئ: **مصارع العشاق**، 2/ 173 ـ 174.
(4) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 211، 185.
(5) ابن منظور: **اللسان**، مادة (سعن).
(6) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 180.
(***) محمد بن عبد الرحمن، شاعر عباسي. الشابشتي: **الديارات** 176.

فـي الـشـعـانـيـن وإن لا قـيـت فـي ذاك افـتـضـاحـا

وزاره المأمون في هذا اليوم، وخرج رهبانه، وبأيديهم المجامر وقد تقلدوا الصلبان[1]. مما يشير إلى علاقة هذا العيد بالعطر والبخور. واقترنت العديد من الديارات بالطيب والزهور والرياحين، فقد كان دير مَرَّان بنواحي الشام، على تلعة مشرفة على مزارع الزعفران[2]. وفي دير فثيون، بسر من رأى، وهو مقصود لطيبه، قال فيه بعض الكتاب:

يـا ربَّ ديـر عَـمَّـرتـه زمـنـا ثـالـث قـسـيـسـه وشـمـاسَـهُ
لا أعـد الـكـأس مـن يـدي رشـأ يُزري على المسكِ طيب أنفاسهُ[3]

مما يشير إلى أن الديارات كانت متنزهات، أو متنفسات لتغيير الأجواء، يرتادها الناس وخصوصًا الأدباء للتمتع بمناظر البساتين، واللقاء بالآخرين فكانت أماكن تثير البهجة، وتشجع على قول الشعر، وتذكر الأحبة والأصدقاء.

ولأعياد الفرس القديمة حضور في حياة العرب المسلمين، وتأثير واضح عليهم، وخصوصًا في عهد الدولة العباسية، مثل عيد النوروز وعيد المهرجان وعيد السَّذق، وأول من اتخذ النوروز من الفرس (جما الملك)، وهو الذي بنى طوس، وكان الدين قبله قد تغير وظهر الجور؛ فلما ملك جدد الدين، واظهر العدل فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي يوم جديد، فعربته العرب فقلبوا الواو فقالوا نيروز[4]. وهو عيد الربيع الذي يحتفل به يوم 21 آذار في كل عام الفرس والاكراد وغيرهم، وهو أول يوم من فرور

(1) الشابشتي: **الديارات**، 176 ـ 177.
(2) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/ 1094): **معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواقع**، تح مصطفى السقا، ج2 (لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1368هـ/ 1949م)، 602.
(3) البكري: **معجم ما استعجم**، 2/ 590.
(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 495. وقيل في عهد (جم شيد) ينظر: مسكويه: **تجارب الامم**، 10/ 53.

دين ماه من شهور الفرس، أمطر الله عليهم مطرًا فأحياهم، فرجعوا إلى أهاليهم فقال ملك ذلك الزمان: هذا نوروز، أي هذا يوم جديد[1].

أما عيد المهرجان فهو عيد الخريف، ومعناه فرح النفس وفي اسفرايين قرية اسمها (مهرجان)[2]. ويقع في السادس والعشرين من تشرين الأول، ويستمر ستة أيام آخرها يسمى المهرجان الأكبر، وهو احتفال بالانتصار على العرب ومقتل الملك الضحاك[3]. وأول ما ظهر المهرجان في زمن افريدون القائم بعد الضحاك [بيوراسف][*] من ملوك الفرس؛ وذلك انه لما ظهر بالضحاك فقيده وانقطع ما كان في زمنه من الظلم والفساد، سمي اليوم الذي ظفر به المهرجان والمهر الوفاء كأن معناه السلطان الوفاء[4]، وفي العصر الأموي رد عمر بن عبد العزيز هدايا النيروز والمهرجان[5].

وفي هذا اليوم أهدى أبو اسحاق الصابي[**] اسطرلابًا إلى عضد الدولة البويهي[***] وكتب معه: اهدي اليك بنو الاملاك واختلفوا في مهرجان جديد أنت مبليه[6]. وقد عرف العرب النَّيروز في العصر الأموي، فقال فيه جرير:

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 45؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 445 ـ 446.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 233.

(3) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 176؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 448.

(*) حول افريدون والضحاك. ينظر: ابن قتيبة: **المعارف**، تح ثروة عكاشة (دار الكتب ـ القاهرة 1960م)، 652؛ الجنابي: قيس كاظم: **السيرة التاريخية وسرد الحكاية**، **سيرة الضحاك بين التاريخ والحكاية**، مجلة المورد مج (33) ع (4) دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد1427، هـ/ 2006م) 87.

(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 2، 492/ 449.

(5) اليعقوبي: **تاريخ**، 3/ 50.

(**) إبراهيم بن هلال الصابي (ت384هـ/ 994م) ياقوت: **معجم الأدباء**، 1/ 324.

(***) أبو شجاع فناخسرو الابن الاكبر لركن الدولة البويهي. ترجمته: معاذ الله كبير: **الأسرة البويهية**، 115.

(6) ابن الجوزي: **المنتظم**، 7/ 116.

عجبتُ لفخر التّغلبي وتغلبٌ   تؤدي جِزى النَّيروز خضعًا رِقابُها[1]

وطالب معاوية بن أبي سفيان أهل السواد بان يهدوا إليه في النَّيروز والمهرجان، ففعلوا ذلك فبلغ عشرة آلاف ألف درهم[2].

وللعطر علاقة حميمة بالأعياد، لأنه تعبير عن علاقة طقسية بين الفرح والحياة، وفي العصر العباسي تفاقم الاحتفال بالأعياد القومية والدينية للفرس التي كانت شائعة قبل انهيار الدولة الساسانية الفارسية، واصبح الخلفاء العباسيون يتقبلون التهاني في عيد النوروز وعيد المهرجان وعيد السذق؛ فقد تلقى المتوكل التهاني فيه، حتى قال فيه الحسن بن وهب[*]: «وابهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد وحصل لك بشاشة أزهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المفدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة أيلول وتموز»[3]. وكان الاحتفال بأعياد الفرس قد بدأ بوقت مبكر من نشأة الدولة العباسية منذ عهد المهدي[4] قبل ان يستفحل أمر البرامكة، ويروى انه اتفق النيروز في شهر رمضان، فشرب عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، حتى قارب الفجر وغنى فيه:

اسقني صفراء صافية   ليلة النيروز والأحد
حرم الصوم أصباحها   فتزوَّد شربها لغد[5]

ودعاه الواثق في يوم النيروز، فلما دخل عليه غناه في شعر قاله وصنع فيه لحنًا، وهو:

هي للنوروز جاما   ومُداما ونُدما
يحمد الله والوا   ثق هارون الإماما

(1) ديوانه، 45.
(2) مكسويه: تجارب الامم، 2/ 22.
(*) أديب عباس (ت264هـ/ 879م). السامرائي، يونس: آل وهب (بغداد 1979م)، 472.
(3) الجاحظ: المحاسن والاضداد، 239.
(4) المسعودي: مروج الذهب، 4/ 174.
(5) الأصفهاني: الأغاني، 19/ 177.

مـــا راى كـــســـرى أنـــوشـــر وان مـــثـــل الـــعـــام عـــامـــا
نـــرجـــسًـــا غـــضًـــا وورْدًا وبـــهـــارًا وخـــزامـــى[1]

وفي سنة 282هـ/ 895م أمر المعتضد العباسي بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران؛ فسمي ذلك النيروز المعتضدي، ومنع الناس من عمل ما كانوا يعملون من نيروز العجم، من صب الماء، ورفع النيران، وغير ذلك[2].

وفي سنة 284هـ/ 897م نودي في عهد المعتضد أيضًا: لا يجتمع العامة على قاصٍ أو منجم، ولا غير ذلك، وأمر أن لا يهتموا بأمر النيروز، ثم أطلق لهم النوروز؛ فكانوا يصبون المياه على المارة، وتوسعوا في ذلك وغلوا حتى جعلوا يصبون الماء على الجند والشرط وغيرهم[3]. ونال النيروز اهتمام الشعراء، فتغنوا به وجعلوا اسمه مرتبطًا بالخمر والطيب والأزهار، قال المُعلى الطائي[*]:

بـاكـر صـبـوحـك ضـجـة الـنـيـروز واشـرب بـكـأسٍ مـتـرع وبـكـوزِ
ضـحـك الـربـيـع الـيـك عـن أنـواره آس ونـسـريـن ومَـرْمـا خُـوز[4]

وقال شاعر آخر:

جـعـلـت فـداك لـلـنـيـروز حـقٌ فـأنـت أعـظـم مـنـه حـقـا
ولـو أهـديـت فـيـه جـمـيـع مـلـكـي لـكـان جـلـيـلـه لـك مـسـتـدقـا[5]

وكان مذهب الفرس فيه أن تدهن ملوكهم بدهن البان تبركًا، وكذلك عوامهم وان يلبس العصب والوشمي، وان يتوج بتاج عليه صورة الشمس، وحجلتها الدائرة عليها، وفضل بعضهم المهرجان على النيروز، فقال:

---

(1) الأصفهاني: **الاغاني**، 19/ 192.
(2) الطبري: **تاريخ**، 10/ 39؛ ابن الاثير: **الكامل**، 6/ 483.
(3) ابن كثير: **البداية**، 11/ 102.
(*) ينظر حوله: الأصفهاني: **الاغاني**، 19/ 178.
(4) الأصفهاني: **الاغاني**، 19/ 178.
(5) الجاحظ: **المحاسن والاضداد**، 240.

أخا الفرس ان الفرس تعلم أنه لا طيب من نيروزها مهرجانها
لا بادر أيام نعمٌ هواؤها وإقبال أيام يسرٍ زمانها[1]

وهذا يعني أن النيروز ارتبط بترسبات عبادة الشمس، قبل الإسلام لدى الفرس، والعراقيين القدماء وأن هذه الطقوس ارتبطت بالماء، ثم أصبح الطيب جزءًا منها.

وكان للقرامطة اهتمام خاص باحتفالي النيروز والمهرجان، حتى روي أن حمدان قرمط، صام يومين في السنة، هما المهرجان والنيروز[2]. وفي حكاية بين المتوكل وعلي الجهم[*] قال الثاني:

اغتنم جدَّه الزمان الجديد واجعل المهرجان أيمن عيدِ

يريد يوم لهو، أما العيد فانه ما يعبد الله به الناس، مثل يوم الفطر والأضحى، والجمعة وأيام التشريق؛ أما المهرجان والنيروز فإنما هما من أعياد المجوس، ثم قال:

نحن أشياعكم من آل خراسا نِ أولو قوة وبأس شديد
نحن أبناء هذه الحرف السو د وأهل التشيّع المحمود[3]

وقال عبد الله بن العباس الربيعي في يوم مهرجان:

المهرجان يوم الاثنين يوم سرور طيب زينِ
ينقل من حرٍّ مصيف إلى برد شتاء بينَ فصلينِ
محمد بن الجهم[**] يامن بنا هُ المجد من أكرم بيتين
عُشْ ألف نيروز ومهرج بنا مغتبطًا في قرة العين[4]

---

(1) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 450. والبيتان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ينظر: الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 1/ 355.
(2) الطبري: **تاريخ**، 10/ 26؛ المقريزي: **اتعاظ الحنفا**، 1/ 154.
(*) شاعر عباسي (ت249هـ/ 863م) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 11/ 367.
(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 23/ 105.
(**) لعله يريد به علي بن الجهم.
(4) الأصفهاني: **الأغاني**، 19/ 188.

وقال آخر في يوم المهرجان:

ليت شعري مهرجتَ يا دهقان وقديمًا ما مهرج الفتيان[1]

وغالب هذه الأعياد تحصل أيام اعتدال الجو، وتعبر عن الاحتفال بالخصب في الربيع، أو بقدوم وقت البذار في الخريف، وتقترن بالماء والطيب.

ومن احتفالات الفرس أيضًا يوم السَّذق (أو السدق) الذي شاع الاحتفال به في العصر العباسي، حتى كان المجتمع العراقي يحتفل بالأعياد القومية للفرس باندماج تام يزيد على اندماجه بأعياده؛ ومن أعياد الفرس ليلة الوقود أو عيد السذق، وفي هذه الليلة تعمل نار عظيمة تسمى نار السّذق، وكان من عادة كبار رجال الدولة في هذا العيد وغيره الجلوس لقبول التهاني والهدايا، فوصفها الشعراء على انها ليلة شتوية[2]. وهو يعمل ليلة 11 من كل شهر، ويسمى عندهم أبان روز، لان لكل يوم من أيام الشهر عندهم اسمًا[3]، ويسمى ليلة الوقود[4].

ووصف أدبه بالأدب السذقي، وفيه توقد النيران حتى يصبح الليل كالنهار، افتتح التهاني بهذا العيد منذ عصر المأمون؛ فأهدى له أحمد بن يوسف الكاتب[*] سفطًا فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه، وكتب مع الهدية يقول: هذا يوم جرت فيه العادة بإلطاف العبيد على السادة[5]؛ مما يدلل على اقتران الطيب بالأعياد الفارسية. وفي يوم السذق تشعل فيه

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 453.

(2) الراوي: **المجتمع العراقي**، 318.

(3) النويري: **نهاية الارب**، 1/ 178.

(4) مسكويه: **تجارب الامم**، 5/ 402.

(*) أديب عباسي (ت213هـ/ 828م) ترجمته: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 5/ 216.

(5) مصطفى جواد: **أثر الأعياد في الأدب العربي**، مجلة الاعتدال ع1 س6 (النجف، ربيع الثاني 1365هـ/ 1946م)، 30 ـ 31.

الشموع، وتوقد النيران في السيمريات (السفن) بدجلة، كما حصل عام 484هـ/ 1091م حين عمل السلطان ملك شاه(*) احد سلاطين آل بويه، فقال أبو القاسم المطرز(**) يصفه:

وكل نار على العشاق مضرمة   من نار قلبي أو من ليلة السَّذق
نار تجلت بها الظلماء واشتهت   بسذقة الليل فيها غرة الفلق[1]

فكانت هذه الأعياد إحياء للشعائر والاحتفالات القديمة في العراق القديم التي ارتبطت بثقافة الفرس قبل الإسلام ومعتقداتهم الدينية، وفيها غالبًا ما تستخدم العطور، وتوقد النيران وتبتهج الأنفس، وقد أعاد الخلفاء العباسيون الاحتفال بها، وخصوصًا، بعد مجيء سلاطين بني بويه إلى السلطة.

العطر وطقوس الموت

يعد الموت حالة مرعبة بالنسبة للإنسان، لذا حاول تخفيف وطأة التعامل معه، فكان العطر إحدى وسائل التخفيف من هذه الوطأة، فاقترن بطقوس خاصة، واساليب مخففة من وقع الفجيعة؛ فضلًا عن اكتساب الريح الطيبة، وتقديم الأدعية والتوسلات المقرونة بحرق البخور أو التحنيط، وما شابه ذلك. ففي العراق القديم كان جثمان الميت يضمخ بأنواع الروائح العطرية الطيارة، ويدهن بالزيت الخالص، ويلبس الملابس الملكية ويوضع في تابوت صخري[2].

(*) سلطان من آل بويه، ديلمي معروف. ينظر: القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 451.

(**) عبد الله بن محمد بن يحيى، شاعر بغدادي (ت439هـ/ 960م). الزركلي: **الأعلام**، 4/ 177.

(1) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 180؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 451.

(2) كونتينو، جورج: **الحياة اليومية في بابل وآشور**، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي (وزارة الثقافة والأعلام ـ دار الرشيد للنشر، بغداد، 1979م)، 494.

وفي مصر الفرعونية كانت الزهور تقدم للآلهة، والموتى عندما تخرج على هيئة باقة كانت تستخدم كقربان، لأن الأريج المقدس كان واضحًا في رائحة الزهور، وكانت باقات الزهور رمزًا للحياة، ونبتت زهرة اللوتس من المياه الازلية؛ لذا اعتبرت مقدسة، إذ يرى الموتى وهم ينعشون أنفسهم بالعطور الطيبة، وهي النبات الخاص بالإله نفرتم[(1)]. وتوجد في القرابين الطقسية، في الشعائر الجنائزية، سبعة أنواع من الزيوت بالإضافة إلى صب الماء، وحرق البخور[(2)]. وعن الفراعنة أخذ اليهود عادة تحنيط الموتى، حتى أمر النبي يوسف ﷺ عبيده الأطباء ان يحنطوا أباه فاستغرق ذلك أربعين يومًا، وهي الأيام المطلوبة لاستكمال التحنيط[(3)].

وفي العصر العباسي هلك بهرام الأرمني[(*)] فأُخرج تابوته، وعليه ثوب ديباج أحمر، ومن حوله النصارى يجرون باللبان والصبار وسن العود، وجميع الناس مشاة[(4)].

وفي جزيرة سرنديب التي يجلب منها العود الهندي الطيب الريح، ثمة تقليد فيه طقوس خاصة بالموت يقترن بالطيب، لانهم إذا مات ملكهم الأكبر قطع أربع قطع، وحصل كل قطعة في صندوق من الصندل والعود فيحرقونه بالنار، وامرأته أيضًا تهاوت نفسها على النار حتى تحترق معه[(5)]. مما يشير إلى ان علاقة العطر بالطقوس علاقة مباشرة، لدى الكثير من الشعوب، إذ يستعمل دهن العطر لدى فتاك الهند وشجعانها حين اللقاء، لأنه عندهم مما يشجع القلب، ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام[(6)].

---

(1) لوركر: معجم المعبودات، 416، 211.
(2) م. س، 147.
(3) سفر الخروج: 5/ 2 ـ 3.
(*) أرمني نصراني. ينظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، 3/ 175.
(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا، 3/ 175.
(5) ياقوت: معجم البلدان، 3/ 216.
(6) المسعودي: مروج الذهب، 2/ 139.

وفي سنة 276هـ/ 889م انفرج تل بنهر الصلة[*] (يعرف بتل شقيق) عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة عليها أكفان جدد لينة لها أهداب تفوح منها رائحة المسك[1]؛ مما يدل على اهتمام القدماء بطقوس خاصة في التحنيط والدفن، مقرونة باستخدام الطيب لتلافي رهبة الموت والمحافظة على رائحة جسد الميت.

ومن الطقوس التي اقترنت بالطيب والموت حلف المطيبين إذا أخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على انفسهم؛ فسموا المطيبين، وكذلك فعل الأحلاف[2]. وقيل إن أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب أخرجت هذا الطيب، ثم وضعت الجفنة في الحجر، فتطيب بنو عبد مناف، واسد، وزهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، وكان تحالفهم «ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا»[3]. أي القتال ضد العدو حتى الموت؛ وكأن الطيب كان دفعًا للكذب والتخاذل، ومقدمة لاستقبال الموت، لذا كان الحُلة [خزاعة وما جاورها] ذوي نسك لا يمسون النساء ولا الطيب ولا يأكلون لحمًا، ولا يلبسون في حجهم جسم وبرًا ولا صدفًا[4]، لاقتران الطيب بالفرح، كما اقترن الطيب بطقوس الموت، عند العرب قبل الإسلام، وذلك في ظاهرة الوأد لديهم، ويعني دفن الانسان حيًا، وانشدوا:

مالقي الموءود من ظُلم أُمهِ   كما لقيت ذُهلٌ جميعًا وعامرُ

(*) قرب واسط. م.س، 5/ 321.

(1) الطبري: **تاريخ**، 10/ 16.

(2) ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت 213هـ/ 828م): **السيرة النبوية**، تح أحمد جاد، ج1 (دار الغد، المنصورة، 1424هـ/ 2003م)، 115.

(3) اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 219، 2/ 13؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 78.

(4) اليعقوبي: **تاريخ**، 1/ 226.

أراد من ظلم أُمه إياه بالوأد[1]. جاء في التنزيل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[2]. وكان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياء خوفًا من الفقر، وانفة من التزويج والسباء، وكان العربي إذا أراد ان يفعل ذلك بابنته طيبها وزينها[3]، توكيدًا لطقوس مواجهة الموت بالرائحة الطيبة التي من بينها العطر. وفي يوم حليمة كانت حليمة[4] تطيب الذاهبين إلى ساحة الحرب تشجيعًا لهم، وكسبًا لمساعدة الآلهة، لذا طيبت حليمة لبيد بن عمرو قبل المعركة، فقبلها فلطمته[5].

وكانت العرب أثناء المبارزة تقضي أن يخرج من كل جانب محارب أو أكثر يتبخترون تباهيًا بأنفسهم، وقد يتحلقون ويتعطرون وينشدون الشعر، ويتفاخرون بأنفسهم وقبائلهم[6]. قال بعض شعراء غسان، بيوم حليمة:

يوم وادي حليمة وأزلفنا ... بالعناجيج والرماح الظماءِ
اذ شحنا من رقاقِ ... رقٍّ من وقعها سنا السَّحناءِ
وأتت هندٌ بالخلوق إلى من ... كان ذا نجدةٍ وفضلٍ وغناءِ
ونصبنا الجفان في ساحة المر ... جِ فملنا إلى جفان مِلاءِ[7]

ويبدو أن للحرب طقوسها الخاصة التي تقترن بطقوس الطيب؛ فالشعر له أثرٌ فاعلٌ في الأحداث، وثيقة وفكرًا واحالة إلى المصادر والمواقف، فهذه هند هي التي تأتي بالخلوق (الطيب)، وليست حليمة، كما تعارف المؤرخون عليها، وهي تطيب أو تخلق كل ذي نجدة، أي كل شجاع؛ وكأن الموت يقترن بالشجعان ويتضمخ بالخلوق. وهذا يدلل أن

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (وأد).
(2) سورة التكوير؛ الآيتان: 8 ـ 9.
(3) الآلوسي: **بلوغ الأرب**، 3/ 43.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 296؛ ابن منظور: **اللسان**، مادة (حلم).
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 3/ 45.
(6) جواد علي: **المفصل**، 5/ 345.
(7) ابن الاثير: **الكامل**، 1/ 489.

الطيب عند العرب اقترن بالدفاع عن الحياة حتى الموت، فكانت حليمة تطيب من مرَّ بها من جند أبيها، فجعلوا يمرون وتطيبهم، قال النابغة:

تُـورِّثـن مـن أزمـان يـوم حـلـيـمـةٍ، إلى اليوم قد جُرِّبنَ كلّ التجارب[1]

في إشارة إلى الاتصال السحري عبر الطيب لطرد الأرواح الشريرة، مع انه يستخدم في عمليات إجراء السحر، والاتصال بالآخر يعد من السحر الاتصالي، ولأن المسألة تتعلق بالحرب فإن فكرة ابعاد الخطر باستخدام الأدعية والطيب بقيت من ترسبات العصور الجاهلية القديمة، التي اقترنت بالموت، واصبح عطر منشم يعني القطيعة أو الموت والفناء، قال العباس بن مرداس[*]:

ولـم أحـتـسـب سـفـيـانَ حـتـى لـقـيـتـه عـلـى مـاقـط بـيـنـنـا عـطـر مـنـشـم[2]

واستعمل أهل الجاهلية (الحنوط) في تجهيز موتاهم، وهو مواد معطرة ذات رائحة طيبة، وكان معروفًا عند الساميين[3]. وكان الحناط يباع في أسواق العرب ومنها مكة فقد كانت منشم تبيع الحنوط بمكة، فتشاءمت العرب من طيبها فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضربت العرب بطيبها المثل، حتى قالت: (أشأم من منشم)، قال زهير:

تداركتكما عبسًا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

أو قالوا: (أشأم من عطر منشم)[4]؛ فأصبح للعطر دلالة واضحة على الموت، وغدا يقترن بالحنوط، حتى قال الأعشى:

---

(1) **ديوانه**، 15.

(*) شاعر مخضرم (ت نحو 18هـ/ 639م). ابن سعد: **الطبقات**، 4/ 72.

(2) السلمي، العباس بن مرداس (ت نحو 18هـ/ 639م): **ديوانه**، تح يحيى الجبوري (طبع دار الجمهورية، وزارة الأعلام، بغداد، 1388هـ/ 1968م)، 146.

(3) جواد علي: **المفصل**، 5/ 128 ـ 129.

(4) الأصمعي: **الأمثال**، 91؛ ثعلب: **شرح ديوان زهير**، 15 ـ 16؛ الانباري: **شرح المعلقات السبع**، 107.

أراني وعَمرًا بتنا دقَّ منشم، فلم يبق الاّ ان أُجن ويكلبا[1]

لانهم إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها، وتحالفوا عليه ان يستميتوا في الحرب ولا يولوا أو يقتلوا، فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة، يقول الناس: قد دقوا بينهم عطر منشم، فاصبح مثلًا[2].

وأحيانًا ترتبط القبور بالمسك، قال الشاعر:

وكالمسكِ تُرب مناماتهم وريا قبورهم أطيب[3]

وبعض النساء يتطيبن ويأخذن زينتهن إذا مات من يكرهنه أو قتل، وخصوصًا إذا كان له نصيب بقتل اقربائهن أو أزواجهن، ويروى ان نساء كندة في حضرموت خضبن أيديهن، وضربن بالدفوف عند سماعهن بوفاة النبي ﷺ فقال رجل منهم:

أبلغ أبا بكرٍ إذا جئته أن البغايا ومن أيّ حرامِ

أظهرن من موت النبي شماتة وخضبن أيديهن بالعُلامِ

فاقطع هديت أكفهن بصارم كالبرق أومض في متون غمام[4]

كما كانت المرأة المعتدة ـ بعد فقدان زوجها ـ تنهي عدتها بمس الطيب[5].

واستمر الاهتمام بالطيب في العصور الإسلامية حتى ان يوم بدر حصل بسبب استيلاء المسلمين على قافلة لقريش تحمل طيبًا، فوصل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى وادي مكة وقد جدع بعيره وحوّل رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة![6] واللطيمة هي العير التي تحمل الطيب.

---

(1) ديوانه، 12.
(2) الأصمعي: الأمثال، 91.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، 1/ 108.
(4) الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح سليم النعيمي، ج3 (مط العاني، وزارة الاوقاف، بغداد، 1400هـ/ 1980م)، 57.
(5) النويري: نهاية الأرب، 3/ 115.
(6) الأصفهاني: الأغاني، 4/ 178.

واقترنت وفاة أبي ذر الغفاري ﷺ سنة 32هـ/ 932م بنضح المسك فكان المسك حنوطه[1]، وفي موقعة الجمل قال بعض أصحاب عائشة ﵂: بعر جمل أُمنا ريحه ريح المسك[2]؛ في إشارة إلى علاقة الموت بالطيب وتقديسهم لبعر الجمل، وهو نوع من الإيهام الطقسي الذي يولده هاجس الخوف من الموت، وشعور الانسان بان الطيب يقيه من النهاية المحتومة، أو يقلل من وقعها النفسي عليه، وذلك لأنه يشعر بأن الطيب يحيله إلى طيب الجنة الذي جلبه آدم منها، في عودة مضادة إلى الحياة الأخرى، وثمة مواقف واضحة لأحداث تاريخية إسلامية اشارت بوضوح إلى علاقة حميمة بين الطيب وطقوس الموت؛ ففي حادثة الطف سنه 61هـ/ 680م أمر الحسين بن علي ﷺ[*] بمسك، فميث في جفنة عظمة واطّلى، وركب دابته، ودعا بمصحف فوضعه أمامه واقتتل اصحابه بين يديه قتالًا شديدًا[3]. وحين نهض أصحابه الذين عرفوا بالتوابين بعد ضعف الدولة الأموية طالبين بثأره قالوا لقتلة الحسين: يا قتلة الصالحين، يا قتلة سيد شباب أهل الجنة، إلا ترون الله قد أقاد عنكم اليوم؟ لقد جاءكم الورس بيوم نحس، وكانوا أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين فأخرجوهم إلى السوق فضربت رقابهم[4].

وحين عزم المختار بن أبي عبيد الثقفي[**] (ت 67هـ/ 686م) على الخروج، ورأى من أصحابه الضعف والتردد أرسل إلى امرأته ام ثابت بنت سمرة بن جندب، فأرسلت إليه بطيب كثير، فاغتسل وتحنط، ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته[5].

---

(1) الطبري: **تاريخ**، 4/ 309.
(2) م. س، 4/ 523.
(*) غني عن التعريف (ت 61هـ/ 680م). ترجمته: الطبري: **تاريخ**، 5/ 404.
(3) مسكويه: **تجارب الامم**، 2/ 76.
(4) م. س، 2/ 179.
(**) الجنابي: قيس كاظم، **اثر الشعر في تدوين الاحداث التاريخية** (دار الافاق العربية، القاهرة، 2007م)، 162.
(5) مسكويه: **تجارب الامم**، 2/ 208 ـ 209.

وثمة أكثر من حادثة تشير إلى أن الحنوط المسبق (قبل القتل) هو طقس خاص لاستقبال الموت، يقوم به الانسان قبل موته، وخصوصًا حين يشعر بشدة الخطر، وغالبًا ما يفعل ذلك الابطال والفرسان لتعرف رؤوسهم عن غيرهم، وهم مستسلمون للموت حتى يحتفظوا بطيب خاص يبعد عنهم عفونه الجسد بعد الموت، وقد عبر عن هذه الحالة بجرأة كبيرة الحكم بن هشام الربضي الاندلسي، حين طلب قارورة الغالية، فأبطأوا عليه، وقالوا له: هذا وقت غالية! فقال: بم يعرف رأسي إذا قطع من رؤوسهم[1]. ومن هذا المنطلق استأمن الأمين جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون الذين جاؤوا لاحتلال بغداد، فغلل لحاهم بالغالية، فسموا قواد الغالية[2]. وأحيانًا يحصل التحنيط بعد الموت؛ فقد حنط عبد الملك بن مروان برأس عبد الله بن الزبير حين بعث به إليه من قبل الحجاج بن يوسف، وجماعة من أهله إلى المدينة، وغسّله وبعث به إلى أهله بالمدينة[3]. وأخذ بعض السواس الأمين قبل مقتله حين شم منه رائحة المسك، كما أمر المأمون حين وصل رأس أخيه الأمين إليه أن يطيب وجعله في سفط ورده إلى العراق[4].

وبقي عبد الله بن الزبير قبل مقتله أيامًا يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن فلما قتل وصلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل: ان الحجاج بن يوسف الثقفي صلب معه كلبًا ميتًا، فغلب على ريح المسك، وقيل بل صلب معه سنورًا[5]. وهذا يعني أن الطيب قد ارتبط بالموت ليس في حالاته الاعتيادية، حتى أن الكثير من الثائرين الذين يتوقعون مقتلهم في أية لحظة كانوا يتضمخون بالمسك حتى يظل ذلك الطيب مسيطرًا على رائحة أبدانهم، وهو ما حصل للمأمون وغيره، حين شعروا بالخطر؛ مما يدلل

(1) المراكشي: **المعجب**، 17.
(2) مسكويه: **تجارب الامم**، 4/ 86.
(3) م. س، 2/ 248 ـ 249.
(4) المسعودي: **مروج الذهب**، 4/ 294 ـ 296.
(5) ابن الاثير: **الكامل**، 3/ 405.

على أن الطيب، وان ارتبط استعماله بالفرح كان جزءًا لايتجزأ من طقوس الموت، أو طقوس استقباله، ولعل هذا الهاجس كان موغلًا في عمق التاريخ، وجزءًا من تصور خاص يرتبط بفكرة ريح الجنة وطيبها، وانه مقدمة من مقدماتها في التفكير الديني. وقال مالك بن الريب[*] يرثي نفسه ذاكرًا السدر والأكفان:

وقومًا إذا ما استلَّ روحي فهيئا لي السدر والأكفان عند فنائيا[1]

ووجدت كتابة على قبر صاحبها:

تنفح المسك ذفاريهم وعنبر يقطبه القاطب[2]

وكان قبر عبد الملك بن محمد بن ميسرة اليافعي (ت493هـ/ 1099م) يزار ويتبرك به، وتشم منه رائحة المسك[3]. وقال الشاعر في يحيى بن عمر الطالبي، بعد مقتله:

تضوع مسكًا جانب القبر إذ ثوى وما كان لولا شلوُهُ يتضوع[4]

وفي سنة 366هـ/ 976م أمر أبو الفتح بن العميد ليلة قبض بإحضار الندماء وأنواع الطيب[5].

ورثى العطوي، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية البصري، أحد شعراء الدولة العباسية أحمد بن أبي دؤاد[**]، فقال:

أحنَّطتَهُ يا نصرُ بالكافور ورفعته للمنزل المهجورِ
هلا ببعض خصاله حنطته فيضوع أفق منازلٍ وقبورِ

(*) شاعر اموي (ت نحو 60هـ/ 680م). ابن حبيب: **المحبر**، 229، 213.
(1) القيسي: **شعراء امويون**، 1/ 44.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، 3/ 159.
(3) ابن مخرمة: **تاريخ ثغر عدن**، 159. وترجمته في هذا الموضع.
(4) المسعودي: **مروج الذهب**، 5/ 64.
(5) ابن الاثير: **الكامل**، 7/ 348.
(**) ينسب إلى أبي دؤاد الإيادي الشاعر الجاهلي. ينظر حوله وحول العطوي: الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 572.

تـــالله لـــو شـــريـــف أخـــلاقٍ لـــه يُـعـزى إلـى الـتـقـديـر والـتـطـهـيـر
حنَّطت من سكن الثرى وعلا الرُبا لتزوّدوه عُدَّةً لنشورِ

وقال أيضًا:

وليس نسيم المسك ريا حنوطهِ ولـكـنـه ذاك الـثُّـنـاء الـمـخـلَّـف[1]

وهذا يدل على علاقة حميمة بين الحنوط أو الكافور، والمسك بطقوس الموت نتيجة الرهبة الكامنة في النفس الانسانية من الموت، ويبدو أن الموت اقترن بداية ونهاية بالطيب، وان الطيب كان على النقيض من الروائح النتنة والمواقف الأليمة، وان الموت يقف على قدم وساق من تلك المواقف والروائح، فيحاول العرب استخدام الطيب لمجابهة الأخطار والمخاوف ومجابهة هواجس الوحشة والمعاناة والخوف من المجهول (الموت) الذي يرتبط ببيئة الصحراء حيث الغزو والوحوش الكاسرة، لأنَّ نفحة الاتصال والانتعاش التي يبثها الطيب تدفعه بقوة نحو الحياة وقوتها في تحدي الآلام، ومن هنا صار الاتصال بالطيب اتصالًا بالحياة، وصار الاتصال بالطيب تصديًا قويًا للموت، لهذا تفاءلوا به تفاؤلًا قويًا في صدِّ الخسارات وصدِّ المخاوف والأوهام والمصائب، لأنه يستخدم الطيب مشفوعًا بإرث أسطوري طقسي جامع يحمل معه إرثًا واضحًا وارثًا طقسيًا دينيًا[2].

العطر والطقوس الدينية

اقترن الطيب والبخور بالطقوس الدينية منذ الأزل؛ فقد كان الناس يأتون بالمجامر ليجمروا بها الكعبة تقربًا بعملهم هذا إلى الأصنام حتى أن حريقًا حدث بسبب هذا التجمير، وهو من شعائر التقديم والتعظيم. وهو ما يدخل في الطقوس، وقد صرفت المعابد القديمة أموالًا على شراء العود وغيره لإحراقه في المجامر لتطييب المذبح والمعبد، وقد استعمله

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 573، 572

(2) الجنابي: **الطيب والطقوس السحرية**، 21 ـ 22.

الجاهليون في بيوتهم المظلمة[1]. وكذلك يستخدم الكهنة البخور في عمليات التكهن للكشف عما سيقع في المستقبل؛ وذلك قبل البدء بها ويستمر إلى ما بعد انتهاء التنبؤ، لان البخور من الروائح الطيبة التي تؤثر في الأرواح فتجلبها إلى المكان بسرعة[2]. وفي مصر القديمة كان معبد الإله أمون[*] يمثل بجسد آدمي ورأس ثور مادًا يده باتجاه الكهان والمصلين، كأنه يحميهم، وفي تجويف في بطنه تشتعل النار الأبدية المقدسة، والدخان يتصاعد من فمه ممزوجًا برائحة البخور[3]. ويزعم (الباسنويّة)[**] أنَّ رسولهم (ملك روحاني) نزل من السماء على صورة بشر، فأمرهم بتعظيم النار وأن يتقربوا إليها بالعطر والطيب والأدهان والذبائح[4]؛ مما يشير إلى ارتباط العطر بالطقوس الدينية حتى أن أهل الصين كانوا يتقربون إلى عبادة الكواكب بدُخَنٍ معلومة بأنواع الطيب[5].

واستمر هذا الطقس الديني المرتبط بالعطر بطرق شتى في العهد الإسلامي، كما استمر اهتمام العرب بالطيب بوصفه عنصرًا مهمًا من عناصر الاتصال بالقوى الغيبية، حتى ان معاوية بن أبي سفيان في خلافته أعاد هذا الاتصال بين الكعبة والطيب؛ فكان أول من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال[6]؛ لان الطيب

(1) جواد علي: **المفصل**، 6/ 332.
(2) م. س، 6/ 596.
(*) كان يعبد بمصر في هيئة إوزة، وهو إله العاصفة في طيبة. ينظر: لوركر: **معجم المعبودات**، 57.
(3) سامي ريحانا: **موسوعة أساطير وشعوب العالم**، مج3 (دار نوبليس، بيروت، 2010م)، 79.
(**) فرقة دينية مهتمة بالروحانية، قريبة من الصابئة.
(4) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/ 1153م): **الملل والنحل**، تح محمد فتح الله بدران، ج2 (مكتبة الانجلو المصرية، المصرية، القاهرة، ط2، د.ت)، 263.
(5) المسعودي: **مروج الذهب**، 1/ 160.
(6) الازرقي: **اخبار مكة**، 1/ 254، وكذلك فعل المهدي سنة 160هـ/ 776م. م.س، 1/ 262 ـ 263.

بقي جزءًا من أناقة المسلم في أيام الجمع والأعياد حتى ان ابن عمر[*] (عبد الله بن عمر بن الخطاب) كان لا يروح إلى الجمعة إلا وهو مدهن متطيب، إلا ان يكون محرمًا[1]؛ لأن الطيب يستمد قوته من الجنة، بعد ان جلبه آدم أبو البشر منها إلى الأرض[2].

ولطخ ابن الزبير جدر الكعبة بالمسك حين فرغ من بنائها، بعد حريقها في عهده، وانه خلّق جوفها بالعنبر والمسك، ولطخ جدرها من خارج بالمسك، وسترها بالديباج. كما كان يجمرها كل يوم بركل من مجمر ويوم الجمعة برطلين[3]. وكان أبو المعالي أحمد بن محمد بن علي بن أحمد البغدادي[**] يحرق البخور في جامع المنصور احتسابًا، فجعل أهل بغداد البخوري بخاريًا، وعرف بيته في بغداد ببيت ابن البخاري[4]؛ مما يشير إلى دخول الطيب في الطقوس الدينية اليومية من خلال المساجد، وفي أوقات الصلوات كافةً، وأوقات الجمع والأعياد حتى أن أم المقتدر صنعت صفة ندٍّ لتبخر به الكعبة، وصخرة بيت المقدس كل جمعة[5].

وتأثر المسلمون في العهد الفاطمي بأقباط مصر في طقوس الاحتفال بوفاء النيل حينما أمر الخليفة بالمبيت بالمقياس (قياس الروضة) وترسل من القصر الأطعمة الوفيرة إلى هناك، فيذهب الخاصة وشيوخ الجوامع فيوقدون الشموع طوال الليل، ويتلون القرآن برفق، ويختمون الختمة. فإذا أصبح الصباح وحضرت البشرى بالوفاء يخرج الخليفة من القصر الشرقي الكبير من القاهرة الفاطمية في موكب فاخر إلى باب زويلة بالشارع الاعظم،

(*) صحابي وابن الخليفة عمر بن الخطاب. ابن حجر: **التقريب**، 226.

(1) مالك: **الموطا**، 99 (رقم 224).

(2) الطبري: **تاريخ**، 1/ 126 ـ 128.

(3) الازرقي: **اخبار مكة**، 1/ 216 ـ 219 ـ 157.

(**) ترجمته: ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 356.

(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 356

(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 37.

ليركب في سفينة خاصة، ويوضع له في بيت خاص مثمن الجوانب من عاج وابنوس، ثم ينتقل الخليفة وحاشيته إلى المقياس بجزيرة الروضة، ثم يحضر إليه إناء فيه المسك والزعفران فيديفهما بماء الورد بآلة في الإناء، ثم يتناول الرداء فينزل حوض المقياس متعلقًا بالعمود، محتضنًا برجليه ويده اليسرى، ويخلّق العمود بيده الأخرى بعجين المسك والزعفران[1]. في إشارة إلى اختلاط الطقوس القبطية بالطقوس الشيعية، حيث وردت الإشارة إلى السفينة، أي سفينة النجاة والبيت المثمن لأن الفاطميين يؤمنون بسبعة أئمة، فالرقم ثمانية هو الرقم الاستثنائي أو الخارق لديهم.

العطر والطقوس التجارية

في التجارة يقترن العطر بصفق الأيدي، لهذا سمي البيع صفقة[2]، وسمي يوم الصفقة بهذا الاسم لأنه حصل بسبب لطيمة لكسرى، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير[3]، قال عبيد بن الابرص:

كأنَّ الصَّبا جاءت بريح لطيمةٍ   من مسك لا تسطاع بالثمن الغالي[4]

وقال جران العود:

وبتنا كان بيننا لطيمة   من النسك أو خوّارة الريح قرقف[5]

ذلك أن العرب كانوا إذا تبايعوا فاتفقوا على البيع تصافقوا بالأيدي، أو تصافقوا بأيمانهم، ولذلك قيل: أعطاه صفقة يمينه على هذا الامر، لذا سمّوا الحلف يمينًا[6].

من هنا سمي البيع صفقة، قال الراجز:

---

(1) محمد كمال السيد محمد: **أسماء ومسميات من تاريخ مصر القديمة**، (النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت)، 68.

(2) ابن منظور: **اللسان**، مادة (صفق).

(3) ياقوت: **معجم البلدان**، 3/ 413.

(4) **ديوانه**، 119.

(5) **ديوانه**، 61.

(6) النيجرمي: **أيمان العرب**، 29.

أخسر بها من صفقة لم تستقل تبت يدا صافقها ماذا فعل[1]

وسموا صفقة الطيب اللطيمة من اللطم بالأيدي، لان التجار إذا اشترى بعضهم من بعض تماسحوا بالأكف، أي ان البيع وجب[2]. فاللطيمة مرادفة للصفقة، ومتصلة بها، ولعل فكرة التصافق قائمة على اكتمال الطقس السحري المرتبط بالاتصال الجسدي، أي بإثبات الكلمة وضرورة التقيد بها، لان الصفق نوع من التواصل السحري الذي يعطي عملية الاتصال بين المتفقين روح التماسك وقوة التأثير؛ لذا كانت الصفقة أو اللطيمة فعلًا تجاريًا يقترن بالطيب الذي يمنح شذاه الاتصال بعده السحري والجسدي والنفسي في تمازج الهاجس الاتصالي بقدرة الطيب على الانتشار والتفاعل والتودد والنشوة[3]. ومن هنا بقي الجانب الاتصالي مقترنًا في غير تجارة الطيب كالإيماء والهمهمة وجس الأيدي وإلقاء الحجر، والسِّرار.. وغيرها[4]. فكانت مكة مركزًا تجاريًا ودينيًا في الوقت نفسه؛ لهذا اشتهرت بعطورها المستوردة من اليمن وبعض البلدان الاخرى، وكانت في معابد العرب مخازن خاصة للطيب للتصدير والبيع[5]. ولعل بيع الصفق جاء من هذه العلاقة الخفية بين العبادة والتجارة، ومن خلال ذلك اقترنت البلدان بالطيب وانواعه حسب أهميتها ومواقعها وقدسيتها، فكل من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق ريح الهواء، والتربة في كل بلدة؛ بأنه لابد له عند الاستنشاق من التثبيت خشية ان يجدها منتنة، لأن في ذلك طبقات تخص البلدان والأماكن، كما هي الحال مع مدينة الرسول ﷺ فللصياح والعطر والبخور والنضوح من الرائحة الطيبة ـ إذا كان فيها ـ أضعاف ما يوجد له في غيرها من

---

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (صفق).

(2) الانباري: **شرح القصائد السبع**، 31.

(3) الجنابي: **الطيب والطقوس السحرية**، 22.

(4) ابن حبيب: **المحبر**، 64 ـ 267.

(5) جواد علي: **المفصل**، 7/ 184 ـ 226.

البلدان، وان كان الصياح أجود والعطر افخر والبخور أثمن[1].

لقد اقترنت الكثير من البلدان بأنواع العطر، حتى قال الحجاج عن اصبهان: بلدة حَجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران[2].
وقال الشاعر فيها:

أرض حصاها عسجد وترابها مسك وماء المد فيها قرقفُ[3]

وقال أعرابي في نجد:

بأجرع مِمراعٍ كأنَّ رياحه سحاب من الكافور، المسك شائبه[4]

وقال آخر في الكوفة:

وأنوارها مثل بُردِ النَّبي رُدِّعَ بالمسك والزعفرانِ[5]

وفي همذان قال الشاعر:

بلد نبات الزعفران ترابه وشراب عسل بماءِ قنانِ[6]

ووصف احد الكتاب (ماوَشان) في وقت الربيع، فقال: «هي تفوح كالمسك ازهارها»[7]، ووصفها الشاعر بقوله:

هي الجنة المشتهى طيبها، ولكن فردوسها ماوشان
فالواح امواهها كالعبير ترى أرضها وحصاها الجمان[8]

أما الهند فوصفت، بأن بحرَها درٌّ، وجبلها ياقوتُ، وشجرها عودٌ،

(1) الجاحظ: الحيوان، 3/ 142 ـ 143.
(2) ياقوت: معجم البلدان، 1/ 208.
(3) م.س، 5/ 78.
(4) م. س، 5/ 63.
(5) م. س، 4/ 490.
(6) م.س، 5/ 412.
(7) م. س، 5/ 47. وراجع فيه ترجمتها.
(8) م.س5، / 47.

وورقها عطرٌ. وعود الهند يذكر من امهات الطيب[1]. ووصف شاعر آخر (مندل) بلد بالهند يجلب منه الطيب (المندلي)، فقال:

اذا ما مشت نادى بما في ثيابها ذكيُّ الشَّذا والمندلي المَطير[2]

ووصف أحد الشعراء نصيبين، فقال:

أرض كأنَّ رياضَها أبدًا بماءِ المسكِ تُسقى
وكأنَّ تربةَ ارضِها اجتذبت من الكافورِ عِرقا[3]

ومن خصائص فارس ماء الورد الذي لا يوجد مثله في سائر البلاد طيبًا، والجوري الموصوف من أحد بلدانها يجلب من أقاصي البلاد، ويضرب به المثل[4]؛ مما يشير إلى أنّ جمال البلدان يرتبط بالعطور من خلال مناخها ونباتاتها واقتصادياتها، وهذا بدوره جعل صفاتها تعبيرًا عن ثقافتها وفكرها وهويتها، ومن عجائب خصائص قصبة الأحواز أنّ جميع أصناف الطيب تستميل رائحته فيها جدًّا حتى لا تكاد توجد له رائحة، وذلك من كثرة الرطوبات، وغلظ الهواء والأبخرة الفاسدة[5]. وكتب ملك الصين إلى كسرى، فوصف قصره بأنه يجري فيه نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين[6].

العطر والجسد

الجسد الانساني يرتبط بمحفزات عديدة أبرزها العطور التي كلما تقدم الزمن نلمس «تخليًا عن القيم الذكورية وميلًا إلى الأنوثة كالعناية بجمال البدن واستعمال مستحضرات التجميل واتخاذ ملابس تنم عن ميل انثوي أو

(1) النويري: **نهاية الأرب** 1/39
(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 209
(3) ابن المعتز: من فصول ابن المعتز ورسائله ونصوص من كتبه المفقودة وأخباره، تح يونس أحمد السامرائي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م)، 109.
(4) الجاحظ: **الحيوان**، 3/ 143؛ النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 334.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 33.
(6) المسعودي: **مروج الذهب**، 3/ 307.

التشبه بالنساء إلى مستوى اللغة وطريقة الكلام والتعبير والمشية والاشتغال بالعطور وغيرهن من العلامات السيميائية التي تنسبها الثقافة التقليدية للنساء. ويمكن ان نشير في هذا الصدد إلى ارتياد فئة من الرجال أماكن التجميل واقبالهم على حصص التدليك بمختلف الزيوت والعطور»[1]. وقد تنبه ظرفاء العصر العباسي إلى هذه الظاهرة في علاقة الجسد بالعطور، فلم يستحسنوا لبس الثياب الشنيعة الألوان المصبوغة بالطيب والزعفران، مثل الملتحم الأصفر، والديبقي المعنبر، لأن ذلك من لبس النساء[2].

وفي حضارة الهند المقرونة بالطيب وانتاجه والاحتفاء به، ما يشير أن طيب الرائحة والتخمير والأدهان الطيبة تؤثر في الانسان عند شمّه، واستعماله من ظهور الشبق من الرجال والنساء والطلب للباه والاغتلام والطرب والاريحية[3]؛ لان الريح إذا مرت بالطيب حملت طيبًا تحيي به النفوس وتقوي به جوارحها، وكذلك إذا مرت بالنتن حملته تألمت له النفس وأضر بإعلامها إضرارًا تاما[4]. وكذلك تفعل النساء الظريفات ليس من زيهن لبس الثياب، إلا ماكان ملونًا في نفسه، أو مصبوغًا من جنسه، أو مغيّرًا بلون من أجناس المُمسَّك والمُصَنْدل، وأجناس المعنبر والمُسنبل، ليحول بالطيب عن تلك الحال[5].

ووصف البلدانيون المدن بأوصاف النساء الظريفات، فقللوا من جمال الجسد، من خلال علاقة جمال الجسد بالطيب، فقالوا: أما البصرة فعجوز شمطاء بخراء ذفراء أُوتيت من كلّ حليّ، وأما الكوفة فبكرٌ عاطلٌ عيطاءُ لا حليّ ولا زينة[6]. وفي العراق القديم كان البستان رمزًا للخصوبة

---

(1) آمال قرامي: **تصدع بنية «الذكورة المهيمنة» ومحاولات انقاذها**، كتاب باحثات، ع12 (بيروت، 2006 ـ 2007م)، 109.

(2) الوشاء: **الموشى**، 179.

(3) المسعودي: **مروج الذهب**، 2/ 139.

(4) م.س، 1/ 268.

(5) م.س، 184 ـ 185.

(6) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 492.

لأن البساتين تعطي المرأة الرغبة المثيرة للشهوة بواسطة عصير التفاح أو الرمان[1]. وفي العراق كان يحتفل بالزواج المقدس، حيث تستقبل الكاهنة زوجها الملك وهي في أجمل ثيابها وأبهى زينتها وأغلى حليها، وتصف النصوص ذات العلاقة بالموضوع كيف انها كانت تستعد للحظة اللقاء هذه فتغسل بالدهان والعطور، وفمها بالعنبر، وتزجج عينها بالكحل[2].

وتعتقد قبائل (سارواك Sarawak) أن ارتكاب الزوجة لجريمة الزنى أثناء انشغال زوجها بالبحث عن الكافور في الغابة يؤدي إلى تبخر الكافور الذي يحصل عليه الزوج؛ لذا تمنع الزوجة تمامًا من تمشيط شعرها أثناء قيام زوجها بجمع الكافور خشية أن تخلو الفجوات التي تتخلل ألياف الشجرة من بلورات الكافور الثمينة بدلًا من أن تمتلئ بها، مثلما توجد مسافات خالية تفضل بين أسنان المشط[3]. ويعتقد أن نبات اللُّفاح نبات مهيج للشهوة الجنسية، وفي العصر العباسي وجد بيت له أبواب صغار وطاقات محشوة بصنوف الرياحين والفواكه واللخالخ، والمشام التي فيها اللُّفاح والبطيخ المستخرج ما فيها المحشوة بالنمام والحمام اليماني المعمول بماء الورد والخلوق والكافور والشراب العتيق والزعفران الشَّعر[4]. مما يشير إلى أن الطيب له مهمة جسدية كبيرة.

وكان العرب يقومون بمكة بطقوس ممتعة تظهر من الخطايا في هذا المكان المقدس العظيم[5]؛ فاقترن العرس والوصال الجسدي بالطيب حتى

(1) الاسود: **ادب الغزل**، 195.

(2) فاضل عبد الواحد: **عشتار ومأساة تموز**، 149.

(3) فريزر، سير جيمس: **الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين**، ترجم بإشراف أحمد أبو زيد، ج1 (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1971م)، 143 ـ 144.

(4) ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ/ 1270م): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح نزار رضا (دار الحياة، بيروت، د.ت)، 123.

(5) دي غوري: **حكام مكة**، 27.

أن جذيمة الأبرش لم يتبيَّن زواج عدي من رقاش بنت مالك حين وافق على زواجها، وهو ثمل إلّا من رائحة الخلوق الذي أصبح مضرجًا به[1]. واختبرت امرأة لقيط بن زرارة بمجمرة وبخور، في موضع يقال له البلق، فجالس فيه، وبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور، فقالت: ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخَّر شعره ولحيته، ثم ردها عليها، ولكنه لم يواصلها الحب، وقال فيها شعرا:

انظر قرادُ وهاتا نظرة جزعا عُرض الشَّقائق هل بيَّنت أضعانا؟
فيهن أُترجةٌ نضح العبير بها تكسي ترائبها شذرًا ومرجانا[2]

واستعملت المرأة أدهان النباتات العطرية من دهن البنفسج دهن الورد المعارف، ودهن الياسمين، ودهن البان، ودهن اللنينوفر[3]. وكذلك استعمل الخضاب والخلوق تحت ظل هاجس المثيرات الجسدية، والادوية التي تطيب رائحة البدن، كرائحة العرق والابط والادوية التي تعالج الرائحة النتنة في جميع الجسد[4]. وفي حكاية أن امرأة تطيبت وتعطرت، فلما كان الثلث الأول من الليل دخلت على جارتها وزوجها بخفية فدست نفسها بينهما، وزوجته نائمة لا تعلم، فشم رائحة الطيب فعاشرها مرتين، وعادت إلى بيتها ليلًا، فلما استيقظ في الصباح حدَّث زوجته عن ليلة الأمس فأنكرت عليه زوجته ذلك[5]. لقد كان الطيب وسيلة من وسائل التحريض في الجماع؛ ذلك انه يعد جزءًا من طقوس الجسد والمعاشرة الجسدية حتى كان الطيب جزءًا من هوية المرأة، لأن لكل امرأة طيبها، كما كان بيع الطيب جزءًا من مهنة القيادة عند النساء وهن اللواتي يسمين بالمدرمكات، وهن اللواتي يبعن الطيب ويتولجن به البيوت حيلة على هذه الصنعة، وربما حملت الواحدة منهن من النفيس ماله خطر وماء كثير وفعلت كفعل

---

(1) الطبري: **تاريخ**، 1/ 615؛ الأصفهاني: **الأغاني**، 15/ 250 ـ 251.
(2) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 196 ـ 197.
(3) العلي: **التزيق والحلي**، 65.
(4) ابن كمال باشا: رجوع الشيخ، ض: **كتاب الجنس عند العرب**، 2/ 80 ـ 87.
(5) النفزاوي: **الروض العاطر**، 33 ـ 34.

الدلالات[1]. فوصفها امرؤ القيس بالتدلل، وكثرة استعمال المسك لدلالته الرمزية على الجسد، فقال:

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضُّل[2]

وقال أبو الشيص:

وشادنٍ كالبدر يجلو الدُّجى في الفرق منه المسك مذرورْ
يُحاذِر العَين على صدره فالجيبُ منه الدَّهر مزرورْ[3]

وتعليقًا على علاقة العطر بالشهوة يرى أحد الباحثين: أن العطر المشهور بأصله الإلهي، هو الحمية المثيرة نفسها للشهوة، وهو بجفافه، وسخونته، وعدم قابلية اختصاره في الطبيعة واللغة، والقناع المتلاشي، للعنف الكاسح الذي لا يمسك، ولأن السلسلة العطرية (كما تسميها اللغة الكيميائية) تدخل ضمن الشهوة لا استمرارية ثملة، فهي دوار المعنى والحواس الخمس في معناها الكامل، وفي مقابل هذه اللااستمرارية العنيفة يكتب العطر، وهو يتلاشى في جوف الجسد دليلًا مصطنعًا لفناء مصطنع فالفناء المعطر هو فن للحياة[4]؛ بحيث أصبح العطر السريع الفناء تجديدًا للحياة، لأنه سبب في ترويض الأجساد ومنحها قوة التعبير عن اتصالها الوجودي والحسي، من أجل استمرار إنتاج الشهوة ودوام الخصب. وفي حكاية عن الحلاج[*] الحسين بن منصور (ت309هـ/ 921م) في سنة 309هـ/ 921م ومقتله، مع بنت السَّمري التي أُدخلت عليه، وما ذكر عنه، أنه دعاها إليه وادخل يده في كُمّه وأخرجها مملوءة مِسكًا، ودفعه إليها، ثم أعادها ثانية في كُمّه وأخرجها مملوءة مِسكًا، وفعل ذلك مرات، ثم قال:

(1) اليمني، أحمد بن محمد بن علي (ت 231هـ/ 845م): **رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب** (تالة للطباعة والنشر، المابة الجماهيرية العظمى، ط1، 2002م)، 165.
(2) **ديوانه**، 45.
(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 6/ 323.
(4) الخطيبي، عبد الكبير: بلاغة الجماع، ض: **كتاب الجنس عند العرب**، 1/ 225.
(*) حول الحلاج وبنت السمري. ينظر: مسكويه: **تجارب الامم**، 5/ 133.

«واجعلي هذا طيبك فإن المرأة إذا حصلت عند الرجل احتاجت الطيب»[1]. وفي هذا اشارة إلى علاقة الطيب بالجسد وأهميته في العلاقة الحميمة بين الجماع والطيب وقدرة الطيب على الإثارة، ويزعمون أنَّ المرأة إذا كان فرجها نظيفًا، وكانت معطرة قوية المنَّة قلَّ حملها، فإن أفرطت في السَّمن عادت عاقرًا[2] في اشارة إلى علاقة العطر بالخصب والولادة والحمل.

واختلق المسلمون لمشكلة سياسية معروفة حكاية جسدية، وهي حكاية سجاح التميمية مع مسيلمة الحنفي؛ فوصفوه بأنه أمر بالعود المندلي فشُجر في خيمة له، وقال: أكثروا من الطيب فإن المراة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت الباه[3]؛ وذلك بإشارة من أحد مشاوريه حين قال له: «إذا كان صبيحة غدٍ فاضرب خارج بلد كقبة من الديباج الملوّن وافرشها بأنواع الحرير، ثم انضحها نضحًا عجيبًا بانواع المياه الممسكة مثل الورد والزهر والنسرين والفشوش [الخروب] والقرنفل والبنفسج وغيره. فإذا فعلت ذلك ادخل تحتها المباخر المذهبة بأنواع الطيب مثل العود القماري والعنبر الخام والعود الرطب والعنبر المقصر والمسك وغير ذلك من انواع الطيب»[4]. وكان حصيلة ذلك اندهاشها وتفتح شهوتها للنكاح، ورووا لذلك شعرًا فاحشًا، ورووا ان الشاعر، قال:

أضحت نبيتنا أُنثى نطوف بها   وأصبحت أنبياء الله ذكرانا[5]

ورووا ان مسيلمة الحنفي طاف قبل التنبؤ في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب، يلتقون فيها للتسوق والبياعات، لنحو سوق الأُبلة، وسوق لقة، وسوق الأنبار، وسوق الحيرة[6]؛ كما استخدم العرب بيع

---

(1) مسكويه: **تجارب الامم**، 5/ 134 ـ 135.
(2) الجاحظ: **الحيوان**، 4/ 172.
(3) الأصفهاني: **الأغاني**، 21/ 36.
(4) النفزاوي: **الروض العاطر**، 32.
(5) ينظر: الطبري: **تاريخ**، 3/ 273؛ النفزاوي: **الروض العاطر**، 33.
(6) الجاحظ: **الحيوان**، 4/ 369.

العطر (العطارة) مهنة يستطيع من خلالها بث الجواسيس لملاحقة خصوم الخليفة حتى أن المنصور العباسي أرسل جاسوسًا يتقصى معارضيه العلويين متنكرًا ببيع العطر، فدسَّ أحد غلمانه ليبيعوا العطر، ويأتوه بالأخبار[1]، في اشارة إلى الأثر السياسي للعطر.

مما يشير إلى إفساد الجسد للاستغلال السياسي، حتى قيل أن ابراهيم بن عبد الله الطالبي[*] تزوج بهنكة بنت عمر بن سلمة الهجيمي فكان يونس النحوي[**]، يقول: جاء ابراهيم ليزيل مُلكًا فألهته امراة بطيبها وخضابها، وأتى المنصور بالتميمية فتركها بمزجر الكلب حتى فرغ من أمر ابراهيم[2]. فالثقافة السياسية ومشاغل الحكم تحتاج إلى حزم وتفرغ، أما الجسد والنساء والطيب فانه يشغل السياسي عن مهام عمله، والطيب إحدى وسائل الإغراء والترغيب؛ مما يعد ممنوعًا من الإثارة لعمل الجسد، ويعبر عن الرغبة المؤثرة في حياة الإنسان رجلًا أو امرأة في التعامل مع الوقائع والظروف. وروي ان عمر بن الخطاب ﷺ عزل خالد بن الوليد[***] سنة 17هـ/ 638م لأنه بلغه عنه أنه دخل الحمام، فتدلك بعد النورة بثخين عصفر معجون بخمر، فكتب إليه: بلغني أنك تدلكت بخمر، وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه[3]؛ ويبدو أن الهدف من ذلك كان منع المسلمين وخصوصًا الصحابة الذين قادوا الفتوح الإسلامية، من العودة إلى عادات

---

(1) الأصفهاني: **مقاتل الطالبيين**، تح السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت)، 211 ـ 214.

(*) صاحب ثورة طالبية معروفة، في عهد المنصور قتل بسببها سنه 145هـ/ 762م. الطبري: **تاريخ**، 7/ 647.

(**) يونس بن حبيب الضبي بالولاء البصري، أبو عبد الله النحوي (ت182هـ/ 798م)، ترجمته: السيوطي: **بغية الوعاة**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2 (المكتبة العصرية، لبنان، د.ت)، 365.

(2) البلاذري: **انساب الاشراف**، ح2 ق2 / 133.

(***) قائد إسلامي معروف، توفي بحمص (نحو22هـ/ 643م): ابن حجر: **التقريب** 144.

(3) الطبري: **تاريخ**، 4/ 66.

الجاهلية أو التأثر بعادات أهل الامصار المفتوحة حتى لا تلين عريكتهم، ويميلوا إلى الدعة والترف، وفي الوقت الحاضر فإنَّ غالب العطور المستخدمة حاليًا، هي مذابة بالكحول الصناعي السَّام الذي يقترب تكوينه الكيمياوي من تكوين الخمر، وقد كانت ملاحظات الخليفة عمر بن الخطاب ذات جانب فقهي إسلامي خاص، تدلل على وجود رقابة دينية يمثلها الخليفة آنذاك.

وتقترن علاقة العطر بطقوس الجسد بالحمام والحمامات، وقد تضمنت بعض الأمكنة أسماء بعض الحمامات، مثل: حمام أعين، وحمام بَلج، وحمام سعد، وحمام علي، وحمام فيل، وحمام منجاب؛ وسألت امرأة رجلًا عن الأخير، فقادها إلى خربة، فراودها عن نفسها، فأبت فلم يلبث الرجل أن حضرته الوفاة؛ فقيل له: قل لا اله إلا الله، فأنشأ يقول:

يا رُبَّ قائلةٍ يومًا وقد لَغِبتْ: كيف الطريق إلى حمَّام منجاب؟[1]

ولم تكن الحمامات العامة معروفة في العصور السابقة، لأنها لم تكن شائعةً بين الناس في الشرق الأدنى[2]، ولكنها تعد من مزايا حضارة بغداد بعد استقرارها وتقدمها، فكان بها نحو مائة وعشرين ألف حمام، وقيل إنها مائتا ألف حمام[3]؛ مما يعني كثرة الاهتمام بالحمامات، بوصفها ظاهرة حضارية، تدلل على اهتمام أهل بغداد بأجسادهم، لأن للحمام طقوسه الجسدية الخاصة؛ ففي الجانب الشرقي من بغداد كان بكل محلة الحمامان والثلاثة، وقيل إن حماماتها لا تحصى، وانها بين الجانب الشرقي والغربي تعد نحو ألفي حمام واكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل للناظر أنه

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، 2/ 229.
(2) جواد علي: **المفصل**، 5/ 25.
(3) عبد الجبار ناجي وحسين داخل البهادلي: **بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي**، ج1 (بيت الحكمة، بغداد، 2003م)، 103.

رخام أسود صقيل[1]. وهذا العدد يبدو مقبولًا آنذاك لمدينة مثل بغداد، فبقي حتى مرحلة متأخرة حيث كان في بغداد نحو ألفي حمام[2]، وتقترن الحمامات العامة بوجود حمامات خاصة في البيوت، ولكن انتشار الحمامات العامة وكثرتها يدلل على قلة الخاصة.

ومن الحمامات ما يختص بالرجال والآخر بالنساء، وفي هذه الحمامات تستخدم الأدوية الخاصة المزيلة للشعر، حيث تمارس طقوس التدليك والأصباغ وأنواع الحناء والوسمة، حتى أن بعضهم كان يضيف الخلّ للحناء، حتى تثبت أكثر، ولا تختلف حمامات النساء وطريقة الاستحمام عن حمامات الرجال إلا في بقاء النساء في الحمام مدة أطول، وثمة طقوس خاصة للجسد في (حمام العروس)[3]. وبهذا تكتمل دورة حياة الجسد ليأتي دور العطر في إشاعة الحيوية ومنح الجسد طيبه ونكهته ليتجسد المشهد البغدادي في الاهتمام اللائق بالجسد، من خلال الصورة الحقيقية للتطور النفسي والاجتماعي لأهل بغداد آنذاك، فتكتمل دورة الطقوس الاحتفالية مع العطر. وقدم بعض الرحالة وصفًا يكشف عن طبيعة علاقة الجسد بالعطر، وكيفية دخول النساء أو الرجال إليها[4]، مما أدى إلى توثيق صلة حرفة العطارة بالجسد، حتى تبلور اعتقاد قديم يشير إلى أن مجالسة العطارين تورث التجميش[5]. لأن التجميش يعني القرص

(1) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت 614هـ/ 1217م): **الرحلة، المسماة: اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**، (دار التراث، بيروت 1388هـ/ 1968م)، 179، 183.

(2) الآلوسي: **اخبار بغداد وما جاورها من البلاد**، مخطوط (مكتبة الاوقاف العامة، بغداد برقم 1/ 24206)، الورقة 73.

(3) الحجية، عزيز جاسم: **بغداديات**، ج1 (مكتبة الكندي، مط دار القادسية، بغداد، ط2، د.ت)، 93 ـ 96.

(4) الرفاعي، مسلم هاني راضي: **الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية في رحلة ابن جبير** (رسالة ماجستير، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 1424 هـ/ 2004م)، 192 ـ 193.

(5) عبد الجبار ناجي وزميله: **بغداد في كتابات الرحالة**، 80.

والمداعبة، وهي إحدى لوازم الاتصال الجسدي والمداعبة، ولعل سبب ذلك هو وجود وقت فراغ كافٍ وانتشار الروائح العطرية التي تشجع على فتح الأفق النفسي والجسدي لتقبل التعامل مع الآخر ذكرًا أو انثى، ولأن عمل العطار يسمح له باللقاء بالكثير من الفئات والأمزجة.

ومنذ العهد الأموي اهتم العرب، بالحمامات الملكية الخاصة بالخلفاء التي كانت جزءًا من تصاميم قصورهم الخاصة، ففي حمامات (خربة المفجر) إلى الشمال من مدينة أريحا[*]، نُسِب قصر إلى الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، فيه حمام، وقاعة لجلوس الخليفة لكي يشاهد الراقصات، وفيها تماثيل لنساء عاريات الصدور ورجال باللباس الأسود[1]. وثمة حمام آخر في قصر الحير الغربي، فيه لوحات جصية رسمت عليها ربة الأرض (جيا)، وثمة تماثيل كبيرة الحجم مثل جذع المرأة، شبه عارية ترتدي غرارًا معقودًا على خصرها الأيمن سوار، وتحمل بيدها ما يشبه الإبريق[2].

ثم تطورت هذه الحمامات لدى العباسيين، في بغداد وسامراء، إذ يقدم الفن العراقي تلميحات وتصريحات، إلى مقام الاستحمام في الحياة الجنسية والروحية للمسلمين[3]. لقد عثر على أعمال مرسومة في حمام الحرم (النساء) في الجوسق الخاقاني، فيه يتكرر العري في ديكورات صالة للحريم التي أعيد بناء تكويناتها، وعلى طرفيها الأيمن والأيسر نرى عاريتين مكتنزتي الجسد[4].

وأشار الجاحظ إلى منافع ومضار الحمام والنورة من الناحية الطبية، كما ذكر علاقة النساء بالحمام، وأحوال النساء، فعزاها إلى ثلاثة أحوال،

(*) أريحا، من غور الأردن سميت بأريحا بن أرفخشد بن سام بن نوح. ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 16.

(1) شاكر لعيبي: **المستحمات في ينابيع عشتار، الأصول الرافدينية والمصرية عند النساء العربيات**، دار المدى (بيروت ـ بغداد، 2012م)، 109 ـ 110.

(2) م. س، 111.

(3) م. س، 118.

(4) م. س، 119.

هي: إما امرأة قد مات زوجها، فتحرك طباعها خِطار بأمانتها وعقابها. والمغيبة في مثل هذا المعنى. والثالثة: امرأة قد طال لبثها مع زوجها، فقد ذهب الاستطراف، وماتت الشهوة. وإذا رأت منها كل ساكن وذكرت ما كانت عنه بمندوحة[1]. قال عبدالله بن المعتز في الحمَّام:

وحمّامنا كالعجوز يشقى بها الواردُ
فبيتٌ له منتنٌ وبيتٌ له باردُ[2]

واستخدمت نساء السودان طيب السنبل والمحلب وكعب الطب ـ وهو المسمى بعرف النور: عرق أم أبيض، لسبب لونه الأبيض بشيء أسمر وأصفر، وبعرف مصر: عِرق بنفسج، بسبب رائحته ـ وخشب الصندل، وشيء كالمحار الصغير يقال له: الظُّفر، وهو أسمر على سواد والشيبة والمرسين[3].

(1) الجاحظ: **الحيوان**، 2/ 172، 3/ 291.

(2) ابو هلال العسكري: **ديوان المعاني**، 2/ 241.

(3) التونسي، محمد بن عمر بن سليمان (ت 1274هـ/ 1857م): **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، تح خليل محمود عساكر ومصطفى محمد سعيد، مراجعة محمد مصطفى زيادة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسرة، القاهرة، 2007م)، 218.

الفصل الثاني

الجوانب الفكرية

توطئة

تقترن الحياة الفكرية بشتى المظاهر الإنسانية ـ الحضارية كالشعر والنثر وحركة التأليف الثقافي بشكل عام، ولأن العطر دخل في معظم مفاصل الحياة، فإنه تعبير عن نزعة إنسانية انتقلت بالإنسان في حياته اليومية من الجانب غير المنظم إلى الجانب المنظم، لأن الحضارة في مفهومها الحقيقي «نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: المواد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية (الاجتماعية)، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك العوامل الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها»[1]، وقد بدأت الحركة الثقافية حول العطر بوقت مبكر عند العرب، حتى قالت العرب مثلها المعروف: (لا عطر بعد عروس)[2]، لان العطر هو من مقدمات العرس، ومستلزماته لغرض التأثير في الآخر، جسديًا ونفسيًا، حتى قال رجل من قريش:

فـالآن مـن قـبـل مـوتـي لا عِـطـر بـعـد عَـروس[3]

(1) ديورانت، دول: **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، مج1 ج1 (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1964م)، 3.

(2) الأصمعي: **الأمثال**، 218؛ الميداني: **مجمع الأمثال**، 2/ 211.

(3) قالت المثل: أسماء بنت عبد الله العذرية، وكان اسم زوجها عروس. ينظر الأصفهاني: **الأغاني**، 6/ 285؛ النويري: **نهاية الأرب**، 3/ 50.

وجعل الأصمعي (عروس) رجلًا بعينه، وكان بنى على أهله فلم يتعطر له، فسمي كل بانٍ بأهله بذلك الاسم[1]. وقيل مثل يضرب في ذم ادخار الشيء وقت الحاجة إليه، وثمة رواية ثانية للمثل: (لا مخبأ لعطر بعد عرس)، يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس[2]. أما المثل القائل: (عطر منشم) فله حكاية أخرى غير ما جرى ذكره سابقًا.

تقول: أُهديت امرأة يقال لها منشم إلى رجل، فلما خلا بها امتنعت منه، فشجها فخرجت على نسائها مدماة، فقلن: بئس ما عطَّرك زوجك، ثم جعلته العرب مثلًا، فقال الأعشى:

أراني وعَمرًا بيننا دَقُّ منشم فلم يبقَ إلا أن يجن وأكلَبا

وقال زهير:

تداركتما عبسًا وذبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطرَ مَنشمِ

فلما جعله عطرًا، جعله مدقوقًا[3]؛ مما يعطي تصورًا عن طبيعة العلاقة بين حركة الفكر والعطر، لأن الأمثال صورة من صور الحياة الإنسانية والعلاقات الثقافية المهمة، وهي تختصر ثقافة المجتمع، وتعبر عن حضور الطيب في مفاصل الحياة العربية. ففي مدينة دمشق حاضرة الشام شوهدت الحوانيت المنتظمة وفي دهليز الجانب الشرقي حوانيت البقالين والعطارين[4]. وكان ببغداد سوق يسمى سوق العطارين[5]، ودكاكينه مملوءة بأنواع العطاريات ونوافح المسك والعنبر والعود والنِّدِّ

(1) الأصمعي: **الأمثال**، 218.

(2) الميداني: **مجمع الأمثال**، 2/ 211؛ الدميري، كمال الدين (ت 808هـ/ 1405م): **حياة الحيوان الكبرى**، ج1 (دار إحياء التراث العربي للنشر، بيروت 1432هـ/ 2011م)، 9.

(3) السدوسي، أبو فيد مؤرج بن عمرو (ت195هـ/ 810م): **الأمثال**، تح رمضان عبد التواب (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1391هـ/ 1971م)، 49 ـ 50.

(4) ابن جبير: **الرحلة**، 218 ـ 219.

(5) ابن الجوزي: **المنتظم**، 8/ 81.

والكافور[1]، وهو الجانب الشرقي من بغداد[2]؛ كما توجد ببغداد دار تسمى دار الرياحين[3]، وتسمى أيضًا درب الرياحين[4].

حركة التأليف بالعطر

يشير صاحب كتاب (الفهرست) إلى مجموعة من التصانيف حول العطر، أبرزها كتاب (العطر) ليحيى بن خالد البرمكي[*] (ت190هـ/ 805م)[5]، ولعل البرمكية السلطانية نسبت إليه، أو لدهن البرمكي كما ينسب إلى ابنه جعفر بن يحيى البرمكي[6] (ت187هـ/ 802م). وكتاب (العطر)[7] لإبراهيم بن العباس الصولي (ت243هـ/ 857م)، وقد أخذ عنه صاحب (ثمار القلوب)[8]، وذكره صاحب معجم الأدباء[9]. وكتاب (العطر) للكندي[**] (ت247هـ/ 861م) وأشار معه إلى كتاب آخر هو (كيمياء العطر)[10]. وكتاب (العطر) لمؤلف مجهول، وآخر لمجهول (في العطر والتركيبات)[11]. وكتاب (العطر) لحبيب العطار[***] أحد عطاري

(1) العلي: **التزيق والحلي**، 19.

(2) مصطفى جواد وأحمد سوسة: **دليل خارطة بغداد**، 300.

(3) م.س، 158.

(4) مسكويه: **تجارب الأمم**، 5/ 358.

(*) له كتاب أو رسالة في الأدب، حكيم ووزير عباسي يهتم بالعقاقير والطيب. ابن خلكان: **الوفيات**، 6/ 219.

(5) ابن النديم: **الفهرست**، 440.

(6) الوشاء: **الموشى**، 186؛ النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 62.

(7) ابن النديم: **الفهرست**، 176، 440.

(8) الثعالبي: **ثمار القلوب**، 533.

(9) ياقوت: **معجم الأدباء**، 15/ 26.

(**) لعله يوسف بن يعقوب بن إسحاق الطيب.

(10) ابن النديم: **الفهرست**، 440.

(11) ابن النديم: **الفهرست**، 440.

(***) له كتاب آخر عن البحر: ابن النديم: **الفهرست**، 14/ 427؛ ياقوت: **معجم الأدباء**، 5/ 597.

العصر العباسي. وكتاب (العطر وأجناسه) للمفضل بن سلمة(*). وكتاب (العطر وأجناسه ومعادنه) لرجل جبلي[1]. وكذلك كتاب (العطر)[2] للشطرنجي(**). ولإبراهيم المهدي عمّ المأمون كتاب بعنوان (الطيب) مثلما ذكره أحد أصحاب البلدانيات[3]. كما كلف المتوكل جحظة البرمكي بتصنيف كتاب له بعنوان (في العطر)[4]، والذي وصف بكتاب (العطر) المصنف خصوصًا للمعتصم، وهو الكتاب الذي أخذ عنه محمد بن أحمد بن الخليل بن سعيد التميمي المقدسي (توفي نحو 390هـ/ 999م) الطبيب والعالم بالنبات والأعشاب صنف في الطيب كتابه (جيب العروس وريحان النفوس)[5]، والذي يطلق عليه اختصارًا (جيب العروس)[6]. وهو من الكتب المتخصصة بالعطر وأخذ عنه الذين تلوه[7]. ولمحمد بن العباس كتاب (العطر)[8]. والذي ربما يختلط اسمه بالعباس بن محمد بن عبد الله العباسي (ت186هـ/ 802م)[9]. ولأبي الحسن المصري[10] علي بن رضوان (ت نحو 460هـ/ 1067م) كتاب (في العطر) وفي الأمر خلط كبير حول هذا الكتاب، لان التميمي توفي سنة 390هـ/ 999م بينما توفي المصري سنة 460هـ/ 1067م. ولابن شُهيد، أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن

(*) له كتاب (المطيب) أديب (ت290هـ/ 902م). ينظر: ابن النديم: **الفهرست**، 440.

(1) ابن النديم **الفهرست**، 440.

(2) ابن النديم: **الفهرست**، 243.

(**) لعله محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي (ت335هـ/ 946م).

(3) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق، 66.

(4) التيفاشي: **سرور النفس**، 228.

(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 3؛ حاجي خليفة: **كشف الظنون**، 3/ 392. (وفيه توفي 370هـ)، ولدى الزركلي: **الأعلام**، 5/ 313 (ت سنة 390هـ).

(6) القلقشندي: **صبح الأعشى**، 2/ 126 (وفيه توفي سنة 370هـ).

(7) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 34 ـ 53 ـ 59 ـ 65 ـ 74 ـ 77 ـ 87 ـ 81 ـ 83.

(8) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 33 ـ 63 ـ 74 ـ 83.

(9) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 63؛ الزركلي: **الأعلام**، 3/ 264.

(10) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 33 ـ 81.

مروان الأندلسي القرطبي أبو عامر (ت403هـ/ 1013م) صاحب كتاب (التوابع والزوابع) كتاب عنوانه (حانوت عطار)[1]، وقد اهتم الأطباء بصناعة العطر وتحضيره، كما فعل ابن الطبري (ت235هـ/ 850م) صاحب كتاب (فردوس الحكمة في الطب) حينما خصص الباب الرابع في قوى الرياحين وفاغية الحناء، والباب الخامس في أفاويه الطيب، كالبخور السندروس، أو شجر سندرك، والعرار نبات عطري تخرج منه مادة صمغية لطيفة الرائحة[2]. وليحيى (يوحنا) ابن ماسويه (ت243هـ/ 857م) اهتمام باستحضار بعض خبطات العطور، صنع للمأمون وغيره[3].

ولبختيشوع بن جبرائيل بن جرجس، الطبيب السرياني الأصل (ت256هـ/ 869م) صنعة في الطب واهتمام بالطيب وبعض التراكيب العطرية أخذها من كتاب (العطر) الذي صنعه جحظة للمعتصم كما يبدو[4]. وللزهراوي خلف بن محمد الأندلسي (ت427هـ/ 1035م) صاحب كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) اهتمام بصناعة العطر[5]، واقترن العطر بالعطار، حتى قال الشاعر:

هـذا وأنـت زيـات تُـصـفِّـرنـا فكيف لو كنت يا هذا ابن عطار؟[6]

ومدح إسحاق بن إبراهيم الموصلي الخليفة الواثق، فقال:

كـأن تـربـتـه مـسـك يـفـوح بـه، أو عنبر دافه العطار في صدف[7]

وقال أبو العاج الكلبي(*) لامرأته:

(1) الحميدي: **جذوة المقتبس**، 133؛ ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 116.
(2) إسراء عطاء فخري: **علم النبات عند العرب** (رسالة ماجستير)، 162.
(3) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 60 ـ 62 ـ 68.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 77 ـ 87.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 29 ـ 70 ـ 71 ـ 75.
(6) الأصفهاني: **الأغاني**، 22/ 476.
(7) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 271.
(*) من بني كلب قبيلة عربية معروفة.

عجوزٌ ترجى أن تكون فتيةً وقد لجت الجنبان واحدودب الظهرُ
تدسُّ إلى العطار ميرةَ أهلها ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر[1]

وقال آخر:

مثواهُ عطَّارين بالعطور أهضامها والمسك والقفور

شبَّه ريح الكناس ببيت عطارين[2].

وكانت تشرف على خزانة الجواهر لدى الخليفة المأمون جمرة العطارة[3]، وقد صنعت (بنان العطارة) صنفًا من النَّدِّ للواثق[4]، وسمي أبو سعيد اليهودي العطار[5]، وأبا القاسم أحمد بن محمد بن علي العطار أيضًا[6]، وأبو عمران موسى اليهودي[7] الباني (نسبة إلى البان)، وسمي الماوردي، وهو أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد، وكذلك ورد ذكر واصل الحناط، وأبي العباس أحمد بن محمد القمي الحناط[8].

الكتابة بالعطر

تعد الكتابة علامة صورية لها رموزها التي يمكن الاستدلال على معانيها من خلال فهم مراميها، وقد انتشرت بوقت مبكر؛ فعدها العرب نوعًا من السحر، وسمى العرب الكتابة الترقين (أو الترقيم)، وهو تعجيم الكتاب ونقطة وتبيِّن حروفه، قال الشاعر:

---

(1) ابن طيفور: بلاغات النساء، ض: **كتاب الجنس عند العرب**، 3/ 31.
(2) الفراهيدي: **العين**، مادة (قفر).
(3) مسكويه: **تجارب الامم**، 4/ 95؛ وقيل: (حمرة أو حجرة). العلي: **التزيق والحلي**، 68.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 36.
(5) النويري: **نهاية الأرب**، 12/ 47.
(6) م.س، 1/ 264.
(7) م. س، 12/ 47 ـ 51.
(8) مسكويه: **تجارب الامم**، 3/ 145، 5/ 390

سأرقم في الماء القراحِ إليكم ... على بعدكم أن كان للماء راقم[1]

وقال جران العود:

هل عرفت الديار عن أحقابِ ... دارسا أيُّها الخَّط الكتاب[2]

وفي العصر الأموي ظهرت الكتابة بأصناف العطر كالكافور والمسك والعنبر، قال عمر بن أبي ربيعة:

أتاني كتابٌ لم يَرَ الناسُ مثلَه ... أمِدَّ بكافورٍ ومسكٍ وعنبرِ
كتاب بِسُكٍّ حالكٍ وبصفرةٍ ... ومسكٍ صهابيٍّ يُعلُّ بمجمرِ
وقرطاسية قوهية ورباطه ... بعقد من الياقوت صاف وجوهر
على تبرةٍ مسبوكةٍ هي طينة ... في نقشِه: تفديك نفسي ومعشري[3]

وهذا يدلل أن الكتابة بالعطور وأصنافه كانت منتشرة منذ العصر الأموي، لكنها أصبحت أكثر انتشارًا في العصر العباسي، مع انتشار النقوش والكتابات على الملابس، وخصوصًا أزياء الغلمان والجواري، فقد «عرَفت الظريفات والجواري في العصر العباسي اتخاذ أبيات من الشعر جعلت مطرزة على زنانيرهن وتككهن إضافة إلى المناطق الأخرى، ولهن في ذلك أقوال وعبارات بديعة شيقة الذكر وخاصة في مجالات وحقول العبث والمجون»[4]. واشتملت الكتابة بالعطر على شعر الغزل فضلًا عن العبارات الرقيقة، وأسماء الأشخاص؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى استمالة القلوب ولفت الأنظار.

لقد نقشت تلك الكتابات بمواد مختلفة منها المسك، والسك، والعنبر، والغالية، والحناء[5]. ونقشت جارية لإسحاق الموصلي على

---

(1) ياقوت: معجم البلدان، 3/ 60.
(2) ديوانه، 50.
(3) ديوانه، 150.
(4) الجادر، وليد محمود: الأزياء الشعبية في العراق، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م)، 55.
(5) العلي: التزيق والحلي، 87 ـ 88.

جبينها بالمسك: «والعشق والكتمان ضدان لا يجتمعان»[1]. وكتبت جارية للرشيد على يدها بالغالية «مما عمل في طراز: الله، وعلى رأسها إكليل وفي حجرها عود»[2]. وكتبت إحدى الجواري للمتوكل، على خدها بالمسك اسمه (جعفر) فقال الشاعر:

وكاتبة بالمسك في الخدِّ جعفرا — بنفسي سواد المسك من حيث أثرا
لئن أثرت بالمسك اسطر بخدها — لقد أودعت قلبي من الحزن اسطرا
فيا من مُناها في السريرة جعفرٌ — سقى الله من سُقيا ثناياك جعفرا[3]

مما يعني أن الطيب أسهم في خلق حركة ثقافية تتمحور حول كتابة الشعر، يقرن صورة الكتابة برائحة الطيب. وأهدى أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (ت211هـ/ 826م) إلى المهدي في يوم نيروز أو مهرجان برنية فيها ثوب ممسك، مكتوب عليه بالعنبر:

نفسي بشيءٍ من الدُّنيا معلّقةٌ — الله والقائم المهدي يكفيها
إني لأيأس منها ثم يطمعني — فيها احتقارك للدنيا وما فيها[4]

وقرأ صاحب (الموشى) على جبين الجارية لنخاس مكتوب بالغالية:

وشادِنٍ أحسن خلق الله — في كفِّهِ سيفُ رسول الله
قد كتب الحسنُ على وجههِ — سطرين بالعنبرِ باسم الله
على يدي رضوان منسوجةٌ — صنعه حسن في طراز الله
أنا غريق في بحار الهوى — شبه قتيلٍ في سبيل الله[5]

(1) الغزولي: مطالع البدور، 1/ 279.
(2) السراج: مصارع العشاق، 1/ 64.
(3) الجاحظ: المحاسن والأضداد، 248؛ الأصفهاني: الأغاني، 19/ 268. (والنص من روايته)؛ الأصفهاني: الإماء الشواعر، تح جليل العطية (دار النضال، بيروت، 1404هـ/ 1984م)، 161.
(4) المسعودي: مروج الذهب، 4/ 174. وردت في ديوانه، برواية أخرى ينظر: أبا العتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت211هـ/ 826م): ديوانه، (دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، 1384هـ/ 1964م)، 469 ـ 470.
(5) الوشاء: الموشى، 278.

وكتبت أخرى بالمسك:

رضيت على رُغمي بحبك فاعدلي ولا تسرفي إذ صار في يدكِ الحكمُ
متى يظفر المظلوم منك بحقِّهِ إذا كنتِ قاضيةً وأنتِ له خَصْمُ[1]

وثمة شواهد أخرى في هذا الشأن حتى أن جارية لإسحاق الموصلي كتبت على جبينها بالمسك: «العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان»[2]. ويعزى ذلك إلى تشبُّه الجواري بالغلمان في العصر العباسي؛ هذا فضلًا عن طلاء الأجساد بالورس، وهو نبات كالسمسم يصبغ به، لونه أصفر، لان العرب كانت تميل إلى لون البشرة الضارب نحو الصفرة[3]، فقد كتبت جارية بالغالية والعنبر وهي قينة بالعسكر:

يـا قـمـرًا لاح فـي الـظـلامْ عـلـيـك مـن مـقـلـتـي الـسَّـلام[4]

فأصبحت الكتابة بالعطر تعبيرًا عن ثقافة عصر، وثقافة مجتمع، وعن حضارة مضمَّخة بالطيب، وأنواع العطور؛ وسبب ذلك كثرة الجواري، بسبب الشراء والأسر، ونشوء طبقة اجتماعية جديدة، اغلب أناسها من مجتمع الغلمان والجواري، حتى أصبح للعسكر بعض الجواري العاملات فيه، وغالبهن من القيان المملوكات.

العطر والأدب

نال العطر اهتمام الأدباء (شعراء وكتابًا) فذكروه ووصفوه وتداولوا الأدب الذي اهتم به، ورفعوا من جمال المرأة التي يتضوع منها، حتى قال امرؤ القيس:

إذا قامتا تضوَّع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل[5]

يشير إلى أنها إذا قامت فاحت ريح المسك؛ فشبَّه طيب رياها بطيب

(1) م. س، 278.
(2) الغزولي: مطالع البدور، 1/ 279.
(3) العلي: التزيق والحلي، 89 ـ 90.
(4) الوشاء: الموشى، 279.
(5) ديوانه، 32.

نسيم هب على القرنفل[1]، كما ذكروا أصنافه، والزهور التي يستحضر منها، فقد ذكر هنا المسك والقرنفل، ووصف الجميلة من النساء بانها (تضحي فتيت المسك فوق فراشها)[2]؛ لذا وصف فرسه بالجمال حين قال عنه:

كأنَّ على المتنين منه إذا انتحى مداك عروسٍ أو صِلاية حنظلِ
كأنَّ دماءَ الهاديات بنحره عُصارةُ حناءٍ بشيبٍ مرجلِ[3]

قال أحد العطارين: أطيب الكلام ما عجنت عنبر ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم نشقه، وسطعت رائحته عبقة، فتعلقت به الرواة وتعطرت به السراة[4]. قال عبيد بن الأبرص:

كأنَّ الصَّبا بريح لطيمةٍ من المسك لا تُسطاع بالثَّمن الغالي
وريح خُزامى من مُذانب رَوضةٍ جَلادٍ منها سارٍ من المُزنِ هطَّال[5]

فقد ذكر اللطيمة، وهي قافلة الطيب والمسك والخزامى؛ ليدلل على عبق الريح والنكهة العطرة، ويقترن في غالب الأحيان مثل هذا الوصف بالخمر، لاقتراب نكهتها من نكهة الطيب؛ لذا وصف ريق المرأة بعد الكرى كأنَّها اغتبقت بالخمرة صباحًا، بقوله:

كأنَّ ريقها بعد الكرى اغتبقت صَهباء صافية بالمسك مختومَةْ[6]

ووصف الأعشى المرأة عبر صورة الخمرة، فقال:

وخدًّا أسيلاً يحدر الدَّمع فوقَهُ بنان كهُدَّابِ الدِّمقس مخضب
وكأس كعين الدِّيك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صِدقٍ والنواقيس تُضرب

---

(1) الزوزني: شرح المعلقات السبع، 12.
(2) ديوانه، 45.
(3) ديوانه، 56.
(4) الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت453هـ/ 1061م) زهر الآداب وثمر الألباب، ضبطه زكي مبارك، ج1 (دار الجبل، بيروت، ط4، د.ت)، 156.
(5) ديوانه، 119.
(6) ديوانه، 135.

سُلافٍ كان الزعفران، وعندما، يصفَّق في ناجودها ثم تقطب
لها أرج في البيتِ عال كأنَّما ألمَّ به من تُجر دارينَ أركب[1]

ووصف عدي بن زيد العبادي الخمر، وقرنها بالطيب، فقال:

أطيب الطيب طيب أمّ علي مسك فارٍ وعنبر مفتوقُ
خلطته بآخر وببانٍ فهو أحوى على اليدين شَريقُ
زَانها وارد الغدائرِ جثل وأسيلٌ على الجبينِ عبيقُ

إلى أن يقول:

صانها التاجر اليهودي حولين فأذكى نشرها التعتيقُ
ثم فضَّ الختام عن حاجبِ الدَّنِّ وحانت من اليهودي سُوقُ[2]

وقد حفل الشعر الجاهلي بالعناية الفائقة في وصف العطور وأصنافه، وقارنها بالخمرة وأصنافها.

قال طرفة بن العبد:

وإذا تضحك تُبدي حَببًا، كرضابِ المسكِ بالماء الخَصِرْ[3]

وقال النابغة الذبياني:

والطيبُ يزدادُ طيبًا أنْ يكونَ بها، في جِيدِ واضحةِ الخدين معطارِ[4]

وقال أيضًا:

وتُسقى، إذا ما شِئتَ، غير مُصرَّدٍ، بزوراء، في حافاتها المِسك كانِع[5]

(1) ديوانه، 14.
(2) ديوانه، 77.
(3) طرفة بن العبد (ت564م): ديوانه، تقديم كرم البستاني (دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1380هـ/ 1961م)، 52.
(4) ديوانه، 48.
(5) م. س، 78.

وله:

ولازال ريحانُ مِسك وعنبر على منتهاهُ، ديمةٌ ثم هاطلُ
ويَنبتُ حَوذانًا وعوفًا منوِّرًا، ساتبِعُهُ مِنْ خيرِ ما قال قائِلُ[1]

وقال شاعر في التلفيق بين أنواع الطيب:

نبو آدم كالنَبتِ ونبت الأرض ألوانُ
فمنهُ شجر الكافور والعنبر والبان
ومنه شجر أفضل ما يخرج قطران[2]

ومذهب التلفيق يقابل التوفيق، لأنَّه لا يجمع من الآراء إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول، أما مذهب التلفيق فلا يبالي بذلك، لأنه يقتصر على النظر في ظواهر الأشياء نظرًا سطحيًا[3].

أما شعراء العصر الإسلامي، فإن وصف الطيب قد انفصل عن وصف الخمرة، ولكن بعض ملامحها بقيت في أشعار شعرائه المتمردين، من أمثال الحطيئة الذي قال:

تضوّع رياها إذا جئت طارقًا كريح الخزامى في نبات الخَلى النَّدي[4]

وقال أيضًا:

ترى الزعفران الورد فيهنَ شاملا وان شئن مسكًا خالصًا ريحه ذَفِرُ[5]

واهتم معظم شعراء العصر الأموي بالطيب وأنواعه، واشترك في وصفه معظم الشعراء كالأخطل، والفرزدق، وجرير، وعمر بن أبي ربيعة، وكثير بن عبد الرحمن. قال جميل بن معمر في ذلك:

(1) م. س، 90.
(2) الثعالبي: **التوفيق للتلفيق**، تح زهير غازي زاهد وهلال ناجي (عالم الكتب، بيروت، 1417هـ/ 1996م)، 132.
(3) جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1 (دار الكتاب العربي، بيروت1417، هـ/ 1996م) 132.
(4) **ديوانه**، 46.
(5) **ديوانه**، 100.

تأرَّج بالمسك الأحمِّ ثيابها إذا عَرِقَتْ فيها وبالعنبر الوردِ[1]

وعاد أسلوب تشبيه الخمرة بالطيب إلى الظهور ثانية، قال أبو جلدة اليشكري[*]، وكان يختلف إلى دهقانة يشرب عندها:

وكاسٍ كأنَّ المسك فيها حسوتها ونازَعَنيها صاحبٌ لي مَلوَّمُ[2]

وقالت حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصارية[*]، وقد تزوجت من بني خالد بن الوليد، وسكنت دمشق:

نكحت المديني إذ جاءني فيالكِ من نكحة غاويهْ
كهول دمشق وشُبَّانِها أحيت إلينا من الجاليهْ
صُنان لهم كصُنانِ التيو سِ أعيا على المسك والغاليهْ

فأجابها بأبيات منها:

يتضوَّعن إذ تمخض بالمسك صُنانا كأنَّه ريح مسرق[3]

وقال عمر بن أبي ربيعة:

حوراءُ آنسة، مقبَّلها عذبٌ، كأنَّ مذاقه خمرُ
والعنبر المسحوق خالطه وقرنفل ياتي به النَّشر[4]

والمرأة في شعر عمر متحضرة، تمتلك حرية في الاختيار، ولديها وقت فراغ؛ لذا جاء وصفه لها من خلال اهتمامه بوصف مظاهرها الخارجية المتحضرة، وما كانت ما تغرق فيه من الحلي والطيب وما وصلت إليه من ترف ونعيم[5]. وفيها قال المجنون:

---

(1) ديوانه، 43.
(*) ترجمته: الزركلي: الاعلام، 2/ 133.
(2) الأصفهاني: الأغاني، 11/ 305.
(*) أم محمد الأنصارية. م. س، 9/ 219.
(3) م. س، 19/ 218 ـ 219.
(4) ديوانه، 157.
(5) شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي (دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية، ع 10، القاهرة، ط4، د ت)، 226.

وهل رفَّت عليك قرون ليلى ... رفيف الأُقحوانة في نَداها
كأن قرنفلاً وسحيقَ مسكٍ ... وصَوْب الغادياتِ شملن فاها[1]

وقال جرير:

تَعُلُّ ذكيَّ المِسك وَحْفًا كأنَّه ... عناقيدُ مِيلٌ لم يَنلهنَّ قاطِفُ[2]

وقال أيضًا:

إذا تقادم عهد الحيّ هيجني ... خيال طَيِّبَةِ الأردانِ معطار[3]

وقال أيضًا:

سَقيْنَ البَشام المِسكَ ثُمَّ رَشفْنهُ ... رشيف الغُرَيَّات ماء الوقائِع[4]

وله:

طار الفؤاد مع الخَود التي طرقتْ ... في النَّوم طيِّبة الأعطاف مِبْدانا
مثلوجة الرِّيق بعد النَّوم واضعةً ... عن ذي مَثانٍ تمجُّ المسك والبانا
تستاف بالعنبر الهندي قاطعة ... هم الضجيع فلا دنيا كدنيانا[5]

وقال:

ولقد أبيتُ ضجيع كلِّ مخضَّبٍ ... رخصِ الأنامل طيب الأردانِ
عطر الثياب من العبير مُذيَّل ... تمشي الهوينا مشيَّة السَّكران[6]

وفي العصر العباسي تطور وصف العطور، وكثرت حكايات الجواري والطيب، وازداد الاهتمام بالنوادر وأدب المفارقة، فأصبح الطيب مادة غنية بالكثير من الحكايات الشعرية والقصص المهمة في الحياة الثقافية والنزعات الاجتماعية؛ فقد أهدت جارية يقال لها (خداع) إلى محمد بن أمية[*] -

(1) ديوانه، 247.
(2) ديوانه، 275.
(3) ديوانه، 218.
(4) ديوانه، 257.
(5) ديوانه، 444.
(6) ديوانه، 424.
(*) لعله محمد بن أبي أمية ينظر: النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 34.

وكان يهواها ـ تفاحة مفلجة (مقسمة)، منقوشة مطيبة حسنة، فكتب إليها محمد بن أمية:

خداع أهديت لنا خُدعَة تفاحةً طيبةَ النَّشرِ
مازلت أرجوك وأخشى الهوى معتصمًا بالله والصبرِ
حتى أتتني منك في ساعة زخرت الأحزان عن صدري
حشوتها مسكًا ونقشتها نقش كفيك من السَّحرِ
سقيًا لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خُدع الدَّهر[1]

وللجواري في العصر العباسي صلات حميمة بالطيب، فقد كثرت حكايات جواري الخلفاء، وشاع تداولها؛ فهذه (نبت) جارية مخفرانة، مغنية حسنة الغناء، شاعرة سريعة الهاجس اشتراها المعتمد، تقول:

وطيب نشركِ مثل المسك قَد نَسمتْ ريا الرياض عليه دُجى السَّحرِ[2]

أما فضل الشاعرة الجمالية، جارية المتوكل، المولدة من مولدات البصرة (ت نحو 260هـ/ 873م)، فقد كتبت له:

يا مَنْ حَكاهُ الياسمينُ وطيبِ ريح النرجسِ[3]

ودفع المتوكل إلى محبوبة[*] جاريته، تفاحة مغلفة بغالية، فقبلتها وانصرفت عن حضرته إلى الموضع التي تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة فدفعتها إليه، فقرأها وضحك ضحكًا كثيرًا، ثم رمى بالرقعة؛ فإذا فيها مكتوب:

يا طيبَ تفاحة خلوت بها تشعل نار الهوى على كبدي
أبكي إليها واشتكي دنفي وما ألاقي من شدة الكبدِ
لو أن تفاحة بكت لبكت من رجفتي هذه التي بيدي[4]

(1) الأصفهاني: الأغاني، 12/ 146.
(2) الأصفهاني: الإماء الشواعر، 183.
(3) م.س 79.
(*) ترجمتها: الزركلي: الأعلام، 5/ 283.
(4) الأصفهاني: الإماء الشعراء، 160.

وأكثر الشعراء من تشبيه السواد بالمسك، ولهم في ذلك مذاهب وحكايات؛ ففي حكاية تزوج إسماعيل بن جامع[*] جارية سوداء مولاة لقوم يقال لها مَريم، فلما حلَّ الرشيد بالموضع الذي صار به، اشتاق إلى السوداء، فقال يذكرها ويذكر الموضع الذي كان يألفها فيه ويجتمعان فيه:

هل ليلتي بقفا الحصحاص عائدة ... في قبة ذات أشراجٍ وأزرار
تسمو مجامرها بالمَنْدلي كما ... تسمو بجنًّانة أفواج إعصار
المسك يبدو إلينا من غلائلها ... والعنبر الورد يذكيه على النار
ومريم بين أثواب منعمة ... طورًا وطورًا تغنيني بأوتار

فقال له الرشيد، وقد سمع بشعره ويلك من مريمك هذه التي وصفتها صفة حور العين؟ قال: زوجتي، ثم وصفها بكلام أضعاف ما وصفها به شعرًا، فأرسل الرشيد إلى الحجاز حتى حملت، فإذا هي سوداء طمطمانية ذات مشافر، فقال له الرشيد: ويلك هذه مريم التي ملأت بذكرها؟! عليك وعليها لعنة الله[1]. ولأبي نواس أشعار جميلة في العطور ونباتات العطر، منها قوله:

تعد الشيح والقيصو ... م والفقهاء والسَّمرا
حين الآس والنسرين ... والوسان ان زهرا[2]

وقال أيضًا:

براقعها من سحيق العنبر ... ومن ياسمين وسنيبر[3]

وقال في عنان الجارية:

ما مسك الطيب إلا ... أصبحت للطيب طيبا[4]

(*) أبو القاسم أحد المشاهير (ت 192هـ/ 807م) ابن كثير: **البداية**، 10/ 226.

(1) ابن الجوزي: **ذم الهوى**، تح عصام الحرستاني ومحمد الزغلي (دار الجيل، بيروت، 1420هـ/ 1999م)، 314.

(2) **ديوانه**، 206.

(3) **ديوانه**، 231.

(4) **ديوانه**، 114.

وقال في جارية:

نكهتها أطيب من فارة مملوءة مِسكًا لعطَّار[1]

ويعد تشبيه الجسد بمفردات الطيب إحدى وسائل الاستفادة من العطور، في خلق صورة شعرية تستقي عناصرها من الإرث العطري عند العرب؛ ومن ذلك تشبيه الجسم بقضبان الريحان، قال الشاعر:

ويهتزُّ في ثوبك كلَّ عشيَّةٍ قضيب من الريحان أضحى منعَّما[2]

وشبهوا السوداء بالمسك؛ فقال أحد الشعراء:

فحسبي بمثل المسك أطيب نكهةً، وحسبي بمثل الليل أطيب مرقدا[3]

وقال أبو الشيص[*] في جاريته (تبر):

يا ابنة عمِّ المسك الذكي ومن لولاك، لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السَّواد وفي ريح بذاك من نسبِ[4]

ووصف أحد الشعراء جارية أُعجب بها الرشيد تسمى (دنانير)، فقال:

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعده[5]

وفي بلاد الأندلس والمغرب نال الطيب اهتماما كبيرًا، لانتشار النباتات العطرية، وشيوع استخدام العطور وتجارته وصناعته؛ فأكثر شعراؤهم من ذكر أشجار العطر وأنواعه، حتى قال احدهم:

---

(1) ديوانه، 238.

(2) الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، 217.

(3) السيوطي: **نزهة العمر في تفضيل البيض والسود والسُّمر**، تح عبد الأمير مهدي الطائي (مكتبة ابن النديم، مط الجاحظ، بغداد، 1990م)، 41.

(*) أبو الشيص محمد بن علي الخزاعي (ت196هـ/ 811م). الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، 5/ 401.

(4) أبو الشيص محمد بن علي الخزاعي (ت196هـ/ 811م): **أشعاره**، جمع وتح عبد الله الجبوري (النجف، 1967م)، 26.

(5) النويري: **نهاية الأرب**، 2/ 45.

باللهِ يا بانةَ الوادي إذا خطرت تلك المعاطف حيث الشيخ والغار[1]

وقال ابن رشيق القيرواني(*):

صنمٌ من الكافور بات معانقي في حُلتين تعفُّفٍ وتكرمِ
فكرَّت ليلةَ وصلةٍ في صدَّه فجرت بقايا أدمعي كالعَنْدم
فطفقت أمسح ناظري في نحره إذ شيمةُ الكافور إمساك الدَّمِ[2]

وشبَّه ابن خفاجة(**) الخدَّ بالكافور، فقال:

تَضُوع كما فاحَتْ مع الفجر روضةٌ وطابَ بريح المَنْدلِ الرَّطبِ موقِدُ[3]

ووصف بيضاء، فقال:

وبيضاءَ في صفراء تحملُ نفحةً تنفس عنها المَنْدل الرَّطب والجَمرُ[4]

ووصف أخرى:

ومحمولةٍ فوق المناكب عِزَّةً لها نسب في روضة الحُزن مُعرقُ
رأيت بمرآها المُنى كيف تلتقي وشمل رياحِ الطِّيب وهي تفرَّقُ
يضاحكها ثغرٌ من الشمس واضحٌ ويلحظها طرفٌ من الماءِ أزْرقُ
وتجلى بها للماءِ والنار صورةٌ تروقُ فطر في حيثُ يغرقُ يحرقُ[5]

وله أيضًا:

ولقد صار يُسقِّيني سُلافة ريقه وطورًا يُحييني بآس عِذارِ
فنلت مراد النفس من أقحوانة شممت عليها نفحة لعَرارِ

---

(1) المقري: نفح الطيب، 2/ 21.

(*) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت463هـ/ 1070م). الزركلي: الأعلام، 2/ 91.

(2) ابن خلكان: الوفيات، 2/ 87.

(**) أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي (ت533هـ/ 1138م). م.س، 1/ 65.

(3) ابن خفاجة، إبراهيم ابن أبي الفتح (ت533هـ/ 1138م): ديوانه، تح عبد الله سندة (دار المعرفة، بيروت، 1427هـ/ 2006م)، 102.

(4) ديوانه، 123.

(5) ديوانه، 208.

ووجهٍ تخال الخال في صحنِ خدِّه فُتاتةِ مِسكٍ فوق جذوة نارِ[1]

ولابن وكيع التنيسي[*] أشعار مهمة في وصف الطيب، كقوله:

كأنه مداهن من فضةٍ أوساطها بها من المسك أثرْ[2]

وقال:

كأنما الطلع إذ تبدي في جيب كافورهِ المُهتَّكْ
ساعدُ روميَّةٍ تَبدَّى عند قناعٍ لها مُمسَّك[3]

ووصف شاعر جارية، فقال:

في كفها الورق الممسَّـ ـكُ والمطيَّب والمَدَاهن[4]

واقترنت الخمرة بالعطور وأجناسه، وخصوصًا تشبيه ريحها بريح المسك وامتثاله في الشعر العربي، فهذا الأعشى يقول عنها:

ببابلَ لم تعصر فجاءت سُلافةً يخالط قنديدًا ومسكًا مختَّما[5]

وقال عبد بني الحسحاس:

كأنَّ القرنفلَ والزنجبيـ ـل والمسك خالطَ جَفْنًا قطافا
يخالط ريقُها قهوةً سباها الذي يستبيها سُلافا
وبعودِ الهندِ عند التُّجا رِ غال يخالط مسكًا مُدافا[6]

وقال حارثة بن بدر الغداني[**]:

---

(1) م. س، 114 ـ 115.
(*) الحسن بن علي الضبي (ت393هـ/ 1002م). ترجمته: الزركلي: **الأعلام**، 2/ 217.
(2) ابن وكيع، الحسن بن علي الضبي (ت393هـ/ 1002م): **ديوانه**، تح هلال ناجي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م)، 81.
(3) **ديوانه**، 103.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، 4/ 359.
(5) **ديوانه**، 187.
(6) **ديوانه**، 44.
(**) شاعر أموي (ت64هـ/ 683م). ينظر القيسي: **شعراء أمويون**، ق2/ 349.

فقلت له اشرب هذه بابلية تخال بها مسكًا ذكيًا وعَنبرا[1]

وقال الغداني:

سأشربها صبهاء كالمسكِ ريحها وأشربها في كل نادٍ ومشهدِ

ثم يقول:

ومعتقةٍ صبهاءِ كالمسكِ ريحها إذا هي فاحت أذهبَتْ غُلةَ الصَّدي[2]

وفي هذا الشأن، يختلط الذوق والطعم بالشَّم، حتى أنَّ ذوقها وطعمها، له طعم محمود الإخبار:

وإنْ شئت جربها وذُقها عتيقةً لها أرجُ كالمسكِ محمودُ الخُبَرِ[3]

ولعل أغرب وأبدع ما وصفت به الخمرة، من حيث الحواس قول ديك الجن الحمصي[*]:

لها لَونُ عقبانٍ وطعمُ قرنفلٍ ونفحةُ مسكٍ واتقاد فتيلِ[4]

وبشأن علاقة العطور بالشراب قالت الأطباء: «للشراب رائحتان عطرية وردية فالشراب العطري جيد في توليد الدم إلا انه يضر بالرأس والشراب الرديء الرائحة مذموم لأنه أراد الاشربة. فأما التماثيل الواردة في أوصاف العرب فما جاءت أراييج الخمر فيها ممثلةً إلّا بالعطر والزهر»[5]. وقد برع أبو نؤاس في هذا الجانب وهو ما تدل عليه نصوصه الشعرية التي كشفت عن نزعة عالية في الوصف، وفي الاهتمام بحاسة الشَّم وارتباطها بحاسة الذوق؛ أي أنَّ انتشار الرائحة العطرة المشبعة بروائح العنبر والمسك والزعفران والأقحوان والخزامى ظلت تتردد على ألسنة الشعراء العباسيين

(1) القيسي: **شعراء أمويون**، 2/ 349.

(2) القيسي: **شعراء أمويون**، 2/ 341.

(3) م. س، 2/ 350.

(*) عبد السلام بن رغبان (ت235هـ/ 850م). الزركلي: **الأعلام**، 4/ 5.

(4) القيسي: نوري حمودي وهلال ناجي: **المستدرك على صناع الدواوين**، ج1 (مط المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1413هـ/ 1993م)، 337.

(5) ابن عبد المعتز: **فصول التماثيل**، 33.

والأندلسيين بشكل خاص، وهذا ما يبدو بالفعل على أبيات الشاعر أبي نؤاس حين يقول:

تهدي إلى الشراب طيبًا عند نكهتها كنفحِ مسك فتيل الفار ومفتوت(1)

وقال أيضًا:

صهباء صافيةً تجديك نكهتها تنفس المسك ملطوخًا بتفاح(2)

وشبه ابن وكيع نسيمها بالمسك، فقال:

واشرب معتَّقةً كأنَّ نسيمها مسكٌ تضوَّعه يدُ العطارِ(3)

ثم قرنها بالغلام الذي يقدمها وجماله، فقال:

وقهوةٍ في كأسها تزهر بفوحُ منها المسك والعنبرُ
ورديةٍ يحتثُّها أحورٌ كأنَّها من خدِّهِ تعصرُ
مُهفهفٌ لم يتبسم ضاحكًا مُذْ كان إلاّ كسدَ الجوهرُ(4)

وقال:

واشرب مزعفرةَ القميصِ سُلافةً من صنعةِ البَردان أو قطربل(5)

ولم يفت الناثرين أن يتغنوا بالطيب، وكذلك فعلت الجواري حين كتبت بالطيب، فقد كتبت جارية لإسحاق الموصلي على جبينها بالمسك: «العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان»(6)، وكتب الحسن بن وهب إلى المتوكل في يوم نيروز بهذه الرقعة: «أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك في إقبال الزمان وبسط بيمن خلافك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة إزهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع

(1) ديوانه، 124.
(2) ديوانه، 145.
(3) ديوانه، 87.
(4) ديوانه، 100.
(5) ديوانه، 107.
(6) الغزولي: مطالع البدور، 1/ 279.

بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة أيلول وتموز»[1]. وغالب كتابات المشرقيين في القرنين الثاني والثالث الهجريين تنطلق من مدرسة الجاحظ التي استمر حضورها حتى القرن الرابع الهجري، وقد اختار في تصانيفه ما يوازي أو يمثل مدرسته النثرية تلك، وهنا يقل استخدام السجع ويتضاءل بوضوح. وفي رسالة بوصف الطبيعة كتب أحد الأدباء: «فكساه طللًا من الأنوار ينجلي صداه البصائر والأبصار فمن مكتوم بعبق مسكه ولا يمنعه مسكه»[2]. وجمعت النصوص الوصفية الأندلسية بين صفات الزهر مثلًا وأخلاق الإنسان. وترجمت وأنطقت الحيوان والجماد والإزهار في شكل يدعو للإعجاب بما بلغه الأديب الأندلسي في هذا المضمار[3]. ومما يذكر في هذا الشأن ما كتبه أحد الكتاب المحترفين، وقد أهدي إليه مشموم ورد: «وزف الدنيا من فتيات البر فاحمر حتى خلته شفقًا وابيض حتى أبصرته من النور قلقًا وأرج حتى كان المسك من ذكائه»[4].

وقال آخر: «ونحن في قطار الوسمي في رداء هدى ومن نضير النوار على نضائد النضار وعن نواسم الزهر في لطائم العطر ومن عثر الندمان بين وهر البستان»[5].

(1) الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، 239.

(2) الحميري، أبو الوليد إسماعيل عامر (ت440هـ/ 1048م): **البديع في وصف الربيع**، نشره هنري بيريس (مط العلوم العليا المغربية ـ المطبعة الاقتصادية بالمغرب، الرباط 1940م)، 30.

(3) حازم عبد الله خضر: **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م)، 249.

(4) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ/ 1147م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح عبد المجيد العبادي، ق1 مج2 (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942م)، 461، النص لأبي جعفر بن أحمد الكاتب.

(5) العماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت597هـ/ 1200م): **خريدة القصر وجريدة العصر**، تح عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، ق4 ج2 (دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت)، 452. والنص للوزير أبي القاسم بن السقاط.

سيمياء العطر

السيمياء لغة، العلاقة وتسوَّم الفرس جعل عليه السِّيمة والوسمة العلاقة تجعل على الشاة، والخيل المسومة هي التي عليها علامة[1]. جاء في الذكر: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[2].

واصطلاحًا، هو ما يميل إلى الإشارة أو العلامات أو حالات خاصة لها صلة بالرسوم والصور والحواس جميعًا في إطاره النقدي، أما مفهومه كعلم، فله بحث خاص يشير إلى (علم الصنعة)[3]. وفي إطار البحث النقدي التي يستفيد منه المنهج التاريخي، فإن المناهج الخارجية مثل المنهج الاجتماعي والمنهج النفسي يلتقيان مع المنهج التاريخي في البحث حول مستويات ما حول النص إذ تتجلى ـ هنا ـ البنية الداخلية للنص[4]؛ فضلًا عن البنية الخارجية. وعلاقة الشم بالعطر علاقة حسية متلازمة، لذا قالت العرب: (أشم من نعامه)، و(أشم من ذرة). قال الراجز:

* أشم من هيق وأهدى من جَمل *[5]

وللعطر أهمية نفسية وجسدية خاصة، وان للمدن والبلدان صفات ومزايا تقترن بها، ذلك أن الجمال البلداني له أبعاده في الوصف والتعبير، لاقتران الطيب بالجنة، لذا قالوا: «فأما الطيب فاني لم أشمم رائحة قط أحيا للنفس ولا عصم للروح، ولا أفتق ولا أغنج ولا أطيب خمرة من ريح عروس إذا أحكمت تلك الأخلاط، وكان عرف بدنها ورأسها وشعرها

---

(1) ابن منظور: **اللسان**، مادة (سوم).

(2) سورة الفتح؛ الآية: 29.

(3) صلاح كاظم: **السيمياء العربية في أنظمة الإشارات عند العرب** (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م)، 27.

(4) غريب اسكندر: **الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي** (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2009م)، 13.

(5) الجاحظ: **الحيوان**، 4/ 402.

سليمًا. وان كانت بمدينة رسول الله ﷺ، فانك ستجد ريحًا تعلم أنه ليس فوقها إلا ريح الجنة»[1].

وللعرب نار تسمى نار الوسم تؤكد علاقة الوسم بالنار التي تحرق الطيب، فيصبح بخارًا سمته الشم؛ لذا كانت العرب تسأل صاحب الإبل عن وسمه: ما نارك؟ أو ما سمتك؟ فيقول: حياط أو علاط أو حلقة أو كذا أو كذا، قال الراجز:

تسالني الباعة ما نجارها إذا زعزها فسَمَت أبصارها[2]

وقال زهير بن سلمى:

وفيهن ملهى للطيف ومنظرٌ أنيقٌ لعينِ الناظر المُتوسِّمِ

والمتوسم، الناظر الذي يتفرس في نظره كأنه يطلب شيئًا من سِمتهِ يعرِّفها به[3]، وقالوا: إنما المياسم في النِّعم الساعة كالرُّقوم في ثياب البزاز، ومتى ارتفعت ومنعت المياسم اختلطت، وإذا اختلطت أمكن فيها الظلم[4]. والعلاقة بين العطر والشَّم، علاقة دائمة تحمل إشارات واضحة للإنسان إلى نوع معين من العطر أو جنس من أجناس الرائحة؛ ففي اللغة النعنع، هو طيب الرائحة، وهو نفحة المسك. والنشر هو الريح الطيبة، وفي الحديث: (خرج معاوية ونشره أمامه)، يعني ريح المسك لكثرة استخدامه العطر، ونشر المسك ونفحته، ونشر الثناء الحسن. يقال: له فنع في الجود، قال:

وفروعٍ سابغٍ أطرافها علَّلتها بريحِ مسكٍ ذي فَنَع[5]

---

(1) م. س، 1/ 247.
(2) النويري: **نهاية الأرب**، 1/ 104 ـ 105.
(3) **ديوانه**، 10.
(4) الجاحظ: **الحيوان**، 1/ 161.
(5) الفراهيدي: **العين**، مادة (نشر)؛ ابن منظور: **اللسان**، مادة (فنع).

وكذلك النفح يعني الريح الطيب والريح الخبيث، والنشع يعني الشم[1]. وفي إطار البحث السيميائي حول العطر يعتقد ان التأويل الذي تبنته السيميائيات مفاده أن هذا العطر الخاص ينبعث من تنظيم خطابي للبنيات الكيفية. وإذا اعتمدت استعارة أخرى، أمكننا القول إن مصدر هذا الأثر المعنوي هو ترتيبات ذرية[2].

واشتق لقب سيبويه، لأنه لايزال من يلقاه يشم منه رائحة الطيب، ومعنى سي ثلاثون وبوي الرائحة، فكأنه رأى ثلاثين رائحة طيب[3]. وتستدعي الرائحة نوعًا من التراسل الوجودي الذي يجعلنا نعتقد أن الحياة مجرد نبات عطري وأنها تفوح من الوجود فوح الرائحة المادية[4]. وفي اللغة مفردات وافرة حول الشم، فثمة (عبق الطيب) وفوعة الطيب[5]، ووصف بعض النقاد شعر ذي الرمة بأنه نقط عروس يضمحل عن قليل وأبعار ظباء، لها شم في أول رائحة ثم يعود إلى البعر[6]، وورد ذكر الأرشم، وهو الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه، قال:

لقي حملته وهي ضيفه فجادت بنزٍّ للضيافة ارشما[7]

وسمي كافور بن عبد الله الإخشيدي أبا المسك[8]، واليه نسب البستان الكافوري بمصر[9]؛ لان المسك والكافور جنسان من الطيب

---

(1) الفراهيدي: **العين**، مادة (نفح)؛ الزبيدي: **التاج**، مادة (نشع).
(2) جريماس، أ. ج وجاك فونيتيني: **سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس**، ترجمة سعيد بنگراد (الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010م)، 67.
(3) ياقوت: **معجم الأدباء**، 16/ 115.
(4) باشلار، غاستون: **الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادة**، ترجمة علي نجيب إبراهيم (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م)، 22.
(5) الزبيدي: **التاج**، مادتا (عبق، فع).
(6) ابن خلكان: **الوفيات**، 4/ 17.
(7) الفراهيدي: **العين**، (رشم).
(8) ابن خلكان: **الوفيات**، 4/ 99 ـ 100.
(9) محمد كمال السيد محمد: **أسماء ومسميات**، 75 ـ 93.

متجاوران، واقترن لونه الأسود بالمسك، لان العرب كنَّت كل اسمر أو اسود بالكافور، تهذيبًا واحترامًا خشية الإساءة. وشملت الرائحة الطيبة والعطرية أجناسًا عديدةً من الفواكه والنباتات ذات الريح الطيبة؛ لذا عد الظرفاء التفاح نباتًا عطريًا؛ قال أهل الأدب:

صيرته تفاحةً بيننا إذا ذكرناهُ شممناها[1]

كما أكثروا من تفضيل الورد، ومدحته الشعراء، وقد أطنبوا فيه، وأفرطوا في نعت حسنه، واشتهوا رائحته، حتى شبهوه بالوجنات الحمر وقايسوه إلى الخمر، ومثلوه بالأشياء الملاح كفعلهم بالتفاح، وهما عندهم في مرتبة واحدة[2]؛ قال بعض الشعراء:

يضحك الورد إلى ور دِ بخدَّيك مُقيم
جمعا شكلينِ وفقيـ ـن لألحاظ النديم
غير أن المسك أولى بكِ في كل نسيم[3]

قال الأعشى:

من اللاتي حُملنَ على الرَّوايا كريحِ المسك تستل الزُّكاما[4]

هذا في وصف الخمر، وعلاقتها بالطيب، وفي طيب النساء؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

من طيبِ نشرِ التي تامتكَ إذ طرقت ونفحة المسك والكافور إذا ثارا[5]

وقال الصابئ، يصف مدخنة بأنها تفشي السِّر:

ومحرورةِ الأحشاء تحسب أنها متيمةٌ تشكو من الحب تبريحا
تناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها وتجعله الأذن السميعة إذ يوحى
إذا استودعت سِرًا من الطِّيب مجملاً أشاعته تفصيلاً وأفشته مشروحا

---

(1) الوشاء: الموشى، 207.
(2) الوشاء: الموشى، 204.
(3) م.س، 204.
(4) ديوانه، 192.
(5) ديوانه 122.

يُحرِّق فيها النَّدَّ عودًا وبداة فتاخذه جسمًا وتبعثه روحا[1]

وقال شاعر آخر في البخور:

اتيناه فبخرنا بخورًا من السعف المدخن للثياب

فردَّ عليه شاعر آخر:

ظننتُ جلوسي عنده لعرسٍ فجدت له بتمسيك الثيابِ[2]

قال أبو نواس في الشَّم:

وشمُّ ريحانةٍ ونرجسة أحسن من انيق بأكوارِ[3]

وقد يقترن الشم بالذوق والبصر، كما في قول الشاعر:

له ريقةٌ علت بماء قرنفلِ يمازجها التفاح والخمرة الصرف
تجسم في جسم من النور ساطعِ تمكن في دعص ينوء به ردف
على صحن خديه بها منور وورد جني لا يليق به القطف[4]

واقترن الشم بالصورة البصرية، في قول آخر:

من حب ظبي مهفهف لبقِ يهتزُّ مثل القضيب في ورقه
لم تر عيني ولن ترى أبدًا أحسن من نحره ومن عنقه
كانما المسك حين تسحقه بماءِ الورد يفوح من عرقه[5]

ويتهم مصنف كتاب (مصارع العشاق) الطيب بالوشاية، حين يقول:

كتمت خشيةَ الرقيب خُطاها، فوشى الطيب بالمليحة نشرا
هتكتْ بُرقُع العِتاب وثنَّت منه نظمًا يُذكي الغرامَ ونثرا[6]

---

(1) ابن خلكان: **الوفيات**، 1/ 393.
(2) م.س، 5/ 379.
(3) **ديوانه**، 232.
(4) الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، 145.
(5) م.س، 146.
(6) السراج القاري: **المصارع**، 2/ 64.

واقترن الجمال بالطيب، في قول الشاعر العباسي:

أبصرُ حُسنًا، وأشمُّ طيبا ولا واشيًا أخشى ولا رقيبا[1]

وقال شاعر آخر:

بريحٍ من الكافور والطّلح أبرمت به شُعبُ الأوراد من كل جانب[2]

وقال داود بن رزين الواسطي:

وريحِ مسك ذكي بجيد الزرجون
وقينةٍ ذات غنج وذات دلٍّ رصين
تشدو بكل ظريف من صنعة ابن رزين[3]

أصداء

إذا كان العطر قد أصبح مادة غنية في الحس الإنساني وفي تجسيد حاسة الشم في الشعر العربي، فانه غدا مادة مهمة في الأدب الحديث وبالذات السرد الروائي والقصصي؛ ففي رواية (العطر) يصف الكاتب بطله بقوله: «رائحة غرنوي الذي ينبغي أن يكون رب الروائح كلها»[4]؛ لذا أثار عنوان الرواية النقاد ودفعهم إلى الكتابة عنها بطريقة حسية، فقال بعضهم: وما عنوان الرواية ذاتها بـ (العطر) ومن ثم التحديد أكثر (قصة قاتل) إلا إشارة إلى حالة الانزياح الكبيرة في المقصد أو المضمون، فما يشم يكون أبعد من حدود العطر، وما يتحرك بصريًا ابعد من حدود الصورة، وما يشار إليه على الورق ابعد ـ كذلك ـ من حدود الكلمة المقروءة، لان ثمة تاريخًا فائقًا لايزال يتحدانا[5]. مما يشير إلى أهمية العطر السيميائية والجسدية في الحياة الإنسانية، وتوغله في ميدان

(1) السراج القاري: **المصارع**، 2/ 169.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**، 5/ 425.

(3) الأصفهاني: **الإماء الشواعر**، 37.

(4) زوسكيند، باتريك: **العطر، قصة قاتل**، ترجمة نبيل الحفار (دار المدى للنشر، دمشق، ط2، 1977م)، 47.

(5) إبراهيم محمود: **النص الجسد الهاوية، قراءة في ظلال المعنى** (دار تموز، دمشق، 2011م)، 302.

الأدب؛ ذلك لان العطر، بوصفه رائحة ذات جمال حسي شمي، له قيمة شعائرية، ربما مائزة، وهذه بدورها تتنوع درجات، لا تختلف عن الرائحة المنفرة أو القذرة، وهي لحظة التمعن فيها[1]. ومن هذا المنطلق فإن الباحث يقف بحيرة في قراءة أعمال كهذه ذات تنوع ثقافي، وذات بعد رمزي ونفسي واجتماعي، ولها توغل في مجسات الجسد الإنساني في مغزاه الغريزي والشهواني. من هنا يرى الناقد أن قراءة هذه الرواية (العطرية) يتطلب قدرة عطرية الطابع على انتشارها لتقصي سر هذه الرائحة التي تجعل العطر بضعًا منها كهيئة يمكن تصورها أو تخيلها[2].

أما قصص ابتسام عبد الله (بخور) الصادرة سنة 1998م، فتنسج وجودها على أساس الحواس الخمس (الشم والسمع والنظر والذوق واللمس) إذ تستحوذ حاستا الشم والنظر على الحيز الأكبر في هذه القصص، لان القاصة تولي وصف المشهد القصصي رعاية مستفيضة، كما تحاول أن تعزز حاسة النظر (الرؤية البصرية) عبر أداتها العين برؤية تشكيلية تدفع فعل القص نحو الكشف عن مظاهر الأشياء الصغيرة والألوان واللوحات التشكيلية المحملة بالأفكار[3]؛ ففي قصة (جداول الصمت) تقول القاصة: «تفوح منهم روائح المسك والبخور والطيب وتلفهم أينما تلفتوا، هالات من النور»[4]. وتتميز قصة (بخور) بوصفها قصة العنوان باهتمام جلي بالعطر والروائح، فهي منذ البداية تقول: «أنها الرائحة نفسها، زكية مكثفة العطر وثقيلة الأثر منتشرة في أرجاء الغرفة الموصدة النوافذ والباب، تتغلغل في أعماق الروح وتتشبع بها النفس وتدفعني في كل مرة إلى الجلوس في سكون مأخوذ بأجوائها وبالسحر الذي تحدثه وتخلقه في

(1) م. س، 286.

(2) م.س، 294.

(3) الجنابي، قيس كاظم: **الوصفي والتشكيلي في القصة القصيرة**، مجلة الموقف الأدبي ع19، س4 (بغداد، كانون الثاني/ شباط، 1999م)، 113.

(4) ابتسام عبدالله: **بخور** (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998م)، 35.

المكان»[1]. مما يعني أنها اهتمت بوصف الأشياء الصغيرة والمتطايرة في الأجواء كالضباب والبخور والغيوم، فعكست إحساسها الداخلي بالغموض والعتمة والخوف والتوجس والقلق والفقدان لأناس وأشياء أعزاء[2]، ثم تشير إلى الصلة الحيوية بين العطر (البخور) والمكان وعلاقتها بحاسة الإنسان، حين تقول: «فرائحة البخور القوية التي كانت تبعثها عيدان كثيرة، متناثرة في المكان، والتي لم أكن اعتدتها بعد، دفعت حواسي إلى التبلد والجحود حينًا من الوقت»[3]؛ مما يجعل الحواس ترتبط جميعًا في بؤرة معينة، وحين تستثار حاسة الشم تشرع الحواس الأخرى بأداء دورها الضروري جنبًا إلى جنب مع تلك الحاسة.

وللقاصة إرادة الجبوري رواية قصيرة بعنوان (عطر التفاح) تتحدث عن الأسلحة الكيمياوية، فتصف رائحة هذه الأسلحة بأنها تشبه إلى حد ما رائحة التفاح، والرواية تتوفر على قدرة عالية على التوصيل والتكثيف والوصف؛ ففي عنوان ثانوي هو (غرفة التفاح) ثمة إحالة إلى علاقة عطر التفاح بالخطر إذ تقول القاصة على لسان إحدى شخصيات الرواية: «وهي تلقي بوصاياها التي لا تنتهي، ذكرتني بوجوب الإسراع إلى غرفتها حالما أشم عطر التفاح»[4]. وكانت المرأة مهووسة بالرعب، من هذه الرائحة التي تعني لها نهاية العالم أو نهاية التاريخ؛ لذا تخرج من الغرفة وهي تردد: «تذكر التفاح... لا تنسى عطر التفاح»[5]، فالعطر ـ هنا ـ رسالة سيميائية لإعلان الموت الكبير، والمجاني المرتبط بفوضى العالم وصراعات القوى، من أجل مصالحها على حساب مصلحة الإنسان صاحب الرأي الحقيقي بمصلحته وكيانه وبقائه، وهذا يعني أن الأدب الروائي كان له أثره في تجسيد سيمائية العطر بقوة وفاعلية.

(1) م.س، 98.
(2) الجنابي: **الوصفي والتشكيلي**، 115.
(3) ابتسام عبدالله: **بخور**، 103.
(4) الجبوري، إرادة: **عطر التفاح**، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996م)، 18.
(5) م. س، 18.

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة على العطر تاريخيًا وسيرة ووصفًا، يمكن أن نستنتج بان العطر قديم قدم الذاكرة الإنسانية منذ ولوج الإنسان الجنة، ثم خروجه منها، وانه نما في ذاكرته نموًا موازيًا لحاجاته الإنسانية الأخرى، لأنه عنصر توازن في الطبيعة، يخفف الازدياد المستمر في حجم الفضلات التي تزداد بازدياد عدد سكان الأرض وتطور مصالحهم وصناعتهم وقدراتهم. ومن هنا فإن الحاجة إلى العطر وأصنافه هي حاجة ضرورية وحيوية، تدلل على التطور الحضاري وتنامي القدرات الثقافية، لترويض النفس والمجتمع والواقع من أجل بيئة أكثر جمالًا وأنجع توصيفًا.

قام البحث على تمهيد وفصل يتناول تاريخ العطر في باب واحد. أما الباب الثاني فتناول الجانب الاقتصادي من حيث موارده وصناعته وتجارته، واختص الباب الثالث في الجانبين الاحتفالي/الطقسي والفكري.

لقد ارتبط العطر في ذاكرة العربي، بوقت مبكر منذ نزول آدم من الجنة ومروره بأرض الهند حاملًا معه بذوره التي انتشرت في كل العالم، وقد انتقلت صورة العطر في العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي ليس بوصفه مادة كمالية يتأنق بها الإنسان فحسب، وإنما بوصفه مادة طقسية احتفالية لها صلة بالأديان والعقائد التي كانت شائعة قبل الإسلام، ثم تبنى الإسلام العطر بشكل ديني وثقافي وجمالي، وعرف المسلمون الأوائل بحبِّ الطيب وأجناس العطر، ثم أصبح خلوقًا وطقسًا خاصًا في الأعياد والجمع والمناسبات. وقد عنى البحث بشكل خاص بمصادر العطر النباتية والحيوانية والجمادات.. وغيرها.

كشف البحث عن عناية فائقة ـ لدى العرب ـ في صناعة العطر، وتنوع صناعته وابتكار الخلطات والتراكيب واهتمام العطارين والأطباء به واهتمام الخلفاء والأمراء ومن يليهم في الأمر، بتحضير العطور وتهاديها والعناية بها ومتابعة استعمالها في الأماكن الدينية والمناسبات وفي المساكن العامة والخاصة، حتى تطور الأمر إلى وجود خزائن وخزنة خاصين للخلفاء، واجبهم خزن العطر والعناية به، ووراثته كما يرث الخليفة ملكه وسدة حكمه.

كما كشف عن تطور تجارة العطور، وتنامي هذه التجارة التي توزعت بين الاستيراد والتصنيع والتوزيع، ثم التصدير والتداول إلى أصناف أخرى، ولهذه التجارة امتدادها في العصر الجاهلي حتى أصبح العطر مقرونًا بالعرب في العصر العباسي، وهذا بدوره كان له أثره في وجودهم في الأندلس وبلاد المغرب العربي، وكانت مواطن إنتاج العطر بشكل رئيس في الهند والصين، وابرز أنواع العطور التي حملت اسمها من هذين البلدين بشكل خاص.

أما الجانب الاحتفالي، فقد كشف عن أن الطقوس والاحتفالات التي ارتبطت بالعطر، جاءت بشكل انسيابي منذ القدم حتى الحاضر مرتبطة بالأديان والطقوس والأعياد والاحتفالات، وأكدت على وجود ضمنية واضحة بين الموت والعطر، وبين الحياة والعطر، وكيف تقلب الطيب بين الطرفين بشكل عجيب يجمع بين الفرح والحزن والخوف.

أما الجانب الفكري فقد تناول الحركة الثقافية حول العطر كتصنيف الكتب، وكتابة الشعر والنثر وعلاقة الشعر بالخمرة والكتابة بالعطر، وعرج على بعض المنجزات الثقافية الحديثة التي كان للعطر فيها أثره الحضاري الفائق، كما تناول البحث الجانب السيميائي للعطر من خلال حاسة الشم.

ثبت المصادر والمراجع

أ ـ الكتب المقدسة

*** القران الكريم.**

*** الكتاب المقدس، كتاب الحياة (العهدان: القديم والجديد) ترجمة تفسيرية، القاهرة، 1992م.**

ب ـ المصادر المخطوطة

*** الآلوسي، محمود شكري (ت 1342هـ/1924م):**

- أخبار بغداد وما جاورها من البلاد، مخطوط مكتبة الأوقاف العامة، بغداد، برقم 1/ 24206.

ج ـ المصادر المطبوعة

*** ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1260م):**

- الحلة السيراء، تح حسين مؤنس (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963م)

*** الآبي، الوزير أبو سعيد منصور بن الحسين (ت 421هـ/1030م):**

- نثر الدر، تح محمد علي قرنة، مراجعة حسين نصار (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م)

*** ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (ت 630هـ/ 1233م):**

- الكامل في التاريخ، تح عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1424هـ/ 2004م).

*** أبو أحمد العسكري، الحسن بن عبدالله (ت 382هـ/992م):**

- المصون في الأدب، تح عبد السلام محمد هارون (سلسلة التراث العربي، الكويت، 1960م).

* الأخطل، غياث بن غوث التغلبي (ت92هـ/710):
- الديوان، تح أنطوان صالحاني (دار صادر، بيروت، 1969م).
* الازرقي، ابو الوليد محمد بن عبداله بن محمد (ت نحو 250 هـ/864م):
- إخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح رشدي صالح ملحسن (دار الأندلس، مطابع ماتبوكرومو، مدريد/اسبانيا، د.ت).
* الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسن (ت356هـ/966م):
- الأغاني (دار الثقافة، بيروت، 1395 ـ 1398هـ/ 1975 ـ 1978م).
- الإماء الشواعر، تح جليل العطية (دار النضال، بيروت، 1404هـ/ 1984م).
- مقاتل الطالبيين، تح السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت).
* الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن اصمع (ت نحو 216هـ/ 831م):
- الأمثال، تح محمد جبار المعيبد (دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد 2000م).
* ابن ابي اصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت668هـ/ 1270م):
- عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا (دار الحياة، بيروت، د.ت).
* الأعشى، ابو بصير ميمون بن قيس بن ثعلبة البكري (ت نحو 3ق.هـ / 619م):
- الديوان، شرح إبراهيم جزيني (دار الكتاب العربي، بيروت، 1388هـ/ 1968م).
* امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت565م):
- الديوان (دار صادر، بيروت، د.ت).
* الأنباري، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 328هـ/939م):
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح عبد السلام محمد هارون (دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1969م).
* الأنطاكي، داود بن عمر الطبيب (ت1008هـ/1599م):
- تذكرة أولي الألباب (بيروت، د.ت).

❁ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ/1147م):

- الذخيرة في محاسن الجزيرة، تح عبد الحميد العبادي (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942م).

❁ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت779هـ/1377م):

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، تح علي المنتظر الكتاني (مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة، بيروت، د.ت).

❁ البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ/1682م):

- خزانه الأدب ولب لباب لسان العرب (مط الأميرية ببولاق، القاهرة، 1299هـ).

❁ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت478هـ/1094م):

- معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواقع، تح مصطفى السقا (لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1368هـ/ 1949م).

❁ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م):

- انساب الأشراف، تح محمد حميد الله، ج1 (معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية/ دار المعارف بمصر، القاهرة، 1959م). ج2، تح محمد باقر المحمودي (مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط1، 1394هـ/ 1974م).
- فتوح البلدان، تح صلاح الدين المنجد (دمشق 1956م).

❁ البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد (440هـ/1048):

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذولة (حيدر آباد الدكن، 1377هـ/ 1958م).

❁ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت874هـ/1469م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م).

❁ التوحيدي، أبو حيان علي بن العباس (ت نحو 414هـ/1023م):

- الإمتاع والمؤانسة، تح أحمد أمين وأحمد الزين (المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، د.ت).

❊ **التونسي، محمد بن عمرو بن سليمان (ت1274هـ/1857م):**

- تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح خليل محمود عساكر ومصطفى محمد سعيد، مراجعة محمد مصطفى زيادة (الهيئة المصرية العامة للكتاب /مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007م).

❊ **التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت 651هـ/1253م):**

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تهذيب ابن منظور، تح إحسان عباس (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1400هـ/ 1980م).

❊ **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ/1037م):**

- التوفيق للتلفيق، تح زهير غازي زاهر وهلال ناجي (عالم الكتب ـ بيروت 1417هـ/ 1996م)
- ثمار القلوب في المضاف والمنصوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم (دار نهضة مصر، القاهرة، 1384هـ/ 1965م).
- فقه اللغة (مط الآباء اليسوعيين ـ بيروت 1938م)
- لطائف المعارف، تح ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1390هـ/ 1960م).

❊ **الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر (ت255هـ/868م):**

- البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1367، ـ 1396هـ/ 1948 ـ 1949م).
- التاج في أخلاق الملوك، تح أحمد زكي باشا (القاهرة، 1914م).
- التبصرة في التجارة، تح حسن حسيني عبد الوهاب التونسي (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ/ 1994م).
- الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1388هـ/ 1969م)
- رسائل الجاحظ، تح عبد السلام محمد هارون (مط الخانجي، القاهرة، 1965م).
- المحاسن والأضداد، مراجعة عاصم عيتاني (دار إحياء العلوم، بيروت، 1406هـ/ 1986م).

❊ **ابن جبير، أبو الحسن محمد بن جبير الكتاني الأندلسي (ت614هـ/1217م):**

- اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، المعرف برحلة ابن جبير (دار التراث، بيروت، 1388هـ/ 1968م).

＊ جران العود، الحارث بن عامر:

- الديوان، تح نوري حمودي القيسي (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م).

＊ جرير بن عبدالله الخطفي (ت 110هـ/728م):

- الديوان، تح حمدو طماس (دار المعرفة، بيروت، ط3 1429هـ/ 2008م).

＊ جميل بن معمر (ت82هـ/701م):

- الديوان، شرح إبراهيم جزيني (دار الكتاب العربي، بيروت، 1388هـ/ 1968م).

＊ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت657هـ/1199م):

- أخبار الظراف والمتماجنين، تح محمد بحر العلوم (مط النجف الحديثة/ منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط2، 1386هـ/ 1967م).
- ذم الهوى، تح عصام فارس الحرستاني ومحمد إبراهيم الزغلي (دار الجيل، بيروت، 1420هـ/ 1999م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (الدار الوطنية، بغداد، 1990م).

＊ ابن الحاج، محمد بن محمد (ت737هـ/1336م):

- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النبات (مط الشريفة بمصر، د.م، 1320م).

＊ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب شلبي (ت1068هـ/ 1657م):

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه محمد شرف بالتقايا (المكتبة الإسلامية والجعفري ـ تبريزي، بطهران 1378هـ/ 1947م).

＊ ابن حبيب، محمد بن حبيب (ت 245هـ/859م):

- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تح عبد السلام هارون، ضمن نوادر المخطوطات، ج2 (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1374هـ/ 1954م).
- المحبر، تح ايليزا ليختن شيتر (المكتب التجاري، بيروت، د.ت).

＊ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1992م):

- الإصابة في تمييز الصحابة (دار الجيل، بيروت، 141هـ/ 1992م).

- تقريب التهذيب، تح صلاح الدين عبد الموجود (دار ابن رجب، المنصورة 1425هـ/ 2004م).

❊ الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت453هـ/1061م):

- جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح علي محمد البجاوي (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1372هـ/ 1953م).
- زهر الآداب وثمار الألباب، ضبطه زكي مبارك (دار الجيل، بيروت، ط4، د.ت).

❊ الحطيئة، جرول بن أوس (ت نحو 45هـ/665م):

- الديوان، شرح السكري (دار صادر، بيروت، 1387هـ/ 1967م).

❊ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت488هـ/1059م):

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح محمد تاويت الطنجي (الدار المصرية، القاهرة 1966م).
- الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن عامر (ت440هـ/ 1048م):
- البديع في وصف الربيع، نشره هنري بيرس (مط العلوم العليا المغربية، المطبعة الاقتصادية بالمغرب، الرباط، 1940م).

❊ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت350هـ/1961م):

- صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م).

❊ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد بن عبد الله (ت300هـ/913م):

- المسالك والممالك، تح محمد مخزوم (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/ 1988م).

❊ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1070م):

- تاريخ بغداد (المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت).

❊ الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله (ت502هـ/1108م):

- مشكاة المصابيح، تح محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي، بيروت، ط2 1985م).

❊ ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي (ت 33هـ/1138م):

- الديوان، تح عبد الله سندة (دار المعرفة، بيروت، 1427هـ/ 2006م).

※ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن آبي بكر (ت681هـ/1282م):

- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس (دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م).

※ ابن الدباغ، عبد الرحمن بن محمد القيرواني (ت696هـ/1296م):

- مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب، تح هـ. ريتر (دار صادر، بيروت، د.ت).

※ الدينوري، أبو بكر أحمد مروان بن محمد القاضي (ت298هـ/910م):

- المجالسة وجواهر العلم (دار ابن حزم، بيروت 1423هـ/ 2002م).

※ ذو الرمة، غيلان بن عقبة (ت117هـ/735م):

- الديوان، تح عبد القدوس صالح (دمشق 1972 ـ 1973م).

※ الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1025 هـ/1616م):

- تاج العروس وجواهر القاموس (مط الخيرية، القاهرة، 1306هـ).

※ الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340هـ/1951م):

- أخبار الزجاجي، تح عبد الحسين المبارك (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 14012 هـ/ 1980م).

※ الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي (ت 538هـ/1144م):

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح سليم النعيمي (مط العاني، وزارة الأوقاف، بغداد، 1400هـ/ 1980 م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح عبد الرزاق مهدي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).

※ زهير بن أبي سلمى (ت نحو 13هـ/609م):

- الديوان، بشرح ثعلب (مط دار الكتب المصرية، القاهرة، 1363هـ/ 1944م).

※ الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد (ت 275هـ/888م):

- شرح المعلقات السبع (دار القاموس الجديد، بيروت، د.ت).

※ سحيم، سحيم عبد نبي الحسحاس (ت نحو 40هـ/660م):

- الديوان، تح عبد العزيز الميمني (مط دار الكتب، القاهرة، 1950م).

* **السدوسي، أبو فيد مؤرج بن محمد (ت 195هـ/810م):**
- الأمثال، تح رمضان عبد التواب (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1391 هـ/ 1971م).

* **السراج القارئ، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين (ت 500هـ/1106م):**
- مصارع العشاق (دار صادر، بيروت، د.ت).

* **ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت 230هـ/844م):**
- الطبقات الكبرى (دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، 1377هـ/ 1957م).

* **السلمي، العباس بن مرداس (ت نحو 18هـ/639م):**
- الديوان، تح يحيى الجبوري (دار الجمهورية/وزارة الإعلام، بغداد، 1388هـ/ 1968م).

* **ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت 458هـ/1065م):**
- المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م).

* **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م).**
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان، د.ت).
- تاريخ الخلفاء، تح محمد محيي الدين عبد الحميد (مط السعادة، القاهرة، 1964م).
- الدر المنثور (دار الفكر، بيروت، 1993م).
- نزهة العمر في تفضيل البيض والسود والسمر، تح عبد الأمير مهدي الطائي (مكتبة ابن النديم، مط الجاحظ، بغداد، 1990م).

* **الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 388 هـ/998م):**
- الديارات، تح كوركيس عواد (مط المعارف، بغداد، ط2، 1386هـ/ 1966م).

* **الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحمودي الحسني الصقلي (ت650هـ/1252م):**
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/ 1989م).

* **الشهرستاني، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م):**
- الملل والنحل، تح محمد فتح الله بدران (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، د.ت).

* **أبو الشيص، محمد بن علي الخزاعي (ت196هـ/811م):**
- الديوان، تح عبدالله الجبوري (النجف 1967م).
* **الصابئ، أبو الحسن هلال بن الحسن (ت448هـ/1056م):**
- رسوم دار الخلافة، تح ميخائيل عواد (دار الرائد العربي، بيروت، 1986م).
* **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 923م):**
- تاريخ الرسل والملوك تح محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م).
* **طرفة، طرفة بن العبد (ت564م):**
- الديوان، تقديم كرم البستاني (دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، 1380هـ/ 1961م).
* **ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت280هـ/893م):**
- بلاغات النساء، ضمن كتاب (الجنس عند العرب)، ج3 (دار الجمل كولونيا ـ ألمانيا، 1999م).
* **العبادي، عدي بن زيد (ت590م):**
- الديوان، تح محمد جبار المعيبد (وزارة الثقافة والإرشاد ـ مديرية الثقافة العامة ـ دار الجمهورية للنشر، بغداد، 1965م).
* **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ/949م):**
- العقد الفريد (دار التراث العربي، بيروت 1420هـ/ 1999م).
* **عبيد بن الأبرص الأسدي (ت555م):**
- الديوان، تح تشارل ليال، تقديم كرم البستاني (دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، 1384هـ/ 1964م).
* **أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت209هـ/824م):**
- النقائض، تح أشلي إيفان (مط بريل، ليدن، 1905م).
* **أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت211هـ/826م):**
- الديوان (دار صادر ـ دار بيروت، بيروت 1384هـ/ 1964م).
* **العماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت597هـ/1200م):**
- خريدة العصر وجريدة العصر، تح عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم (دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت).

* **عمر بن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة (ت93هـ/712م):**
- الديوان، تح محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية الكبرى، مط السعادة، القاهرة، ط2، 1380هـ/ 1960م).

* **عنترة بن شداد العبسي (ت نحو 22ق.هـ/525م):**
- الديوان، شرح فوزي عطوي (بيروت، 1968م).

* **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/1111م):**
- إحياء علوم الدين (القاهرة، 1302هـ).

* **الغزولي علاء الدين بن عبد الله البهائي (ت815هـ/1412م):**
- مطالع البدور في منازل السرور (مط دارة الوطن، د.م 1299).

* **فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ/1209م):**
- التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، بيروت، 1431هـ/ 2000م).

* **الفراهيدي، الخليل أحمد (ت 175هـ/791م):**
- العين، تح إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980 ـ 1983).

* **ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (نبع 290هـ/902م):**
- مختصر كتاب البلدان (دار إحياء التراث، بيروت، 1408هـ/ 1988م).

* **الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت818هـ/1414م):**
- القاموس المحيط (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).

* **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م):**
- عيون الإخبار (دار الكتب، القاهرة، 1964م).
- المعارف، تح ثروة عكاشة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ مط دار الكتب، القاهرة 1960م).

* **القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت617هـ/1220م):**
- الجامع لأحكام القران (دار الشعب، القاهرة، د.ت).

* **القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م):**
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، علق عليه محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية ـ دار الفكر، بيروت، د.ت).

٭ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/1350م):
- الطب النبوي (دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/ 2000م).

٭ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت744هـ/1372م):
- البداية والنهاية (دار أبي حيان، القاهرة، 1416هـ/ 1996م).
- تفسير القران العظيم (دار الفكر، بيروت، 1401هـ).

٭ كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت26هـ/645م):
- الديوان، شرح السكري، إشراف محمد نديم (دار الكتب المصرية، القاهرة 1369هـ/ 1950م).

٭ ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ/819م):
- مثالب العرب والعجم، تح محمد حسن الدجيلي (دار الأندلس، بيروت - النجف، 1430هـ/ 2009م).

٭ ابن كمال باشا، أحمد سليمان (ت940هـ/1533م):
- رجوع الشيخ إلى صباه في القوة والباه، ضمن كتاب الجنس عند العرب (دار الجمل، كولونيا - ألمانيا، 1997م).

٭ مالك، أبو عبد الله مالك بن انس الأصبحي (ت179هـ/795م):
- الموطأ (دار البحار، بيروت، 1986).

٭ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/899م):
- الكامل في اللغة والأدب (دار المعرفة، بيروت، د.ت).

٭ المجنون، قيس بن الملوح (ت68هـ/688م):
- الديوان، تح عبد الرحمن المصطاوي (دار المعرفة، بيروت، ط3، 12428هـ/ 2007م).

٭ ابن أبي مخرمة، أبو عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت947هـ/1540م):
- تاريخ ثغر عدن، تح علي حسن علي عبد الحميد (دار الجيل - دار عمار، بيروت - عمان، ط2، 1408هـ/ 1987م).

٭ المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م):
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مراجعة خليل عمران منصور (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426هـ/ 2005م).

❊ المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد (ت241هـ/855م):

- الأزمنة والأمكنة (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت).

❊ المسعودي علي بن الحسين (ت346هـ/957):

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح شارل بلا (المطابع الكاثوليكية، بيروت، 1966م).

❊ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد الرازي (ت421هـ/1030م):

- تجارب الأمم، تح أبو القاسم إمامي (دار سروش للطباعة والنشر، تهران، ط2، 1379ش / 1422هـ/ 2001م).

❊ ابن المعتز، عبد الله بن المعتز العباسي (296هـ/809م):

- فصول التماثيل في تباشير السرور، تح مكي السيد جاسم ومحمد مكي السيد جاسم (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م).
- من فصول ابن المعتز ورسائله ونصوص من كتبه وأخباره، تح يونس أحمد السامرائي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م).

❊ مغلطاي علاء الدين بن فليج (762هـ/1361م)

- مختصر تاريخ الخلفاء، تح يحيى بن حمزة الوزنة (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1423هـ/ 2003م).

❊ المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت380هـ/ 990م)

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح محمد أمين الضناوي (دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2002م).

❊ المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1401هـ/631م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس (دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م).

❊ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م):

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح محمد حلمي محمد أحمد (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416 هـ/ 1996م).

❊ ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن أحمد الأفريقي (ت 711هـ/ 1311م):

- لسان العرب، تصنيف يوسف خياط (دار لسان العرب، بيروت، د.ت).

❁ **الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 518هـ/1124م):**

- مجمع الأمثال، تح محمد محيي الدين عبد الحميد (مط السنة المحمدية، القاهرة، 1347هـ/ 1955م).

❁ **النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت نحو 604م):**

- الديوان، شرح حمدو طماس (دار المعرفة، بيروت، 1424هـ/ 2003م).

❁ **ابن النديم الوراق، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت نحو 380هـ/ 990م):**

- الفهرست (دار المعرفة، بيروت، د. ت).

❁ **النفزاوي، محمد بن أبي بكر بن علي (ت نحو 725هـ/1324هـ):**

- الروض العاطر في نزهة الخاطر، تح جمال جمعة (دار رياض الريس، لندن، 1990).

❁ **أبو نواس، الحسن بن هاني (ت 200هـ/815م):**

- الديوان، تح محمود كامل فريد (المكتبة التجارية الكبرى ـ مط حجازي، القاهرة، 1356هـ/ 1937م).

❁ **النوبختي، الحسن بن موسى (ت 202هـ/718م):**

- فرق الشيعة، تح محمد صادق بحر العلوم (مط الحيدرية، النجف، د.ت).

❁ **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1332م):**

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تح مفيد قميحة (دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2004 م).

❁ **النيجرمي، إبراهيم بن عبدالله (ت نحو 355هـ/1332م):**

- أيمان العرب (مط السلفية، القاهرة 1334هـ).

❁ **ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت 213هـ/828م):**

- السيرة النبوية، تح أحمد جاد (دار الغد، المنصورة، 1424هـ/ 2003م).

❁ **الهجري، أبو علي هارون بن زكريا (ت نحو 288هـ/900م):**

- التعليقات والنوادر، تح حمود عبد الأمير حمادي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1987م).

❁ **أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت بعد 395هـ/1005م):**

- ديوان المعاني (عالم الكتب، بيروت، د.ت).

* **ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي النبطي (ت 322هـ/933م):**
- الفلاحة النبطية، تح توفيق الفهد (دمشق، 1993م).
* **الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (325هـ/936م):**
- الموشى أو الظروف والظرفاء، تح رُدُلف أُبرونُو (دار صادر، بيروت، د.ت).
* **ابن وكيع، الحسن بن علي الضبي (ت393هـ/1002م):**
- الديوان، تح هلال ناجي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998م).
* **وهب بن منية (ت نحو 116هـ/734م):**
- التيجان في ملوك حمير (مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1347هـ).
* **ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ/1228م):**
- معجم الأدباء (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
- معجم البلدان (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
* **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/904م):**
- البلدان (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، 2002م).
- التاريخ، تح محمد صادق بحر العلوم (المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الاشرف، 1348هـ/1964م).
* **اليمني، أحمد بن محمد بن علي (ت 231هـ/845م):**
- رشد اللبيب في معاشرة الحبيب (تالة للطباعة والنشر، الماية ـ الجماهيرية العظمى، ط1، 2002م).

د ـ المراجع

* **الآلوسي، محمود شكري (ت1342هـ/1924م):**
- بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب (المطبعة الرحمانية، القاهرة 1342هـ/1924م).
* **ابتسام عبد الله:**
- بخور، قصص قصيرة (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998م).

❊ إبراهيم محمود:

- النص الجسد الهاوية، قراءة في ظلال المعنى (دار تموز، دمشق، 2011م).

❊ أحمد كمال زكي:

- الأساطير (المكتبة الثقافية، ع170، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مارس 1967م).

❊ الأسود، حكمت بشير:

- أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة (دار المدى، دمشق، 2008م).

❊ باشلار، غاستون:

- الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادة، ترجمة علي نجيب إبراهيم (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م).

❊ بدج، السير ولس:

- الديانة الفرعونية، أفكار المصريين عن الحياة الأخرى، ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف (دار منارات، عمان، 1985م).

❊ بروكلمان، كارل:

- تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار (دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969م).

❊ البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد بن أمين بن سليم البابانى (ت1339هـ/1921م):

- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصدقين (وكالة المعارف، استانبول، 1951م).

❊ بورديو، بيير:

- أصالة علم الاجتماع، حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة إبراهيم فتحي (دار العالم الثالث، القاهرة، 1995م).

❊ الجادر، وليد محمود:

- الأزياء الشعبية في العراق (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م).

❊ الجبوري، إرادة:

- عطر التفاح، قصص قصيرة (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996م).

* جريماس، أ ـ ج + جاك فونتيني:
- سيمياء الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة سعيد بنگراد (الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010م).
* جميل صليبا:
- المعجم الفلسفي (دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م).
* الجنابي، قيس كاظم:
- أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية خلال العصر الأموي (دار الآفاق العربية، القاهرة، 2007م).
* جواد علي:
- تاريخ العرب قبل الإسلام (المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1950م).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (آوندرانش ـ مكتبة جرير، د.م، 1427هـ/ 2006م).
* حازم عبد الله خضر:
- النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م).
* الحجية، عزيز جاسم:
- بغداديات ج1 (مكتبة الكندي، مط دار القادسية، بغداد، ط2، د.ت).
* الحوفي، أحمد محمد:
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي (دار القلم، بيروت، ط5، 1972م).
* الخطيبي، عبد الكبير:
- الاسم العربي الجريح، ترجمة محمد بنيس (دار الجمل، بغداد ـ بيروت، 2009م).
* الخوري، لطفي:
- معجم الأساطير (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م).
* دي غوري، جيرالد:
- حكام مكة، ترجمة رزق الله بطرس، مراجعة صباح جمال الدين (دار الوراق، لندن، 2010م).
* ديورانت، دول:
- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2 1964م).

* **الراوي، عبد اللطيف عبد الرحمن:**
- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة (مكتبة النهضة، بغداد، د.ت).

* **الرصافي، معروف (ت1365هـ/1945م):**
- الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات، تح عبد الحميد الرشودي (وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الرشيد للنشر ـ سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، 1980م).

* **روثن، مرغريت:**
- علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م).

* **الزركلي، خير الدين (ت1396هـ/1976م):**
- الأعلام، قاموس تراجم (دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1979م).

* **زوسكيند، باتريك:**
- العطر قصة قاتل، ترجمة نبيل الحفار (دار المدى للنشر، دمشق، ط2، 1977م).

* **السامرائي، خليل إبراهيم:**
- علاقات المرابطين بالأندلس وبالدول الإسلامية (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1985م).

* **السامرائي، يونس:**
- آل وهب (بغداد، 1979م).

* **سامي ريحانا:**
- موسوعة أساطير وشعوب العالم (دار نوبليس، بيروت، 2010م).

* **شاكر لعيبي:**
- المستحمات في ينابيع عشتار، الأصول الرافدينية والمصرية لأشعار الاستحمام عند النساء العربيات، دار المدى (بيروت ـ بغداد 2012م).

* **شمار، جورج بوييه:**
- المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم الصويص (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م).

* **شوقي ضيف:**
- التطور والتجديد في الشعر الأموي (دار المعارف بمصر ـ مكتبة الدراسات الأدبية، ع10، القاهرة، ط4، د.ت).

- العصر الإسلامي (دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت).
- العصر الجاهلي (دار المعارف بمصر، القاهرة د.ت).

❋ **الشيخلي، صباح إبراهيم:**

- الأصناف في العصر العباسي، نشأتها وتطورها (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1976م).

❋ **صلاح كاظم:**

- السيميائية العربية، بحث في أنظمة الإشارات عند العرب (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م).

❋ **طه باقر:**

- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2 1986م).

❋ **العاني، عبد الرحمن عبد الكريم:**

- البحرين في صدر الإسلام (الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1421هـ/ 200م).

❋ **عبد الجبار ناجي وحسين داخل البهادلي:**

- بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي (بيت الحكمة، بغداد، 2003م).

❋ **العزاوي، عباس (ت 391هـ/ 1971م):**

- تاريخ النقود العربية لما بعد العصور العباسية (طبع شركة التجارة للطباعة، بغداد 1377هـ/ 1958م).

❋ **العلي، زكية عمر:**

- التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي (وزارة الإعلام ـ دار الحرية، بغداد، 1396هـ/ 1976م).

❋ **الغذامي، عبد الله محمد:**

- النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2001م).

❋ **غريب اسكندر:**

- الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2009م).

❁ **فاضل عبد الواحد علي:**

- سومر أسطورة وملحمة (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997م).
- عشتار ومأساة تموز (وزارة الإعلام، بغداد، 1973م).

❁ **فريزر، سير جيمس:**

- الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، ترجم بإشراف أحمد أبو زيد (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1971م).

❁ **القيسي، نوري حمودي:**

- شعراء أمويون (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل، الموصل، 1396هـ/ 1976م).
- المستدرك على صناع الدواوين، بالاشتراك مع هلال ناجي (مط المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1413هـ/ 1993م).

❁ **كاهن، كلود:**

- الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة حسين جواد قبيسي، مراجعة علي نجيب إبراهيم (بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان ـ المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010م).

❁ **الكبيسي، حمدان عبد المجيد:**

- أسواق العرب التجارية (هيئة كتاب التاريخ ـ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1989م).

❁ **كريمر، صموئيل نوح:**

- السومريون، ترجمة فيصل الوائلي (دار غريب للطباعة ـ وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت).

❁ **كونتنيو، جورج:**

- الحياة اليومية في بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي (وزارة الثقافة والإعلام ـ دار الرشيد للنشر، بغداد، 1979م).

❁ **لابات، رينيه:**

- المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، ترجمة ألبير أبونا ووليد الجادر (جامعة بغداد، بغداد، ط1 1988م).

❁ **لوركر، مانفرد:**

- معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة صلاح الدين رمضان ومحمود طاهر (مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م).

❋ **لويد، سيتون:**

- آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م).

❋ **متز، آدم:**

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1377هـ/ 1957م).

❋ **محمد كرد علي:**

- خطط الشام (مط الترقي، دمشق، 1246هـ/ 1927م).

❋ **محمد كمال السيد محمد:**

- أسماء ومسميات من تاريخ مصر القديمة (النشر المشترك ـ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت).

❋ **مصطفى جواد وأحمد سوسة:**

- دليل خارطة بغداد المفصل (مط المجمع العلمي، بغداد، 1378هـ/ 1958م).

❋ **مفاز الله كبير:**

- الأسرة البويهية في بغداد، ترجمة فلاح حسن الأسدي، مراجعة حسن داخل البهادلي (بيت الحكمة، بغداد، 2012م).

❋ **ميدر، بتي شوتك:**

- صلوات انهيدوانا، ترجمة كامل جابر (دار الجمل، بغداد ـ بيروت، 2009م).

❋ **الناصري، أحمد بن خالد بن ناصر (ت1315هـ/1887م):**

- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري (دار الكتاب الجديد، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م).

❋ **النجم، عبد الرحمن عبد الرزاق:**

- البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج (دار الحرية للطباعة ـ وزارة الإعلام، بغداد، 1393هـ/ 1973م).

هـ ـ الرسائل الجامعية

* **إسراء عطاء فخري:**
- علم النبات عند العرب (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ـ جامعة بغداد ـ كلية التربية، بغداد، 1425هـ/ 2004م).

* **الخالدي، وسن سمين محمد أمين:**
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس على عهد بني مرين 668 ـ 869هـ (رسالة ماجستير، مقدمة إلى مجلس الكلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد، بغداد، 1422هـ/ 2002م).

* **الرفاعي، مسلم هاني راضي:**
- الجوانب الاقتصادية والاجتماعية العمرانية في رحلة ابن جبير (رسالة ماجستير، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 1424هـ/ 2004م).

و ـ البحوث والدراسات

* **آمال قرامي:**
- تصدع بنية «الذكورة المهيمنة ومحاولات إنقاذها» كتاب باحثات، ع12 (بيروت، 2006 ـ 2007م).

* **الجنابي، قيس كاظم:**
- السيرة التاريخية وسرد الحكاية سيرة الضحاك بين التاريخ والحكاية، مجلة المورد، مج 33 ع4 (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1427هـ/ 2006م).
- الطيب والطقوس السحرية، مجلة التراث الشعبي، ع2 س32 (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 2001م).
- الوصفي والتشكيلي في القصة العراقية، مجلة الموقف الثقافي، ع19 س4 (دار الشؤون العامة، بغداد، كانون الثاني/ شباط 1999م).

* **الراضي، فاطمة حمزة:**
- الظرف البغدادي، مجلة المورد، مج8ع 4 (وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، شتاء 1400هـ/ 1979م).

* **مصطفى جواد:**
- أثر الأعياد في الأدب، مجلة الاعتدال ع1 س6 (النجف، ربيع الثاني 1365هـ/ 1946م).

Fragrance when Arabs

After this panoramic fragrance historically and biography and a description, it can be concluded that the fragrance is as old as human memory since a human paradise, and then he left them, and he grew in his memory growing parallel to the humanitarian needs of the other, because the element of balance in nature, eases the continued growth in the volume of waste which increase with the number of inhabitants of the earth and the evolution of their industry and their interests and abilities. Hence the need for a fragrance and articles thereof are necessary and vital need, demonstrate the development of civilization and the growing cultural capacities, to tame the self, society and environment in order to actually break the beautiful and the most effective description.

The research and pave the chapter on history of fragrance in one door. The second section addressed the economic side, in terms of its resources and its industry and trade, and singled out the door in the third sides ceremonial / ritual and intellectual.

I've been associated with fragrance in the memory of the Arab, with a time early since the descent of Adam from Paradise and passed the land of India, carrying with him the seeds that have spread all over the world, has moved image fragrance in the pre - Islamic era to the Islamic era, not as a material luxury spruce them human, but as a rule liturgical celebration related to religions and beliefs that were common before Islam, then embraced Islam fragrance is a religious, cultural and aesthetic, and knew early Muslims love perfume and fragrance races, then became Khalouka and weather on holidays and special events combined. This meant,

in particular research sources fragrance of plant, animal and inanimate objects.. And others.

Detect Find great care - among the Arabs - in the manufacture of perfume, and the diversity of its industry and innovation mixtures and compositions and interesting Attareen and doctors do and interesting caliphs and princes and followed it, preparing perfumes and Thadiha and care and follow - up used in religious places and events in public housing and private, so it developed into The presence of safes and safe special for successors, and their duty storage fragrance and care for him, and the inheritance thereof as his successor inherits the helm of his rule.

He also revealed the evolution of perfumes, and the growth of this trade, which was distributed among the importation, manufacture, distribution, and then export and trading to other varieties, but this trade extension in the pre - Islamic era until it became fragrance coupled with the Arabs in the Abbasid era, and this in turn had an impact on their presence in Andalusia and the Maghreb Arab, and was a citizen fragrance production mainly in India and China, and the most prominent types of perfume which bore the name of these two countries in particular.

The side ceremonial, has revealed that the rituals and ceremonies associated with the perfume, came in a streamlined way since ancient times until the present linked to religions and rituals and holidays and celebrations, and confirmed the existence of an implicit clear link between the death and the fragrance, and between life and fragrance, and how the volatility of good between the two sides surprisingly combines the joy The sadness and fear.

The intellectual side has dealt with the cultural movement about the fragrance as a classification of books, writing poetry and prose and the relationship of hair Balkhmrh and writing perfume, and he stopped at some of the cultural achievements of modern which was to perfume the impact of civilization superior, also touched on the semiotic of perfume through the sense of smell.